جمهورية العراق

ديوان الوقف السني

مركز البحوث والدراسات الإسلامية



سلسلة إحياء التراث الإسلامي

(٧٤)

الحيــــوان

تأليف

أبي جعفر احمد بن محمد بن أبي الأشعث (ت ٣٦٢هـ)

تحقيــق

د. عبد الرزاق احمد الحربي

١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

الطبعة الاولى



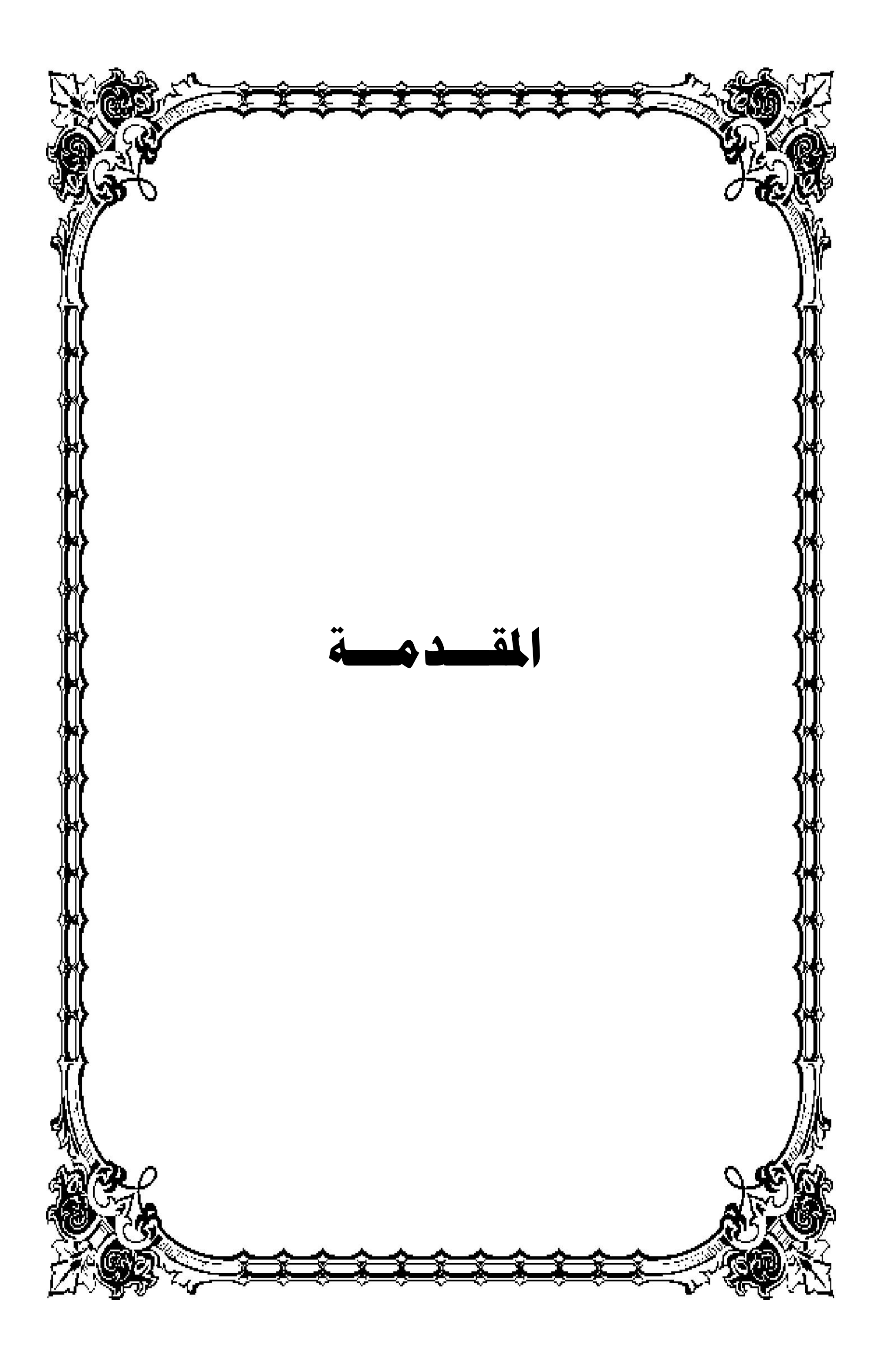
٨١٨
أ ٢٥٢

الاشعث، ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي الاشعث (ت ٣٦٢هـ)
الحيوان، تحقيق عبدالرزاق احمد محمود الحربي . بغداد: ديوان الوقف السني ٢٠٠٨م.
٣١٧ص. ٢٥سم. (سلسلة إحياء التراث الإسلامي، ٧٤)
١ـ الاسلام . طب ٢ـ الاسلام . تغذية أ . الحربي، عبدالرزاق احمد محمود (محقق). ب . العنوان. ج . السلسلة.



﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

سورة النور الآية: ٤٥



المقـــدمــة



المقدمــــة

تعرفت علـى كتـاب الحيوان لأحمـد بـن أبـي الأشـعث منـذ أن كنـت طالبـاً فـي الدراسات العليا سنة ١٩٧٨ (المخطوطات وتحقيق النصوص) عندما سجلت موضوع تحقيق مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن إبراهيم الوطواط، إذ كان كتاب الحيوان أحد المصادر التي اعتمد الوطواط عليها. وقد ظلت فكرة تحقيق تجول في فكري منذ ذلك الوقت إلى أن سنحت الفرصة لذلك بعون الله تعالى وفضله.

وتأتي أهمية تحقيق هذا الكتاب من الأمور الآتية:-

١. إن مؤلف هذا الكتاب من المؤلفين المتقدمين في هذا المجال من العلم.
٢. إن مؤلف هذا الكتاب نحا به نحواً علمياً، إذ لم يدخل في دراسته أي جانب أدبي أو شعري أو إخباري على خلاف ما فعله الجاحظ مثلاً الذي جعل كتاب الحيوان موسوعة ضخمة علمية وأدبية.
٣. ربط بين علمين أساسيين وهما علم الطب وعلم التغذية وهذا الأخير مصادره قليلة وإن أغلب المعلومات فيه خلطت بعلم الصيدلة والأدوية.

هذه بعض جوانب أهمية هذا الكتاب وعند البدء بتحقيقه ظهرت صعوبة وهي إن المعروف من نسخه نسخة واحدة وهذه النسخة فيها كلمات قد أكلها الدهر ولاسيما في بداية المقالة الأولى وبحثت كثيراً لأجل الوصول إلى نسخة أخرى وأرسلت إلى عدة مكتبات، مما ذكر لي أنها قد اقتنت مخطوطات وأدخلتها في أقسامها ولكن لم أحصل على نتيجة، وقد تمكنت من الحصول على قطعة منه محفوظة في مكتبة مركز إحياء التراث العلمي التابعة لجامعة بغداد فخففت من صعوبة قراءة بعض

النصوص وأفدت أيضاً من النصوص التي كان الوطواط قد نقلها في كتابه مباهج الفكر ومناهج العبر في الجزء الثالث.

وقد حاولت جهد إمكاني أن أصل إلى فصيح النص بشكل علمي دقيق وكامل وإظهار النص بأكمل وجه وإني لأعتذر مسبقاً أن حصل خطأ مني لم أكن أقصده.

والله الموفــق

د. عبــــد الرزاق أحمــــد

بغداد ٢٠٠٤/٤/٣٠

أولاً : المؤلف :-

حياتـــه:

هو أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث. ويكنى بأبي جعفر[١]، عاش شطراً من حياته في بلاد فارس ثم هاجر هارباً إلى الموصل وعندما دخلها كان في حالة سيئة من الجوع والعري[٢].

لم يشتهر بالطب في بداية حياته، ولكنه اشتهر به عندما عالج ابن ناصر الدولة الذي كان مريضاً، وكان كلما عالجه الأطباء ازداد مرضه إلى أن اتفق لابن أبي الأشعث أن رآه واستطاع إقناع أمه أن يتولى علاجه وبدأ بعلاجه، فبدأ المرض يخف عن ابن ناصر الدولة إلى أن شفي، فأجزل له العطاء فأقام بعدها في الموصل وأخذ بتدريس عدد من الطلبة اشتهر منهم أحمد بن محمد البلدي[٣] ومحمد بن ثواب الموصلي[٤] الذي أثنى عليه في كتابه الحيوان.

كتبـه ومكانتـه العلميـة:

ترك لنا أحمد بن أبي الأشعث كتباً عديدة احتوت على معلومات مهمة وذلك لأنه كان عالماً متضلعاً بالعلوم الطبية والطبيعية فكانت له مكانة مرموقة بين العلماء والأطباء وقد اعتمد العلماء على كتبه في الطب وعلوم الطبيعة[٥].

واهتم بدراسة كتب جالينوس وبرع في فهمها وشرحها (وهو الذي فصّل كل واحد من كتب جالينوس الستة عشر إلى جمل وأبواب وفصول، وقسمها تقسيماً لم

---

(١) ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٤٦/١-٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٨/١.

(٤) ذكره في كتاب الحيوان الورقة ٦٧ط.

(٥) ينظر مباهج الفكر ومناهج العبر ٣٤٩/٣، ٣٥٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥ وغيرها.

يسبقه إليه أحد غيره)[1].

ومن كتبه التي وصلت إلينا أخبارها:-

١. كتاب في العلم الإلهي مقالتان فرغ من تأليفه في سنة خمس وخمسين وثلاث مائة[2].
٢. الحيوان: وهو هذا الذي بين يدي القارئ الكريم.
٣. كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء مقالتان[3].
٤. كتاب في السرسام[4] والبرسام[5] ومداواتهما وهو ثلاث مقالات صنعه لأجل تلميذه محمد بن ثواب الموصلي أملاه عليه إملاء، وذكر تاريخ كتابته[6].
٥. كتاب في القولنج وأصنافه ومداواته والأدوية النافعة فيه مقالتان[7].
٦. كتاب الغاذي والمغتدي مقالتان فرغ من كتابته في أرمينية في صفر سنة (٣٤٨هـ)[8].
٧. كتاب في البرص والبهق ومداواتهما مقالتان[9].
٨. كتاب الاستسقاء.
٩. كتاب في ظهور الدم مقالتان.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٤٧/١.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٨/١، وينظر تاريخ طب الأطفال ص١٨١.

(٤) السرسام وفي العربية شرسام وهو ورم في حجاب الدماغ. ينظر تكملة المعاجم العربية ٦٤/٦.

(٥) البرسام علة يُهذى بها وهي حمى مع صداع وحمرة في الوجه. ينظر فقه اللغة ١٢٩ وتاج العروس مادة (برسم).

(٦) عيون الأنباء ٢٤٨/١.

(٧) المصدر نفسه ٢٤٨/١.

(٨) توجد نسخة منه في أياصوفيا برقم (٣/٢٨٩٠) وتوجد قطعة منه في المتحف البريطاني (ثانٍ ٧٨٦) كتبت في السنة نفسها.

(٩) عيون الأنباء ٢٤٨/١.

١٠. كتاب في المالنخوليا[١].

١١. كتاب تركيب الأدوية[٢].

١٢. تفصيل كتاب جالينوس في الأسطقسات[٣].

١٣. كتاب أمراض المعدة ومداواتها[٤].

١٤. شرح كتاب جالينوس في المزاج المختلف[٥].

١٥. شرح كتاب الحميات لجالينوس[٦].

١٦. ذكر ابن أبي الأشعث أنه سوف يؤلف كتاباً في النبات ولم تشر المصادر إلى هذا الكتاب قال: (وفي النبات نظائر كهذا كثيرة سنذكرها في كتابنا في النبات)[٧].

وفاته:-

بعد أن عاش ابن أبي الأشعث زمناً طويلاً قضاه بالدراسة والتأليف في علوم الطب والطبيعة وتدريس الطلبة، توفي في سنة (٣٦٠هـ)[٨] وكان له عدة أولاد اشتهر واحد منهم بعلم الطب وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الأشعث[٩].

ثانياً : الكتاب .

تقسيم الكتاب:-

---

(١) وهو مرض سوداوي من أعراضه الاكتئاب (Melancholia).

(٢) عيون الأنباء ٢٤٨/١.

(٣) توجد نسخة منه في باريس برقم (١/٢٨٤٧) وقد استخدمه محقق كتاب الأسطقسات في مقابلة نسخ التحقيق ينظر ص٤.

(٤) عيون الأنباء ٢٤٨/١.

(٥) توجد منه نسخة في باريس أول (٢/٢٨٤٧).

(٦) عيون الأنباء ٢٤٩/١.

(٧) الحيوان الورقة ١١٤و.

(٨) عيون الأنباء ٢٤٧/١ وذكر ابن أبي أصيبعة إنه توفي في سنة ثلاث مائة ونيف وستين.

(٩) عيون الأنباء ٢٤٨/١.

قسم ابن أبي الأشعث كتابه إلى ثلاث مقالات هي:-

١. المقالة الأولى وذكر فيها الحي المالك (وهو الإنسان).
٢. المقالة الثانية وذكر فيها الحيوان المملوك (وهو الحيوان الداجن).
٣. المقالة الثالثة وذكر فيها الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك.

ولم يكتفِ بهذا التقسيم، وإنما وضع تقسيماً لكل مقالة يلق بها وقد ذكر أنه سوف يضع مقالة رابعة لكتابه إلا أنه لم يفعل على ما يبدو من كتابه(١).

منهجه:-

اعتمد ابن أبي الأشعث في تأليفه لهذا الكتاب منهجاً علمياً يعتمد على المصادر وعلى ملاحظاته هو:-

١. مصادره :

اعتمد في تأليفه لهذا الكتاب بشكل أساس على مؤلفات جالينوس، ولاسيما أنه برع في دراسة كتب جالينوس وقسمها وبسطها بحسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة(٢).

وقد ذكر جالينوس في كتبه كثيراً، وبين أنه ينقل منه نصاً يقول: (قال جالينوس في آخر المقالة الأولى من كتاب المزاج قولاً هذه نسخته)(٣) أي أنه يصرح بشكل واضح أنه ينقل عن كتب جالينوس نصاً.

واعتمد أيضاً على ما ذكره أرسطو، وقد اعترف بأخذه منه أكثر من مرة يقول: (فهو ما اجتمع لي من رأي أرسطوطاليس ومفسري كتبه وأصحابه...)(٤) فهو بذلك يعترف بأن أحد روافده كتب أرسطوطاليس، وكذلك الذين شرحوا كتب أرسطو، وقد يميل إلى كتب أرسطو كقوله: (ومن بقيت عليه بقايا في البحث عن الأصول فليبحث

---

(١) تنظر الورقة ١٢٣ظ.
(٢) تنظر الورقة ٣٧و.
(٣) تنظر الورقة ٥٣ظ.
(٤) تنظر الورقة ٥٤ظ.

عن ذلك في مواضعه من قول أرسطوطاليس ومفسري كتبه ولا يعدل عن هذا الطريق فلم أعدل إلا إليه).

٢. منهجه العلمي:

اعتمد منهج ابن أبي الأشعث العلمي على مجموعة من الأمور:-

أ. اعتماده على الاستنباط يقول: (مع اختياري ما اخترت منه وما استخرجته أنا من غير أن أسوق قولاً فأنسخه، وإنما أقمت جميع المعاني في نفسي ثم عبرت عنها بحسب اجتهادي، وما وفقت له فمن اختار قولي مما ذكرته، ومن رأى غيره فله فضل رأيه، وما أنا عليه بوكيل)[١].

ب. لم يذكر فيه أخباراً إلا ما ورد من أخبار بعض الذين أصيبوا بأمراض ثم شفوا بعد علاجهم يقول: (وليس يليق بكتابي هذا أن أودعه أخباراً لأنه من الكتب الطبيعية التي يسلك فيها سبل البرهان...)[٢].

ت. إن ما ذكره كان على علم فيه وأما ما لم يذكره فإنه لم يحط به علماً يقول: (وإنما غرضي أن أذكر من أنواع كل جنس، وما هو مشهور عند الجمهور ليقاس عليه ما يركب ذكره إتماماً، وما تركته لأني لم أحط علماً به)[٣].

ث. جمع فيه القول في الطبيعة وما بعد الطبيعة يقول: (ولكتابي هذا فهو من القول في الطبيعة، وفي الطب معاً، ومن القول في ما بعد الطبيعة...)[٤].

ج. إن غرضه من البحث إنما هو لأجل الانتفاع يقول: (وإنما خمنت أن أتكلم في الحيوان بحسب الانتفاع به)[٥]، ولهذا نجده ترك الكلام عن حيوانات كثيرة لأن

---

(١) تنظر الورقة ٥٣ظ، ٧٣ظ، ٧٤ظ.

(٢) تنظر الورقة ٢١ظ.

(٣) تنظر الورقة ١٥٥و.

(٤) تنظر الورقة ٧٦و.

(٥) تنظر الورقة ١٠٧و.

الإنسان لا ينتفع منها كالأسود والنمور وغير ذلك.

اهتمامه بالمزاج:-

لقد جعل ابن أبي الأشعث المزاج أساساً له في كتابه هذا وذلك أنه بنى أغلب المعلومات التي وردت في المقالة الأولى عن الحي المالك، وهو الإنسان على ما ذكره جالينوس في (مقالة جالينوس في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن)(١)، فجعل أغلب تعليلاته لاختلاف التصرفات والسلوك الإنساني بسبب الاختلاف في الأبدان، وتأثير العوامل الطبيعية في الإنسان.

وينظر العلماء إلى أن المزاج له علاقة بما يسميه العلماء بالأخلاط الأربعة وكذلك بالعناصر الأربعة، إن التوازن بينها هو الذي يحدد طبيعة الحيوان ومزاجه وما يحتاج إليه في معيشته(٢)، ومن هذا انطلق تقسيم ابن أبي الأشعث الحيوانات إلى الحيوان الناري، والحيوان المائي، والأرضي، والهوائي ثم ما تركب من هذه العناصر فنجده يتحدث عن حيوان ناري هوائي وناري أرضي، وغير ذلك من أنواع الحيوانات وهو لا يترك مسألة إلا يعللها بناء على التناسب بين العناصر والأخلاط.

ويظهر أن قدماء الأطباء كانوا يهتمون بالأخلاط ويحاولون علاج المرض من خلال إيجاد التوازن بينها، فقد كانت الأسس الرئيسة في علاج الصحة العامة عند أبقراط ومن جاء بعده وهذه الأسس هي:-

١. مبدأ القوى الطبيعية.
٢. نظرية الأخلاط.
٣. نظرية الأيام البحرانية.(٣)

---

(١) ينظر : GALENS TRAKTAT, DASS DIE KRAFTE DER SEELF DEN MISCHUNGEN DES KORPERS FOLGEN.

(٢) تنظر الورقة ١٧و.

(٣) ينظر : Introduction to the History of Science, vol. ١, P.٧٣.

فالمرض عند البقراطيين يحدث بسبب غلبة أحد الأخلاط الأربعة على الجسم (الدم، البلغم، المرارة الصفراء، المرارة السوداء)(١)؛ لذلك كان العلاج يعتمد على إيجاد التوازن بينها، وقد دافع أبقراط عن هذه النظرية كثيراً(٢)، والنظرية في جملتها تؤلف الأساس للطب النظري والتجريد الذهني الذي يقوم بربط الحالات الجزئية المختلفة في وحدة متناسقة(٣).

إن ظهور نظرية العناصر الأربعة ونظرية الطبائع الأربعة المتممة لها (اليبوسة، والرطوبة، والحرارة، والبرودة) كان له أثر مهم في علوم الطب.

إن أول شرح لنظرية الأخلاط الأربعة (العناصر الأربعة، والطبائع الأربعة وحتى الفصول الأربعة جاء في رسالة نسبها أرسطو إلى بولينوس، ولقد شرحت نظرية الأخلاط شرحاً وافياً على يد جالينوس ثم استمرت هذه النظرية في التعليم الطبي الجالينوسي حتى القرن التاسع عشر ولا تزال حية إلى اليوم)(٤).

وهنا لابد أن فرقاً أساسياً بين نظرية الأمزجة الأربعة المتأخرة والنظريات السابقة، فالعناصر الأربعة، والطبائع الأربعة، والأخلاط الأربعة موجودة في كل جسم، والعافية تتبع قيام توازن بينها في كل واحد على انفراد، أما نظرية الأمزجة فهي نظرية أنثروبولوجية تعين على تصنيف البشر وكل فرد من الناس مميز بمزاج خاص(٥).

---

(١) ينظر منهج البحث العلمي عند العرب ص١٥٣.

(٢) ينظر الطب والصيدلة عند العرب ص٤٠.

(٣) المصدر نفسه ص٤٤.

(٤) ينظر تاريخ العلم ٢/٢٢٢.

(٥) المصدر نفسه ٢/٢٢٢.

مادة الكتــاب العلمية:-

احتوى كتـاب الحيـوان علـى مجموعـة كبيـرة من المعلومـات المهمـة والتـي تـدل على سعة في الأفق العلمي، وعلـى اطـلاع واسـع في العلـوم العقليـة والطبيـة والطبيعية وعلم التغذية.

ولعل من أهم الموضوعات التي ذكرها موضوع علم التغذية وكيفية إفادة الجسم من الأغذيـة في نمـاء أعضـاء الجسم، وفـي تزويـد الجسم بـالحرارة، وأثـر الأغذيـة فـي أمزجة الناس والحيوانات، وطبائع الحيوانات في كيفية تناول أغذيتها.

ومن الموضوعات المهمة التي طرحها ابن أبـي الأشعث في كتابـه هـي تصـنيف الحيوانات اعتماداً على الأخلاط الأربعة، وقد ظهر ذلك واضحاً في المقالـة الثالثـة من الكتاب عند تقسيمه للحيوان الذي ليس بمالك ولا مملوك[١].

وأشـار أيضـاً إشـارة واضـحة إلـى استخدامه المزاج أساساً للتصـنيف يقول: (وإنمـا أسمي أمة بعد أمة إذا خالف مزاج الثانية مزاج الأولـى مخالفة ذات قدر محسوس عند الجمهور)[٢].

نســخ الكتــاب:-

لـم تحـتفظ المكتبـات العالميـة المعروفـة بنـسخ كثيـرة مـن هـذا الكتـاب، وعنـدما عزمت على تحقيق هذا الكتاب بدأت بالبحث عن نسخهِ فلم أجد في المكتبات العراقية أي نسخة أصلية ماعدا تلك النسخة المصورة التـي يحتفظ بـها المجمـع العلمـي العـراقي وهـي مصـورة عن الرقـائق التـي كنـت قـد صـورتها من مكتبـة (بودليـان / أكسفورد بـرقم (MSHunt ٥٣٤)) لذا لم أعتمد عليها لأني أحتفظ بالصورة الأصلية لهذه النسخة.

جعلـت نـسخة (بودليـان / أكـسفورد) أصــلاً اعتمـدت عليـه فـي النـسخ وذلـك للأسباب الآتية:-

---

(١) ينظر مباهج الفكر ومناهج العبر ٥٧/٣ بتحقيقنا طبعة بيروت.

(٢) تنظر الورقة ٢٩و.

١. إنها نسخة كاملة تحتوي على ثلاث مقالات موثقة النسبة إلى مؤلفها.
٢. إنها نسخة قديمة فقد ورد في نهايتها أنها كتبت سنة ست مائة للهجرة.
٣. إنها نسخة مقارنة مع النسخة التي نقلت منها فقد كتب ناسخها الكلمات التي سقطت منه أثناء الكتابة على هامش المخطوطة وهذا يزيد الثقة بهذه النسخة.
٤. إن كاتبها طبيب فقد ورد في نهاية المخطوطة (نقله عبد العزيز بن علي الطبيب المتمرس).

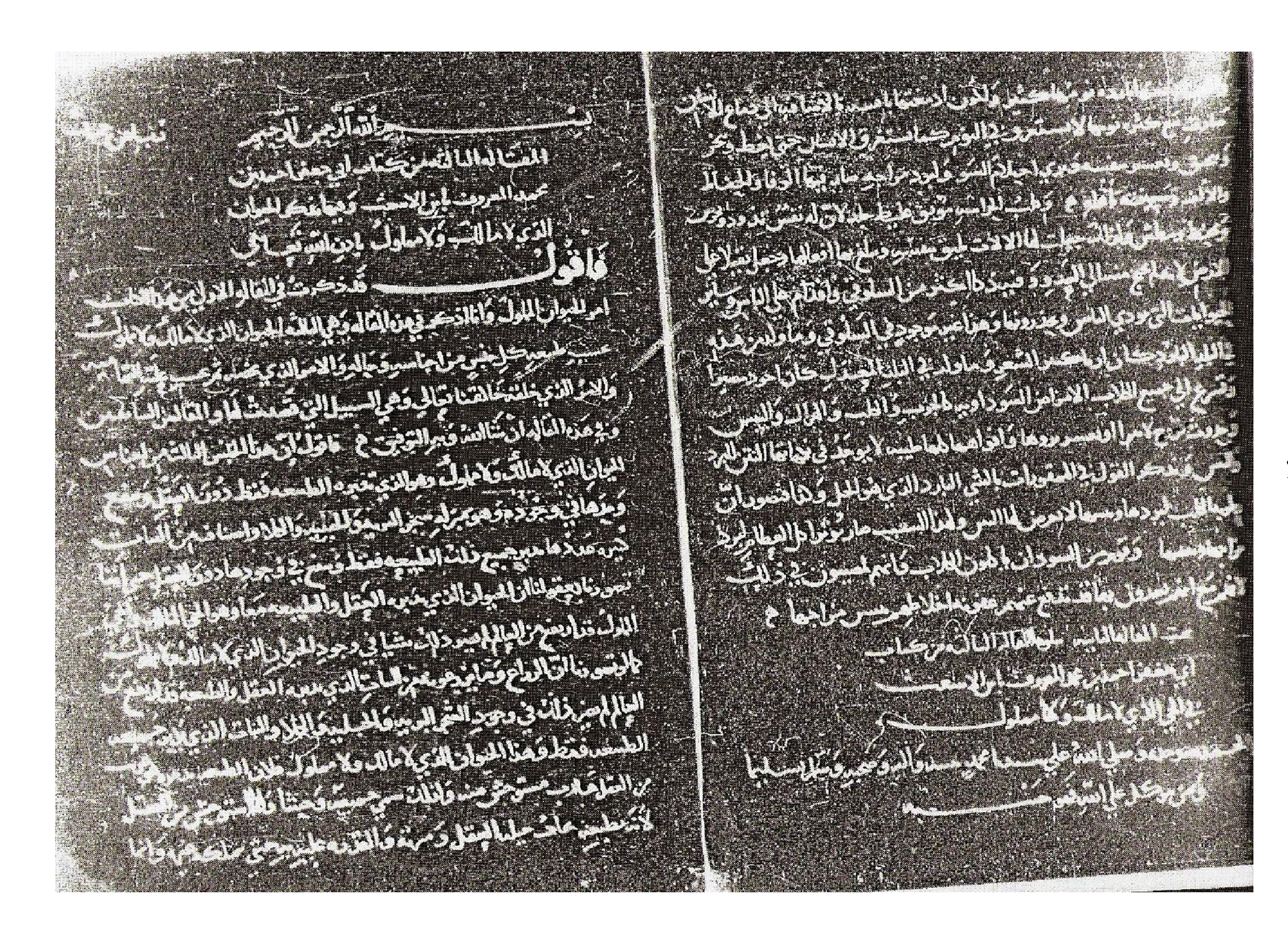
وكان عدد أوراقها ١٥٧ ورقة مكتوبة بخط واضح إلا أن كاتبها يهمل الهمزة ويكتب الألف المقصورة بالألف القائمة ولا يضع النقاط على الحروف في معظم الاحيان وهذا يزيد في صعوبة قراءة النص.

أما النسخة الثانية التي اعتمدتها وهي إحدى مخطوطات المجموع المصور الذي يحمل الرقم (٣١/١) وكان مركز إحياء التراث العلمي في جامعة بغداد قد صورها واعانني في الحصول على نسخة منها استاذي د. صالح العلي (رحمه الله تعالى) عندما كان مديراً للمركز.

وهي نسخة ناقصة من أولها ومن وسطها فهي تحتوي على جزء من المقالة الأولى والمقالة الثالثة تبدأ من (٢٨ظ) وتنتهي بـ(١٠٤ظ) وهي مشوشة الأوراق إلا أنها كانت ذات فائدة في حل الكثير من الكلمات التي لم تكن واضحة في الأصل أو امتزجت كتابتها بغيرها أو أهملت نقاطها.

ويظهر أنها نسخت في عصر متأخر لأن ناسخها كتب سبب نسخه لهذا المجموع من المخطوط يقول: (وقد كتبت هذه الأوراق لتكون تذكرة لي في الدراسة والتعلم سنة ألف و[...].





بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الثامنة من كتاب ابي جعفر احمد بن

محمد المعروف بابن الاشعث في الحيوان

الذي لا [illegible] ولا [illegible] باذن الله تعالى

فاقول قد ذكرت في المقالة الاولى [illegible]

المقالــة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يســـر برحمتـــك

المقالة الأولى من كتاب الحيوان، صنعه أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الأشعث وفيها يذكر الحي المالك.

قال أحمد:

وجود الحيوان في بعض الأرض دون بعضٍ، الوجود الطبيعي العلوي[١] لامتزاج الحر والبرد، الامتزاج الذي يمكن الحيوان البقاء فيه والتوليد، فإن المكان لكون الحيوان[٢] كالرحم لكون أنواعه، وهذا نتبينه فيما بعد إن شاء الله.

وعدم الحيوان في البعض من الأرض، العدم الطبيعي العلوي[٣]، هو إفراط الحر، أو البرد، الإفراط الذي يفسد الحيوان ولا يمكن معه وجود فيه وإنما يفرط الحر في الموضع لقرب الأشخاص السماوية[٤] منه، والشمس خاصة أعظم علل ذلك للحس لعظم جرمها وسرعة حركتها على الأرض وبعدها عن الموضع ولكن يمكّن شعاعها من الأرض < >[٥] لطبع البرد فإذا عدمت ما سخنها الإسخان المفرط، < > العدل بردها تعديلاً يمكن فيه بقاء الحيوان سلم لها < > الذي لها بالطبع ومعلوم أن الحر البسيط لها بالطبع < > مهلكان للحيوان والمعمور من الأرض على ما يبس في مواضع القريب، وينبغي أن تتقدم في معرفتها قبل قراءة كتابي،

---

(١) الوجود الطبيعي العلوي:- أي الوجود الذي لا دخل للإنسان به.

(٢) كون الحيوان:- تولده.

(٣) العدم الطبيعي العلوي:- العدم الذي لا دخل للإنسان به.

(٤) الأشخاص السماوية:- الاجرام والكواكب.

(٥) الاشارة < > معناها ان الكلمة مطموسة.

وكذلك اليم[١] والعرض والطول والسبب الذي له صارت الأقاليم <   > ولا أكثر، ثم تتبع ذلك بقراءة هذا الكتاب <   > له القول فيه أن تنظر في ذلك بين <   > / [١ظ] السودان إلى المسكن الذي فيه الصقالبة، ويعرف الحال في المزاج بتغاير الأمتين والسبب في تغاير ألوانها إلى غير ذلك من أحوالهما ما هي وكم هو، وكيف هو ثم يتبع ذلك بحال الأمتين اللتين بعدهما مهما الأتراك ومن يجري مجراهم مما يلي الصقالبة والسند، وما يجري مجراهم مما يلي السودان ثم حال الأمتين اللتين تلي كل واحدة منهما، من السند والترك الروم، [و] والروسية واللان والكاسك والسريرية والأندلس ونحوهم مما يلي السند والهند، ومن يجري مجراهم، وهم أهل الحجاز واليمن وتهامة واليمامة والبحرين وبواديهما، ثم يأتي بالقول في الأمة المتوسطة من هذه الأمم وهم ساكنو الاعتدال والمطيفون به إلى تخوم الروم ومن جرى مجراهم إلى تخوم العرب، وهم أهل الحجاز، ومن جرى مجراهم ومن نسميهم السمر ونسمي السند والهند الأدم[٢]، ونسمي من بعدهم السود، ونسمي الصقالبة الحمر، ونسمي الترك ومن جرى مجراهم الشقر، ونسمي الروم ومن يجري مجراهم البيض وأهل الاعتدال ومن أصناف به توجد فيهم كل هذه الألوان مفردة وممتزجة لميل أمزاجهم نحو أطراف العالم وأسباب سنذكرها إذا أخذنا في القول فيهم إن شاء الله.

وقد ينبغي أن أبين ما معنى قولي أُمّة، ولم صاروا سبع أمم وهل هذا وضع وضعناه نحن أم من قد تقدَّمنا، أوليس الأمر كذلك وإنما هو شيء في الطبع بينا نحن عن معناه، فأقول: إن معنى قولي أمة هو لصنف من الناس يكون في مسكن من الأرض قد باين مزاجه وطبعه المسكن مباينة ذات قدر فسادت بذلك صور أهله وأمزاجهم وأخلاقهم صورهم وبأهل المسكن الآخر وأمزاجهم وأخلاقهم مباينة ذات قدر محسوس معلوم عند الجمهور من الناس وهذه الخلال لأهل المسكن عن الأجرام

---

(١) أي عليك الالمام بمعلومات خطوط الطول والعرض والتي بسبب الاختلاف فيها تظهر الاختلافات بين الاقاليم.

(٢) الأدم : من الناس الأسمر.

السماوية لوضعه فيها لا يحسب ما لعله يعرض من الاختلافات الأرضية فبالاستقراء أو التصفح، وما أدرك بالمشاهدة وعرف بالعيان وجدناهم سبع أمم في سبع مساكن.

هذه المقالة أربع جمل تشتمل:-

الجملة الأولى من أجناس الحي المالك وأنواعه:

أ. في أجناس الحي المالك.

ب. في استخراج أنواع الحي المالك بحسب ما توجبه مساكنه.

الجملة الثانية في الإفراط الحار[١]:-

أ. في ذكر طبائع أهل المسكن الأول من الإفراط الحار وأحوالهم وهم السودان[٢] ومنهم الزنج والحبشة والنوبة[٣] ومن يجري مجراهم.

ب. في ذكر طبائع أهل المسكن الثاني من الإفراط الحار وهم السند والهند ومن يجري مجراهم.

جـ. في ذكر طبائع أهل المسكن الثالث وهم السمر وهم أهل الحجاز واليمامة والبحرين ونجد ومن يجري مجراهم.

الجملة الثالثة في الإفراط البارد:-

أ. في ذكر طبائع أهل المسكن الأول من الإفراط البارد وأحوالهم وهم الصقالبة.

ب. في ذكر طبائع أهل المسكن الثاني من إفراط البارد وهم الأتراك والبختال والخزر ومن يجري مجراهم.

جـ. في ذكر طبائع أهل المسكن الثالث وهم فريق من الروم والأرمن وإلآن والكاسك والسومرية ومن يجري مجراهم.

الجملة الرابعة في المسكن بين الإفراطين <   >[٤].

---

(١) الإفراط الحار: يريد به شدة ارتفاع الحرارة.

(٢) يريد الجنس الأسود.

(٣) اهل التوبة يعيشون جنوب مصر.

(٤) كلمة ساقطة اظنها (أ في ذكر) من خلال السياق.

أ. الاعتدال فيهم المزاج العرضي والمزاج الطبيعي < >// [٢ط] سبباً لوجود المعتدل من الناس فيه دون غيره ولذلك سلم فعل الطبيعة حتى يوجد لكل عادة صورتها على التمام من غير لينونة.

ب. في ذكر الحال في الجسم المعتدل من الناس وسجاياه وسحنته.

جـ. في ذكر السبب في فعل أمزجة ساكني الاعتدال إلى صنفي التضاد واختلاف الأخلاق والخلق والسجايا والسحنات.

د. في ذكر أحوال النفوس في الأبدان غير المعتدلة[١] في المسكن المعتدل.

هـ. في تكوّن الأنفس من نفس وفي أن السبب الفاعل لذلك وفي بقايا ما سبيله أن يبقى من الأنفس الناطقة وثوي[٢] ما يثوى فيها بحسب ما يليق بكتاب الحيوان.

و. المخالفة بين الذكر والأنثى لم هي؟ وكيف هي؟

ز. في مزاج الخصيان وأحوالهم في مخالفتهم الفحول.

ح. في الحال الخارجة عن المجرى الطبيعي في صورة التذكير والتأنيث لسوء مزاج الأنثيين[٣] وضعفهما عن هذا الفعل.

ط. في تغير مزاج ساكني مدن وجبال وبراري وبقاع من الأرض في المسكن المعتدل وما أطاف به بسبب أحوال الأماكن ووضعها في الأرض لا بسبب وضعهما في الفلك.

ك. في القول في ساكني العراق ومدنه الكبار.

(الجملة الأولى في أجناس الحي المالك وأنواعه)

البــاب الأول

(في أجنــاس الحي المــالك)

(١) في الأصل وردت (الغير معتدلة).

(٢) ثوي: ثوى في المكان أي أقام فيه.

(٣) الأنثيين: الخصيتين.

الحي الكائن كله ينقسم ثلاثة أقسام: أحدهما حي مالك، والثاني حي مملوك، والثالث حي لا مالك ولا مملوك.

فأما الحي المالك فهو المدبر نفسه بقوى النفس الناطقة والذي يُدبر بالطبيعة وبالقوى الطبيعية الموجودة في كل النامي، وهذا في الإنسان فقط، والحي المملوك هو الذي تدبره الطبيعة بقواها // [٣و] ويدبره العقل من خارج لأن قوى النفس الناطقة ليست له من ذاته وإنما هي له من حيث إنه مملوك ومدبر، وهذا الجنس كالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والمعزى ونحو ذلك من سائر الأنواع التي تحت هذا الجنس، فإن هذه وما أشبهها لو فارق ملك العقل لها لبادت ولم تكفِ الطبيعة في بقاء أنواعها وتولد أشخاصها، وبقاء المتولد إلى أن يبلغ المنتهى[(١)].

والحي لا المالك ولا مملوك هو الذي تدبره الطبيعة فقط كالظباء والحمر الوحشية[(٢)] واليحامير[(٣)] والأراوي[(٤)]، ونحو ذلك من سائر الأنواع التي[(٥)] تحت هذا الجنس من دواب الوبر والريش والفلوس[(٦)] والأصداف ونظائر هذه مما لا يملكه الناس ولا ينتفع العقل في وجوده وبقائه وتدبيره، وهذا النوع من الحي شبيه بالكلأ من النبات وبالشجر الجبلية والبرية التي في الطبيعة، وحدها تنفع في وجود أشخاصها وبقاء أنواعها، وليست محتاجة إلى تدبير الإنسان لها في أن يزرعها وأن يربيها، والنوع الذي يدبره العقل من خارج والطبيعة معاً من أنواع الحي فهو أشبه شيء بالزرع من الحنطة

---

(١) لا نوافق المؤلف في ما ذهب إليه حيث أن الطبيعة يمكنها أن تكفي هذه الحيوانات فيما لو تركت على حالها مثل بقية الحيوانات التي تتكفل الطبيعة بمعيشتها.

(٢) ويسمى العير والفرا. ينظر اللسان مادة (فرا).

(٣) واليحمور من نوع البقر الوحشي.

(٤) والاروية من نوع الضأن وتسمى الضأن الجبلي.

(٥) في الأصل الذي.

(٦) يقصد بها الأسماك.

والـشعير والحبـوب والثمـار وسـائر الـشجر والنبـات الـذي لا يمكـن وجـوده إلا بـزرع الإنسان، وتدبيره إياه.

وأما النوع الذي هو الإنسان فإنـه أشبه شـيء بالملك، لأنـه لا يعقل أن لـه ربـاً يعرفـه ويعقل عنـه ويعرفـه الرشد مـن الغـي، وهـو مكلـف كمـا أن الملـك مكلـف وإنمـا يخـالف الإنسان الملك فـي أن الأُول والثواني التـي هـي عند الإنسان كذلك هـي عند الملـك فـإن الإنـسان يـستدل بـالأُول ويـستخرج منهـا الثـواني < > // [٣ط] ومـن الثوالـث الروابـع ويرتقـي فـي ذلـك، والملـك يـرى كـل هـذه المنـازل كمـا يـرى بـالأول، ولا يحتـاج إلـى اسـتدلال بظـاهر علمـي خفـي، وأمـا نقـصان وجـود الإنـسان وبقـاؤه بالعقل والطبيعة معاً وإنه لم يكف بالطبيعة وحدها في وجوده وبقائـه فذلك معروف من تدبيره لمأكلـه ومشربه ومسكنه ولباسـه فإن في انتفاعـه بالغذاء الحار والشراب البارد معاً في وقت واحد لموضـع تعجب لأن الغذاء الحـار أعنـي أنـواع المطبوخـات والمشويات تحفظ مزاج المعدة علـى حرارتهـا فيكون ذلك أوكد الأسباب فـي جودة الهضم وقد عرف هذا غيـر الفلاسفة من ذوي الفطـر السليمة والقرائح الجيدة فهم إذا أكلـوا جنـدباً[١] بـارداً أو لحماً غيره اتبعوا ذلك بما يسخن مزاج معدهم ويعينها على الهضم وإذا أكلوا ذلك سخناً لم يحتاجوا إلى شيء من ذلك.

وأمـا الـشراب البـارد فإنـه ينمـي الحـرارة المنبعثـة فـي الـشرايين إلـى المعـدة وآلات الغذاء بأنـه يخـصف الشرايين ويقبـضها فينتقل مـا يتحلـل منهـا فتقوى كيفيـة الحرارة فيهـا وإن الجـرو[٢] مـن المـاء البـارد الـذي ينـزل فـي قـصبة الرئـة إلـى الـبطن الأيـسر مـن القلـب[٣] ينمـي جـوهر الـروح الحيـواني ويعـدل كيفيتـه بـأن يخرجهـا عـن حـد مـا يـسوي ويحرق إلى حد ما يطبخ وينضج، وقد أخذ القول حقه بحيث ما يستحقه هذا الموضـع

---

(١) الجندب: نوع من الجراد.

(٢) الجرو: إناء صغير.

(٣) هذا لا يقره العلم الحديث حيث إن كل الأغذية والأشربة تذهب عن طريق المريء إلى المعدة فالأمعاء ثم إلى بقية أجزاء الجسم.

وأنا أرجع إلى حيث خرج في الاشتراك في القول إلى أن يكتب كيف انتفاعه بالغذاء الحار والماء البارد، وإن صنعة الإنسان أيضاً الخبز من الحنطة وتدبر اللحم بالتوابل وطبخه إلى مقدار ما، وما يخلط بذلك من البقول والتوابل والحبوب لعجب أيضاً، وبالجملة فإنه يأكل أشياء // [٤و] مجموعة حتى [تسحبه لواحد من واحد منها قدر الشبع مفرداً قبله أو ضره] لكانت عظيمة ولكانت النفس تعافه وتكرهه وتأباه فإذا ألفه العقل [دفع] غيره ودبره استهوته النفس بعد ذلك، واشتاقت إليه واستلذ به، أترى ان هذه استخرجها غير العقل الذي به عرف ربه وعقل عنه وإن ذلك وجد فينا بغير وقع الإقرار به، فقد وضح أن الطبيعة وحدها غير حازمة في وجود الإنسان وبقائه ألا ترى بأنها صنعت له حنطة وخبزاً أتراه كان يقمح الحنطة ويفترس الحيوان وقال: لو فعل ذلك نفع في بقائه ونموه وعدائه، وكفاه من التدبير الذي استعمله وإنما اتبع في ذلك اللغة كان عندنا في وزن من لم يعلم أن الشكل يحفظ شكله والضد ينتفي منه ضده وإنه في وزن من لا يفرق بين الغذاء الذي يحفظ مزاج الإنسان على صحته وأحسب أنه قد تبين مما تقدم ان تدبير الإنسان لمأكله ومشربه واجب ضروري فإنه بذلك يصير له غذاءً وشراباً، فأما قبل تدبير العقل له فليس بغذاء على الكمال بل هو شيء يكون منه للإنسان غذاء فإن الحنطة ليست غذاءً كاملاً للإنسان بل هي شيء يكون منه غذاء لأنها إذا كانت خبزاً كانت غذاء للإنسان، ولا اللحم غذاء أيضاً بل إذا صنع منه، وإنما هو في حال ما هو لحم في غذاء للسباع من ذوات الأربع والجناح والسابح، وكذلك الحبوب من الحنطة والشعير وغيرهما غذاء للحيوان الناطق إذا صنع ودُبّر صار حينئذ غذاء للإنسان، وفيه قول في هذه < > قولاً مستقصياً إن شاء الله. < > // [٤ظ] البذور والنبات على سبيل الاشتراك في معنى الغذاء، والإنسان أيضاً قد يدبر حال مسكنه فيسخنه متى برد الهواء بالنار وبالأغذية والأشربة والأدوية واللباس والرياحين والدخاخين، ويفعل ضد ذلك متى سخن عليه الهواء وهذا الفعل وجميع ما تقدم ذلك على تدبير العقل له وقد تركت أشياء كثيرة قوتها هذه القوة ومعناها هذا المعنى على قارئ كتابي هذا، وأنا قاطع قولي في تدبير العقل للإنسان

ومقبل على الأول في وجوده وبقائه، فأقول: إن الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم والمعز وسائر ما جرى مجراها، ذا أربع كان أو ذا جناح أو غيرهما بالقوى الطبيعية فيه كما هي في الحي المالك والحي المملوك والحي الذي لا مالك ولا مملوك مثلاً بمثل، إلا أن تقوم هذه الحركات في الحي المالك والحي المملوك بالعقل فإن الإنسان هو المؤلف ذكورها مع إناثها ومدبرها في حملها ومولدها ومدبر أطفالها ومدبر مآكلها ومشاربها ومساكنها ومرابعها وحافظ صحتها عليها متى كانت موجودة ومسترجعها متى كانت مفقودة، ولو أخذ آخذ بعقله أن الإنسان قد خلا من موضعه من مواضع الأرض لم يمكن وجود شيء من هذه الحيوانات المملوكات فيه، ولا أعلم أن أحداً ذكر لنا أن نوعاً من أنواعها بمكان لا إنسان فيه وإنما هي ملك الإنسان خلقت له لينتفع بها وقد قلت إنها شبيهة بالزرع والزرع مرتبط الوجود مع الزراع والمملوك مع المالك موجودين معاً وهذا <   > إن كانت تطاير كثيره فقارئ كتابي قادر على فهم ما يجري هذا المجرى إذا تحير قلبه في هذا المعنى ومقبل على الحي // [٥و] [الذي][١] لا مالك ولا مملوك، فأقول إن الحي الذي لا مالك ولا مملوك أكثر من الحي المملوك أنواعاً، وكيفياته متباينة جداً حتى إن فيه شديد الشبه للإنسان، ومنه بعيد جداً عنه[٢] ومنه ماش ومنه سابح ومنه ما ينساب على الأرض كالحيات ومنه بين الساعي والمنساب كالعظايا[٣] والوزع[٤] وأم جين[٥] ونحو ذلك، ومنه ما يشبه كأشباه الحلزونات، ومنه بين الحيوان والنبات كالجراد[٦]، ومنه

---

(١) الزيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل عنهم.

(٣) في الأصل كالقطا والعظايا وهي رتبة خاصة ضمن تصنيف الحيوانات والعظايا وتسمى شحمة الارض.

(٤) وتسمى السام ابرص وهو من فصيلة الزحافات.

(٥) وهي من الزواحف.

(٦) جعله الجراد بين الحيوان والنبات غير قائم على أساس علمي.

المتعاديات كالدلق والحية، وسنذكر الحال في كل واحد من هذه إذا تكلمنا فيها، فأما الآن فإنما قصدي أن أبين أن الطبيعة وحدها كافية جارية في وجود جميعها بأنه لو رفع إنسان بفكره الحيوان المالك والمملوك لم يضر ذلك في وجود هذا النوع الذي لا مالك ولا مملوك. ومن أنواع هذا الجنس ما يوجد في جميع الأرض كما يوجد الحل[١] في جميعها، ومنها ما يوجد في موضع دون موضع كما يوجد في شجر الجوز والبلوط بأرض لا يوجد بها شجر النارجيل[٢]، ولا شجر التمرهندي، فقد وضح مما قلنا إن القسمة التي قسمنا الحي إليها صحيحة وإنها ثلاثة أنواع تحت الحي أحدها المالك والثاني الحي المملوك والثالث الحي الذي لا مالك ولا مملوك.

وأنا أفرد هذه المقالة بالقول في الحي المالك، والمقالة الثانية بالحي المملوك، والمقالة الثالثة بالحي الذي لا مالك ولا مملوك ثم أقطع بعد فراغي من المقالة الثالثة القول في كتابي هذا الذي وسمته بكتاب الحيوان، وإنه لقريب التناول كبير النفع في الطبيعيات والطب كافٍ وافٍ في معناه // [٥ط] والله جل ذكره أسأل توفيقاً وتسديداً وإرشاداً فإنما نحن به، له، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد وآله وسلم تسليما.

الباب الثاني

في استخراج أنواع الحي المالك بحسب ما توجبه[٣] مساكنه

جميع الناس وإن عمهم حدٌّ[٤] واحد يحصر نوع الإنسانية له فإنه قد يعترض لهم اختلاف بحسب مساكنهم، حتى تباينوا في الخلق والأخلاق والأمزاج والألوان وفي الحكمة والجهل والنجدة والفزع والشدة والضعف، حتى يعرض للحي الذي هو أعلى من الإنسان اختلاف بحسب مساكن أنواعه، حتى تتنوع بحسب تلك المساكن وتتباين

---

(١) يريد كما يوجد الوجود في جميعها.

(٢) وهو شجر يتخذ منه الاثاث الفاخر وخشبه صلب.

(٣) في الأصل يوجبه.

(٤) حد الشيء منتهاه واستخدمه المناطقة للدلالة على قيد التعريف.

أعيانه[١] وإن كانت محصورة كلها تحت الحي تقبل اسمه وحَدَّهُ وهي السابح والماشي والطائر وجميع السابح خلقت له آلات السباحة لتتم له حركة النقلة[٢] في المكان المائي وكذا الحال في جميع الماشي خلقت له آلات المشي لتتم له حركة النقلة على الأرض وكذا الحال في الطائر خلقت له آلات الطيران لتتم له حركة النقلة في المكان الهوائي وبهذا الخلق والآلات تباينت أعيان أنواع الحي وتنوعت فقد صارت الخُلق والهيئات للأماكن بحسب خَلْق الأعضاء وهيأتها للنفس ولما كانت حياة كل نفس إنما تكون في مكان دون مكان لا بحسب الإمكان، وهذه أبسط الطبائع، وقد تحدث من هذه تراكيب سنذكرها فيما بعد عند عرض نوع الإنسانية أو شبيه به حتى صار المسكن سبباً لأن تكون فيه كما إن أرحام الحيوان أسباب فاعلة لما قد يحدث // [٦و] فإن السبب في فساد مني الإنسان في رحم الفرس هو إنها تروم أن تعمل منه فرساً كما وهب لنا خالقنا من القوة فقط ومنعها القوة التي تعمل إنساناً وهذه القوة هي المسماة عندنا طبيعة أي قوة الباري في تلك الآلة، وقيل له طبيعة لأنها تلزم شيئاً واحداً ولا يقوى على الشيء وضده كالحال في الفعل الإرادي وقد حدت الطبيعة في هذا الموضع بأنها قوة من الباري جل اسمه مدبرة لبدن الحي، وقد نرى ذلك في آلات التجارة مثلاً بأن الفأس له قوة تنحت بها، وخلقه تليق بتلك القوة وكذلك الأذن لها قوة وخلقه تليق بتلك القوة وكما إن الفأس تنحت بها الأجسام المواتية[٣] للنحت كذا العين إنما تبصر الملونات فقط والمنشار إنما يقطع الأجسام المواتية للقطع كذا الأذن إنما تسمع الأصوات فتدركها، ولا تدرك الألوان، فإنهم مثل هذا في مني الإنسان في رحم الفرس، إن مني الإنسان غير منفعل ولا مواتٍ، لأن يكون منه فرس، ولا الرحم قوته

---

(١) عين الشيء خياره، وعين الشيء نفسه وقد يراد بها أنواع الشيء.

(٢) الحركة على نوعين حركة تؤدي إلى الانتقال من مكان إلى آخر وهي حركة النقلة، وحركة لا تؤدي إلى الانتقال وتسمى حركة الموضع مثل حركة يد الإنسان إلى الأعلى فهي بالنسبة لموضعه الكائن فيه لا تعد انتقالاً.

(٣) يريد المواد القابلة للنحت.

على أن يفعل منه ما في قوته فيفسد بهذين السببين كذلك فأفهم الأمر في المساكن أن خالقنا جل ذكره بالقصد الأول والحركة البالغة، خلق لها مواد مختلفة من مواد الناس والحيوان والنبات تنفعل بقواها وتقوى على أن تفعله فيتم بوجود هذين الأمرين كون المتكونات وبقاؤها فيجب بما قدمنا أن المسكن مشارك للرحم في تكوين الحيوان وهو للنبات بمنزلة الرحم، فالإنسان قد يكون أصنافاً بالأماكن كما تنوع الحي بالأماكن وإذا هذا قد صح بطريق القياس، وقد شهدت المشاهدة أن الأمم سبع أمم أحدها السودان، وهم الزنج والحبشة والنوبة، ويتلوها أمة ثانية وهم السند والهند ومن يجري مجراهم ويتلوها أمة ثالثة وهي الروم ومن يجري مجراهم، ومن هذه الثلاثة التي تلي الإفراط الحارة، والثلاثة التي تلي الإفراط // [٦ط] الباردة أمة متوسطة وفيهم يوجد المعتدلون وأهل الحكمة وأنا أفرد لكل واحد من الإفراطات جملة ولكل أمة من الأمم الساكنين كل إفراط باباً أفرده بتلك الأمة وأجعل قولي في ساكني الاعتدال وأنفسهم وحال المعتدل في جسمه ونفسه وأصل بذلك أموراً تقتضي حال ساكني الاعتدال والقول فيها وأفرد لكل فن من ذلك باباً.

من الإفراط الحار وأحوالهم وهو السودان[*]:-

قد ينبغي أن نتبع ما تقدم من القول في المساكن القول في طبائع ساكنيها وألوانهم وأخلاقهم وأمزاجهم وسائر أحوالهم لأن القول في المساكن إنما هو توطئة وتمهيد لما نحن ذاكروه إذ كان الغرض في كتابنا هذا إنما هو القول في الحيوان لا القول في المساكن والأهوية[١]، وأنا أبدأ بالقول في ساكني الإفراط الحار الذين هم السودان، وأجعل له أصلاً من قول بقراط[٢] والمبين عنه جالينوس[٣] وأشياعهما، وهو (إن السودان حارين بالحرارة العرضية باردين بالحرارة الطبيعية) فإذا سلم هذان

(*) المقصود بالسودان الحبشة والزنج والنوبة على ما سيذكره بعد ذلك.

(١) الاهوية يراد بها المناخ.

(٢) احد اعمدة الطب القديم وما زالت بعض افكار يتداولها الناس.

(٣) طبيب له كتب كثيرة شرح ابن ابي الاشعث بعضاً منها.

الحكمان لقائلهما فقد وجب من قرب أن السودان حارين يابسين بالحرارة واليبس العرضيان وإنهم باردين رطبين بالحرارة والرطوبة الطبيعتان وإنما لم يأت بقراط في القول في الكيفيتين المنفعلتين كما أتى به في الفاعلتين لأنه رأى وجوب ذلك واضحاً بيناً وجرى على عادته في الإيجاز، وأما كيف السودان بهذين الكيفين فإن الشمس لما كانت عند طلوعها عليهم وملاقاة شعاعها أبدانهم قد سخنتهم وفلفلت شعورهم وبسوداء جلودهم إلى غيرهما مما سنذكره اجمعوا يابسين بالحرارة واليبس العرضيتين ومعلوم إن الحرارة واليبس // [٧و] العرضيتين اللذين فعلا في ظواهر أبدانهم ما فعلا واستوليا عليها لو قويا قوة تصل بها ذلك الفعل منهما إلى أن يفعلا في باطن الأبدان ما فعلا في ظاهرها من الأبدان، كانت تحترق وتلتهب فيها نار، لفسدت[١] الحياة قبل إفساد هذه الأبدان بالاحتراق وهذه الحال بعينها هي التي منعت وجود الحيوان في كل الإفراط الحار. وإذا كان هذا هكذا، فالحرارة واليبس العرضيان إنما فعلا ذلك في سطوح الأجسام الخارجة والأعضاء التي تلي الجلد كما سنبين، فأما القلوب والشرايين والمعدة والأحشاء والأدمغة ونحو هذه فليست كذلك وإن لم يكن كذلك فهي بالإضافة إلى ما قد سخن حتى احترق باردة، فقد وضح صدق قول الفيلسوف المقاله[٢]: إن السودان حارين يابسين بالحرارة واليبس العرضين باردين رطبين بالحرارة والرطوبة الطبيعيتين وقد ينبغي أن قلوبهم في صنفهم أبرد من سطوح أبدانهم لأنه يعرض لأجوافهم شبيه بما يعرض للآبار والسراديب في الصيف وذلك أن الشمس إذا سامتت[٣] موضعاً من الأرض أحدثت شعاعاً في نصف كرة الأرض كانت تلك المنفعة المسامتة وسط دائرة الشعاع أشد البقاع حراً حتى يكون طرف الشعاع أعني المحيط ليس بحارٍ والشمس لها بالطبع أن تسخن وتجفف ما تلاقيه اما أسخانها

(١) في الأصل فسد.

(٢) أي الذي قاله.

(٣) أي قابلته.

فبحرها واما تخفيفها فبيبسها، وقد عُرف من الآثار العلوية[١] إنها تجبر إليها، إذا كانت هذه حالها من الأرض بحرارتها ونفس طبعها، الجوهر الحار الرطب ليكون ذلك مادة للمطر والطل والثلج، والجوهر الحار اليابس وهو المسمى بخاراً دخانياً تجبره ليكون مادة للرياح وفعلها ذلك يقوى إذا اجتمع مع مسامتتها ان تقرب من موضع الأرض كحالها // [٧ط] في جلد السودان وهي تدفع هذين البخارين وتحركهما نحو البلد البارد وإذا فعلت ذلك في باطن الأرض غلب الأسطقس البارد اليابس الذي هو طبيعة الأرض على مزاج السراديب والبيوت الكنينة[٢] وبردت ومن أعدل شاهد على هذا أن هذه المواضع في الليل تعود حارة وهذه[٣] عند مفارقة الشمس سطح الأرض، والسبب أيضاً الذي له يوجد كون ما يتكون من المياه التي تكون منها الأعين والينابيع، ويولد ما يتولد والمعادن في أعماق الأرض، وحيث تبعد من سطحها الخارج هو لأن فعل الشمس ينقطع عن هذه الأماكن ويعجز عن تغيير شيء فيها، أو جذب شيء من تلك المواد فيسلم بهذا السبب للقوة المكونة التي في أعماق الأرض بالطبع فعلها، وذلك لأن ما كان من المواد على مقدار يمكن الشمس أن تجبره إليها جذبته إلى العلو لتعمل منه ما قدمنا ذكره وسائر أحداث العلوية[٤] كالشهب والنيران فإن هذه إنما تحدث من أبخرة حارة وإذا كانت هذه المادة في أعماق الأرض علت منها القوة المكونة النفط والقير والكبريت، وما كان فوق هذا المكان، وللشمس قوة أن تجبر المادة لم يكن في ذلك المكان يولد حجراً من طين يكون ينبوعاً من بخار رطب ولا يولد ريح يحفزه ويخرجه من باطن الأرض إلى سطحها لأن الشمس أجبرت المادة إلى العلو ولم تحلها، والقوة المكونة وهذه أمور إنما أتيت بها هاهنا لأني قوي عليها وهي مفهومة مبرهن عليها في الآثار العلوية فتصور هذا بعينه من فعل الشمس لظاهر

---

(١) الآثار العلوية ما يحدث في الأفلاك من حركات تؤثر على الحيوان والأنواء.

(٢) أي البيوت المستوردة التي تحافظ على ثبوت درجة حرارتها.

(٣) أي وهذه الحالة.

(٤) يوضح هنا كيفية حدوث ظاهرة الشهب وهو تعليل بعيد عن أرض الواقع.

أجسام السودان وباطنها فإني أسلك للقول في طبائعهم طريق برهان النظير[١] وإن لمدنهم أحوالاً تختلف في قرب // [٨و] الشمس، [و][٢] ومساقتها كذا لسوادهم، وشعورهم وأمزاجهم وسائر أحوالهم، منها أحوال مختلفة بطريق الأقل والأكثر لاختلاف يجمحون به من أمة إلى أمة فشعورهم التي بالقصد من الطبيعة سود حالكة جعدة متفلفلة أشبه شيء بشعر قد أدني من النار حتى شيط، وأدل دليل على أنه متشيط ميت لأنه لا ينمي ولا يطول وأنه ينتثر ويسقط ويخرج مكانه دائماً وآذانهم زعر[٣]، وجلودهم ناعمة لأن البخار ليس تصعده الحرارة من أعماق أبدانهم إلى سطوحها فتعظم مسامهم وتكثر شعورهم، ويمدها البخار فتطور، وإنما الأمر بالعكس لأن الشمس تجبر ما في أبدانهم من مواد الشعر فلا يحدث فيها الشعر ولا تخشن جلودهم لتنقيه الشمس أوساخ أبدانهم واجتذابها إياها إلى خارج، وكذلك الإباط منهم كريهة الرائحة بأكثر مما يوجد في غيرهم، وفي سطح أبدانهم زنوخة[٤] لابثة لحركة أوساخ أبدانهم نحو الجلد، وأفواههم طيبة وأسنانهم نقية لا توجد عليها أوساخ وأجوافهم سليمة على الأكثر وصبرهم على الأعمال أكثر، من شدة أبدانهم لأن صبرهم بالنشاط والفرح لبرد قلوبهم، وقلة شدتهم لكثرة ما يتحلل من أبدانهم وليس تجهدهم الأعمال لبرد قلوبهم ومعلوم أنه إذا كانت القلوب باردة كان التنفس صغيراً بطيئاً متفاوتاً، وإذا كان ذلك كذلك لم يجهد المتنفس نفسه ولم يعرض له النهج[٥] وكل ما يدخله من الهواء اليسير جارياً فأمكن لذلك أن تطول مزاولته الأعمال وصبره عليها. وأعجازهم أثقل من صدورهم وآلات التوليد فيهم أعظم من غيرهم ولبرد قلوبهم صغرت // [٨ظ] –علته

---

(١) وهو احد انواع القياس.

(٢) الزيادة يقتضيها السياق.

(٣) زعر قليلة الشعر.

(٤) زنخ الدهن إذا تغير.

(٥) النهج: تتابع التنفس.

عند كليهما[١] كما في ساكني الإفراط البارد، فيما بعد إن شاء الله– وقد ينبغي أن أذكر السبب في عظم أعجازهم وأعضاء التوليد منهم، فأقول إن ساكني المدن المعتدلة من الناس والخيل والبغال والحمير ونحو هذه، الصدور[٢] من ذكور هذه كلها أعظم من الأعجاز وإناثها أعجازها أعظم من صدورها ومعلوم إن ذلك لزيادة حرارة قلوب الذكور على قلوب الإناث وبطونها، وسأذكر هذا في الباب الذي أذكر مخالفة الذكور الإناث، فأما عظم أعجاز الإناث وبطونها وزيادتها على الصدر فلأن قلوبها أبرد من قلوب الذكور فليس يعظم الصدر فيهم إلا بقدر المادة فقط، لأنه ليس يعرض للقلب أن يمدده ويبسطه بأكثر مما توجبه المادة إلا أن يقع ذلك في الفرط بسبب مزاج امرأة بعينها قد باين مزاجها مزاج الإناث ومال إلى مزاج الذكور معلوم أنه إذا كانت قلوب الإناث باردة فجميع البدن بارد، وأغذيتهم فيها شهوة ويلزم من ذلك أن تكون أبدانهم خصبة رطبة شبه أبدان الأطفال وما تخفى به من الغذاء كبير من أجل سببين أحدهما أن الدم يتوفر على الأعضاء أكثره للتغذي ويكون القليل منه مادة للحرارة التي في القلب والعروق الضوارب، وسأشرح هذا في الباب الذي أذكر الخصب والقصف وأسبابهما إن شاء الله، والآخر أن الأعضاء البعيدة من القلب تقل وتعظم لبردها، والأعضاء الباردة بركتها الشحم وسأذكر علة أخر إذا ذكرنا المخالفة بين الذكر والأنثى وإذا كان هذا هكذا فبحق صارت أعجاز السودان عظيمة لبعدها عن القلب وبعدها عن آلات الغذاء ولأن أهل هذا المزاج كثر الفضل[٣] فيه والأخلاط[٤] البنية // [٩و] تطلب أسافل البدن فقد تغتذي أعجازهم بأكثر مما تغتذيه غيرها ولأن لحم

---

(١) في الأصل كلاهما، ويقصد أن علته الصغر هي نفسها عند ساكني الإفراط الحار الذين سيأتي ذكرهم فيما بعد.

(٢) في الأصل الصدر.

(٣) الفضل ما يستفرغ من البدن وهو على نوعين اللطيف الرقيق مثل الصديد والغليظ ويقال له الوسخ. انظر التأني لشفاء الأمراض ص٤٦٩.

(٤) الأخلاط: هي الدم، البلغم، المرة الصفراء، المرة السوداء، المصدر نفسه ص٢٩.

العجز متخلخل فيه أفضية، وهو مختلط من لحم وسمين صلب وهو أشبه شيء بأسنمة الثيران، فقد تقبل غذاء أكثر، كما أن اللحم الرخو يقبل من الغذاء أكثر مما يقبله اللحم المفرد، وهذا ظاهر لكل أحد في الأثداء والأنثاوين والغدد، وقد يعظم منهم الفخذان والساقان ببعض هذه الأسباب وتنحف منهم الأعضاء ذو الأذرعة وتوجد فيها صلابة على الأفخاذ ليكشف هذه المواضع من الشمس ولأن الغذاء الذي نقل تصعده إلى أعالي البدن وليست مباشرة الشمس وغلظ الأخلاط وسخونتها لا توجد فيهم الجهم الوجه البتة وهو المدور الوجه العظيمه الممتلئ الخدين كما يرى ذلك في الترك بل الأمر فيهم بعكس ذلك يوجدون سهلة خدودهم بادية وجنتهم عاري الوجوه من اللحم لعسر جِرْيَةَ أغذيتهم إلى أعالي البدن ولأن ما يجري إليها مما يمكن أن يطلب أعالي البدن ويرتقي إليه تجبره[1] الشمس وتنشفه لأن وجوههم بادية لها وليست مستورة، تيسره الأعجاز وآلات التوليد وما دون ذلك. وأما آلات التوليد فيهم فتعظم لأسباب: أحدها أن نهوة الأخلاط تُحدث في الأخلاط فَشاء وزيادة في الأبخرة والنُفُح، وهذا يزيد في شدة الأنعاظ والأخلاط التي هي حالها يزيد في كمية الأعضاء السفلية فاجتماع هاتين العلتين تعظم معها خلقة العضو وهما كثرة المادة والتمدد والأسخان بالأنعاظ أيضاً فإن أعضاء التوليد لا تبرد وهي أحداث به الهوى من الحرارة عند الجماع باقٍ فيها وليس يعرض لها ما لا يعرض لساكني // [٩ط] البلد البارد من الصغر بالبرد والتكمش بالعصر الذي يحدثه اليبس، ولا يحتاج هذا أيضاً إلى حرارة كثيرة يكون فيها الأنعاظ[2]، وأيضاً فاستكثارهم من الجماع واستعمالهم هذه الأعضاء كثيراً يحدث لها عظماً، إن كنت ذاكراً لما قاله جالينوس، مع أن تلك الأعضاء لعظمها هي، والأدمغة منهم باردة يابسة إما لأن الحكم فيها مثل الحكم في الأحشاء، وقد تقدم القول في ذلك وإما يبسها فلما تجبره حرارة الشمس منها ونشفها رطوبتها ولذلك لا توجد لهم فضول[3]

---

(١) أي تؤثر عليه الشمس.

(٢) انتصاب العضو التناسلي.

(٣) أي فضلات.

منبعثة من الأنوف وينبغي أن نفهم الدماغ بالإضافة إلى الدماغ المعتدل لا إلى الجلد، وأما جلدة الرأس فحارة يابسة ولذلك قال جالينوس في كتاب (المزاج)[(١)]: السودان حارة بالحرارة العرضية باردين بالحرارة الطبيعية، يريد أنهم حارين بحرارة الشمس المباشرة لهم باردين بحرارة القلوب والأدمغة والأكباد وسائر الأحشاء وهذا أصل لكم وقانون عليه يبنى هذا الكتاب، فإذا كان هذا هكذا فالبخار المتصعد من أدمغتهم إلى جلدة رؤوسهم قليل تَخّ[(٢)] فشعورهم قليلة المادة وهي لذلك دقاق يابسة بحسب برد الدماغ ويبسه، وهي سود متشيطة لشدة حر الشمس وإحراقها فبحق صاروا حارين بالعرض باردين بالطبع وجملة الرأس صغيرة لبرد مزاج الدماغ لأن الرأس لصغر الدماغ بالبرد واليبس يكوّن أبدانهم أصغر مما توجبه المادة لأن حال مقدار عظم الرأس عند الدماغ كحال مقدار الصدر عن القلب وليس يوجد فيهم عين جاحظة[(٣)] لأنها تكون عين حارة بالطبع وأعينهم على الأكثر ذات لحظات[(٤)] وأجفان غليظة عظيمة المقل رهلة كليلة الطرف لأن الشمس تجبر فضول أبدانهم إلى جوارحهم دائماً فجوارحهم مكونة من أخلاط لم تنضجها الحرارة الغريزية // [١٠و] ومعلوم فما حاله هذه الحال فالشمس تحلله، وإنما تحلل منه ما لطف، وتبقي منه ما غلظ وتزيده الشمس غلظاً وإذا كانت هذه حالهم عرض لأعينهم ما يعرض لعين من لم يجُدْ هضمه[(٥)]. وهم فطسٌ، ومن برد بالجذام انفطس أنفه، ثم إن الأطفال تتغير خلق أنوفهم بحسب تغير أمزاجها حتى إنهم عند الهرم يظهر فيهم القنوة[(٦)]، وأما عظمها فللعلة التي ذكرنا من انجذاب الفضل إلى جوارحهم، وجوارحهم كلها باردة

---

(١) طبعه هيلمرش مطبعة Teubuer.

(٢) التخ: الحموضة، وأصله العجين الحامض.

(٣) ورد على حاشية الكتاب (الجحوظ نتوء العين).

(٤) ورد على حاشية الكتاب لحظات جمع لحظ، اللحظ الأبصار باللحاظ.

(٥) أي لم يتمهل الغذاء جيداً.

(٦) القنا أحديداب في الأنف.

رطبة، أما باردة فلأنه ليس يخرج إليها أبخرة ذات حدة وأما رطبة فلأن الشمس تحرك الفضول وتجبرها من المركز إلى المحيط وشفاههم غليظة عظيمة لبرد هذه الجارحة وانجذاب الفضل، وبالجملة فجميع المحاسن إنما يستوفي حفظها مع امتزاج الطبيعي ومطاوعة المزاج العرضي وارتفاع العناد بينهما كما سنبين. وأما إذا مال المزاج عند الاعتدال عرض من السماجة[١] بحسب ذلك، والثغر منهم نقي، لأن علة صفرة الأسنان وخضرتها وما يعلوها من الغبر[٢] والآفات كالحفر الذي يكون فيها، والتآكل، والنتن هو للرطوبات[٣] المنحدرة إليها من الدماغ، ولأن أدمغة هؤلاء باردة يابسة قليلة الفضول جداً، ولذلك لا يكاد ينحدر من أنوفهم ومنافذ الحنك والأذان منهم فضل، فإن وجد ذلك في البعض فقليل جداً، ومعدهم أيضاً باردة يابسة بالإضافة إلى المعدة المعتدلة، أما باردة فلما ذكرنا، وأما يابسة فلأن الشمس تجبر فضول أبدانهم بعنف بالعرق والبخار < > // [١٠ط] لا يحدث فيها البلغم نتناً يتبخر إلى أفواههم فنكهاتهم، لذلك طيبة، وثغرهم سليم من هذه الجهة أيضاً، والكفان والقدمان منهم عظيمة غير مناسبة لخلقهم، وهي مائلة أبداً إلى الجانب الوحشي، وهذا يعرض في هذه الأعضاء لما ذكرناه من نُهوةِ أخلاطهم واجتماع الفضل في أطرافهم، ولأن الشرايين قليلة الأسخان لهذه الأعضاء، وهضمها ليس بالجيد فعرض فيها من عظم الخلق سببه بما يعرض في هذه الآلات من الخصيان فإنها توجد أبداً أعظم منها في ذلك النوع من الناس، وسنذكر العلة في هذا مستقصاة في الباب الذي نذكر فيه الخصيان وأمزاجهم والراحات[٤] منهم، وبواطن الأقدام بيض وسبب ذلك إن هذه الأماكن لا ينحل منها بخار، ولا ينحدر من عمق البدن إليها شيء لاختلاط العصبة

---

(١) سمج: قبح.

(٢) الغبرة: لون شبيه بالغبار.

(٣) أي بسبب الرطوبات المنحدرة من الدماغ.

(٤) الراحات جمع راحة وهي باطن الكف.

بجلدة الراحة حتى تصير شيئاً واحداً، وجعل خالقنا تبارك وتعالى ذلك كذلك ليذكو[١] حسن جلدة الراحة، لأنه بدقيق حكمته تقدس جعلها سِّبَاراً[٢] لحس أكيس[٣] الحيوان فصيرها أعدل أعضائه مزاجاً في صنفي التضاد، فهي لذلك تحس الحار والبارد والرطب واليابس وجميع الكيفيات الملموسة على تحقيق، وكل أعضاء البدن مَسْبُورة بها، وذلك إنا نعلم إن الكبد حارة بإضافتها إلى جلدة الكف[٤]، من أجل[٥] أن الكبد أكثر دماً منها، ونعلم إن العصبة باردة من أجل أنها أقل من جلدة الراحة دماً، ونعلم إن العظم والغضروف يابسين من أجل أنهما[٦] أصلب من جلدة الراحة، ونعلم إن الدماغ رطباً من أجل أنه ألين من جلدة الراحة، وسنشبع القول في هذا ونحوه إذا نحن تكلمنا في البدن المعتدل والمبني // [١١و] فيه على هذا الأصل، فلذلك لمّا كان مزاج جلدة الراحة من الاعتدال على هذه الحال لم تقبل التأثير من الشمس، وإن كانت قبلت فيسير، وبهذه الأسباب صارت هذه الأماكن لا ينبت فيها شعر البتة، ألا ترى أنها إذا كانت لا تقبل أبخرة البدن في فضوله لاعتدال مزاج باطن الراحة وباطن الرجل، ومعلوم أن العضو المعتدل والبدن المعتدل يقاوم صنفي التضاد[٧] ويمنع من قبول فضول المواد ويكون هضمهُ لما نغتذي به هضماً جيداً، ولو قبل فضلاً لقدر على تغير من غير لبث فيه يمكن معه استحالة، ولذلك تعيد ما يخرج هناك بثرة[٨] أو تنصب إليه مادة، فإن انصبت فإنما يكون تحت الجلدة من الراحة، وقد يوجد قوم[٩]

---

(١) من ذكا إذا ارتفع أي ليرفع تحسس جلد الكف.

(٢) من سبرت الشيء إذا جربته وخبرته.

(٣) الكيس ضد الحمق.

(٤) أي عند مقارنتهما.

(٥) أي بسبب.

(٦) في الأصل أنها.

(٧) الأفراد الحار والإفراط البارد.

(٨) البثرة الخراج الصغير.

(٩) في الأصل قوماً.

تعرق منهم بطون راحتهم وأرجلهم، فيدل ذلك على تقبل وتبقي ما تقبله ولا يتولد منه شعر ولا غيره لقوة هذا العضو على نفي الفضول عنه باعتدال مزاجه، لأنه[1] قد بين في كتاب المزاج إن المعتدل يقوى على نفي الفضول عنه ومقاومة الأضداد، وهذا الفصل[2] فيه بأسره مبنى الأمر فيه على ما ذكره في كتاب المزاج، وقد نرى سوداناً بطون راحتهم قد مسها سواد، وهذا أيضاً دليل على أن هذا العضو منهم ليس بالجيد، ولا يعرف الشعر في راحة أحد من الناس، والأذان من السودان صغار ولا تعظم عند الهرم ليبس الغضروف باليبس العرضي، وما ذكرت من الحال في عضو عضو وإنما رضي به المتعلم وبهمّته على استخراج حال ما لم أذكر وأنا [أنتقل] // [١١ط] إلى القول العام فأقول: إن السودان فيهم شجاعة وبأس إلا أنه ليس المحرك له الغضب والأنفة كما نرى في الصقالبة والترك وأشباههم من ساكني المدن الباردة بل النشاط والحقد والمحل[3]، لغلبة البرد على قلوبهم واليبس، ولذلك سماحتهم بأنفسهم أكثر من إقدامهم بالتهور وطرح أنفسهم على أقرانهم وظفرهم بالصبر لا بالبأس، ومما يقوي هذا أنهم أصحاب نفاقة واحتراس، فيدل ذلك منهم على النشاط في الحرب وقلة الغضب، لأن من يغضب في الحرب يرد موارد لا يصدر عنها، كما نرى ذلك في الترك، والأسود يدخل في الحرب بنفاقة وعمل، ويخرج مثل ذلك فتعلم من أمره إن الغضب لم يعرض له.

والسودان في آخر حروبهم خير منهم في أوائلها، والأمر في ساكني المدن الباردة بالضد في جميع ما ذكرنا، فإن الصقالبة والترك بوادرهم ونزقهم[4] وإقدامهم على غيرهم أكثر من صبرهم، وأولهم في الحرب خير من آخرهم[5]، لأن حرارة قلوبهم

---

(١) الضمير يعود على جالينوس.

(٢) في الأصل العضل ويريدان القول القاطع فيه هو ما ذكر في كتاب المزاج.

(٣) يريد بالمحل البيئة.

(٤) النزق الخفة والطيش.

(٥) في الأصل آخره.

تحدث لهم التهور والإقدام، وحرارة أدمغتهم ورطوبتها تحدث لهم الصقل في الآراء، والرجوع عن العزائم وقلة الحقد واستعمال الغدر، والأمر في السودان بالعكس، وشهوة السودان للطعام أجود من استمرائهم، لبرد أجوافهم، والأمر في الصقالبة والترك بالعكس، وهذا كما نراه في ساكني المدن المعتدلة في أوقات الشتاء، فإن الاستمراء في الشتاء أجود منه في الصيف لحر الأجواف، ومعلوم أنه إذا بردت الأجواف نقصت، والأخلاق من أهل الإفراطات واحدة بعينها، وسيرتهم واحدة، وذلك الحال في السودان ليس يوجد فيهم الشيء وضده كالأمانة // [١٢و] والخيانة والجود والغدر، ومحبة الحلال وتجنب الحرام، لأن مزاجهم واحد، وهواهم واحد وغذاءهم واحد، لأن ليس يوجد في مدنهم ما يوجد في المدن المعتدلة التي تجلب إليها الأغذية من المدن الجبلية والبحرية، وجميع أهل الإفراطات لا يحتاجون إلى أحد يأخذهم بسمتهم، بل هي موجودة في غرائزهم قريبة مما يوجد في أخلاق البهائم وسجاياها الموجودة لها بالطبع من غير معلم، أخرج ذلك الأمر فيها من القوة[١] إلى الفعل[٢] كما توجد السرقة في الغراب، والختل في الذئب والخبث والمراوغة في الثعلب، والشجاعة في الأسد، والفرق والجزع في الأرنب، والخيلاء في الفرس والطاووس، والوفاء والمحافظة والملق والحراسة والشجاعة في الكلب، والنجا في الديك، والمحاكاة والحرص على أن تتعجب من أفعاله في القرد، وليس يوجد في شيء من هذه الحيوانات أضداد هذه الأفعال البتة، ونحو هذا مما أجلنا أن نذكره في المقالة الثالثة في باب أخلاق البهائم، ولما قدمنا ذكره لا توجد الحكمة في أهل الإفراطات البتة، لأن الحكمة هي العلم بالضدين هل هما وما هما وكيف هما وكم هما، واستعمال الأفضل منهما ومخالطته[٣]، وكيف الأرذل ومباعدته ومعلوم إن الأضداد متعاقبة، فلن توجد الفضيلة في إنسان منهم بالعقل إلا والرد فيه بالقوة، وبعكس ذلك، لأن أحد الضدين في أهل الإفراط غير منتهٍ

---

(١) ويقابل الوجود الفرضي.

(٢) ويقابل الوجود الحقيقي.

(٣) في الأصل ممالصه.

ولا مستعد، وهو في أهل الاعتدال منتهٍ ومستعد، وإذا كان ذلك كذلك فقد صح أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن، والمزاج من أهل الإفراطات واحد والخلق منهم // [١٢ط] وسيرتهم واحدة يراها جميعهم مستحسنة بينهم، مستحسنة كانت عندنا منهم أو قبيحة، أما المستحسنة بالحقيقة فكالتناصف بينهم، وأما القبح والمستحسن عندهم فكاستحسان من يسخر منهم أكل لحوم الناس من غيرهم من الأمم، حتى أنه قد اضطر كل جيل منهم أن يَسِمُوا أطفالهم بالنار في وجوههم لتكون لهم هذه السمات معالم يعرفون بها قومهم متى ما وجدوهم في غيرهم، كما نفعل نحن بالإبل والخيل ونحوهما، ولم توجد فيهم قط النواميس، ولا بعثت فيهم الرسل ولا أخذوا بالسنن، لأنهم غير قادرين على الضدين، والشريعة فإنما هي أمر ونهي ورهبة ورغبة، وإنما تأمر بشيء من نهي عن ضده، وترغب في شيء من زهد في ضده، وهؤلاء فالأمر فيهم واحد بعينه، وليس يوجد في السودان تمسك بشريعة لا في بلدهم ولا إذا أخذوا أطفالاً وحُيي بهم إلى بلد الاعتدال، لأن قلوبهم لا تخشع لتحركها أبداً نحو الفرح والطرب والنشاط والتنقل في الأهواء والآراء وليسوا بذوي عزائم لأن العزيمة إنما تكون من الرغبة أو الرهبة، وهو أن يرهب بشيء فيتحبب أو يرغب في شيء فيقدم عليه، وهذان الأمران إنما يكونان في القلب والدماغ اللذين يعنون بهما الحر والبرد، ولأن القلوب من السودان باردة فهي قارة هادئة، حتى قد عرف هذا الجم الغفير فهم يقولون ثلج بالحق صدرك، وأبردها على الكبد، وفي ضد هذا وأحر قلباه، ويا لهفاه، وإن وجد في السودان واحد قد خالف جميعهم في هذه الأمور، فإنما ذلك كعادة قد صارت له طبعاً ثانياً، أو لمزاج لم يعد عن جميعهم محسوس القدر أو لنقل مزاج وليس توجد هذه الحال [و] متى وجدت كانت كاملة، والسودان // [١٣و] لا يحتاجون إلى صناعة الطب، ولا توجد فيهم، أما إنها لا توجد فيهم فلما قدمنا ذكره من أن العلم بالضدين ليس في قدرتهم[١]، والطب هو معرفة الأشياء والمصحة والأشياء الممرضة، وأما إنهم

(١) هذا رأي فيه كثير من الزعم، فإننا نرى فيهم الآن الأطباء والعلماء.

لا يحتاجون إليها فلأن مزاجهم مزاج واحد كمزاج الوحش وغذاءهم ومسكنهم شر المساكن فكل شيء رديء فهو لهم بالطبع(١) فماذا ليت شعري يمرضهم، والذي يستعملونه من إصلاح أبدانهم سببه بما تعمله الوحوش فإن السبع إذا أذاه طعامه أكل حشيشاً حتى يقذف(٢)، والخيل إذا مغصتها أجوافها أكلت أرواثها، وإذا وقعت الحكة في الوحوش تمرغت على النبات في الربيع ونظائر هذا كثير، فكذا ينبغي أن نتصور حالهم في تدبير أبدانهم، والأسقام فيهم قليلة، والطاعون كثير، ومن مرض منهم تلف على الأكثر، والسقام منهم لا يعمر، ولذلك يقولون هم إنه لا أمراض في بلدانهم وليس ذلك لأنه لا تعرض لهم الأمراض، وإنما هو لأن مزاجهم لا يقاوم الأمراض والجدري ويجوز أن يعظم وإن يكثر فيمن جُلب إلينا طفلاً وأما من ربي في بلدهم فإما أن لا يجدر البتة، وإما إن جدر فقليل نزر وتخ، لأن الذي تجبره الشمس من جلودهم كثير، وما يسببه لطباعهم قليل وإن جدر أحدهم كثير ذلك عليه فقتله، وانتقل إلى مزاج الطاعون لا محالة، إلا أن الجدري في المدن الباردة أقل لا محالة لأن برد البلد وتلزز(٣) الأجسام تمنع خروجه، فإذا حدث منه اليسير وبقي كامناً في أعماق البدن الكثير منه. < >(٤) خبيث بعد سن المنتهى لأن البدن في هذه الحال < > // [١٣ط] جوهره وإن يبقى على ما هو عليه لا أن يخلط مكان ما ذهب مهما سوي مكان ما فسد بتولد ما يتولد لأن أسباب الكون والنحو لكون في هذه السن قد بطل فعلها، والجدري حار رطب، فضلة الركن الحار المسمى دماً ولهذا المزاج الحق بالطاعون وهو بالحقيقة مرض طاعوني، ولذلك تسقط به أعضاء وتفسد به أعضاء فنكايته في بلدهم شديدة، وينبغي أن يكون احتمالهم للحصبة أقوى من احتمالهم للجدري، والحصبة فضلة المرة الصفراء، ولذلك هي ملحقة بالأمراض الحادة، وإنما

---

(١) لا نذهب مع المؤلف في رأيه هذا لأنه لا أساس له من الواقع.

(٢) حتى يقذف ما في بطنه.

(٣) لزه شده وألصقه، والملزز المجتمع الخلق الشديد الأمر.

(٤) فراغ في الاصل.

سمي المرض الحار اليابس حاد لأنه شبه مزاجه بمزاج النار وفعله في الجسم بإمراتها وكذلك تظهر علامات الإحراق منه ومداواته بالتبريد والترطيب وإذا تذكرت ما قاله جالينوس يف كتاب المزاج أقررت من قرب إن المرض الطاعوني حار رطب وتدبيره بالتبريد والتيبيس، وأحمد بن الطيب السرخسي ذكر في كتابه في أسباب الفلاسفة إنه عرض لسر من رأى مرضاً طاعونياً، وتوهم الأطباء أنه مرض حاد فداووه بتدبير المرض الحاد فتلف أكثر من بُلي بهذا المرض بالموصل وهذا المرض من المرض الحاد وعلمتم إن جميع من دبرته بالتدبير الذي كان يعجب منه برؤ كلهم ومنهم عبد المسيح، ويحيى بن كعب، وجابر بن الحسن والجماعة الذي أنتم بهم عارفون ولله الحمد على حسن التوفيق.

والفصد وشرب الدواء المسهل لا يحتمله مزاجهم لأن الحال في ذلك شبيه بالحال فيمن شرب منا الدواء في الصيف ولم يفتر هوى مسكنه ألا ترى أنه كان مخاطراً بنفسه من أجل أن حرارته الغريزية في سطح بدنه والدم والأخلاط مادة الروح // [١٤و] الحيواني، وليس مأمون عليها وهي ضعيفة كثيرة التحلل إن يجمد. وإكرامهم لملكهم، واتباعهم له ليس لإقامته الأخصام فيهم والسياسات، وإنما هو كما ترى ذلك في الوحوش فإنه يرأسها واحد بطبعه ليذود عنها وتعتصم به من الهلكة كذا فافهم إن ملوكهم لحروبهم لا غيرَ جزئيات هذه الأمور، وإنما غرضي بعد إيضاح القوانين والأسس الكلية أن أذكر من جزئيات الأمور ما أروض فكر المتعلم وأجعله تنبيهاً للعالم المحتنك في علوم كتابي هذا فأنا قاطع قولي في هذا الباب ومقبل على ما يتصل به من القول في الأمة التي تليها إن شاء الله.

الباب الثاني

(في ذكر طبائع أهل المسكن الثاني من الإفراط الحارة وهم السند والهند ومن يجري مجراهما)

قد تقدم القول في السودان الذين هم الزنج والحبشة والنوبة ومن جرى مجراهم، وهؤلاء في ابتداء المسكن من الإفراط الحار كما ان الصقالبة في ابتداء المساكن من الإفراط البارد، وليس قبل هاتين الأمتين في الإفراطين أمة تسكن مسكناً من الأرض، وإنما المساكن بعدهما، والأمة الثانية التي تتلو السودان هم السند والهند، ومن جرى مجراهم إلى الصقالبة، ولما بعدت هذه الأمة من السودان نحو الاعتدال بعداً صاروا به أمة غيرهم وهما معاً في الإفراط الحار، وجَبَ أن نذكر حال هذه الأمة الثانية في هذا // [١٤ط] الإفراط الحار، والشيء الذي به اختلفنا لأن الشيء الذي اتفقنا هو الإفراط الحار، فأقول إن الخلق بينهما بطريق الأقل والأكثر في تأثير الشمس، فلنعد إلى أصلنا ونبدأ منه فنقول: إنا قد أقررنا أن السودان حارين بالحرارة العرضية باردين بالحرارة الطبيعة، وإن هذا الحال لهم من الشمس فمن هو في حيز الإفراط الحار فله هذه الحال إلا أن هذه الحال تتناقض في كل حيز أمة في حيز الإفراط الحار بحسب قدرها في البعد عن معدل النهار والقرب منه، ولأن السند ومن يجري مجراهم قد تعدو عن معدل النهار بأكثر من بعد الزنج والحبشة عند هذا ذا قدر فتأثير الشمس فيهم غير تأثيرها في الزنج، والسند أبرد من الزنج والحبشة بالحرارة العرضية وأسخن منهم بالحرارة الطبيعية، فالسند أسخن من الأمة الثالثة الذين سميناهم السمر بالحرارة العرضية، وأبرد منهم بالحرارة الطبيعية، وكذا الحال في الكيفيتين المنفعلتين، فهي أحر من السودان وأيبس بالحرارة واليبس الطبيعيين، والسند أبرد من السودان وأرطب بالحرارة، والرطوبة العرضيتين وإذا كان هذا الأصل قد تقرر ووضح وجوده في السند، فلنقل فيما يتفرع عنه ويجب منه، وهو إن الشمس قد بان أمرها أنها تسخن السودان

إسخاناً محرقاً، فالسند قد تسخنهم وتجففهم إسخاناً وتجفيفاً لا يبلغ بهم أن تشيط شعورهم، بل إسخاناً تيبس جلودهم وتجففها فشعورهم التي على الطبيعة بالقصد كثيرة سود طويلة رجلة على الأرض، ورأي جالينوس في الجلود اليابسة يبساً يصلح نبات الشعر كما قال في كتاب المزاج لأن الشمس تغير جلودهم تغيراً بين السواد والبياض وهذا اللون // [١٥و] هو المسمى أدكن إلا أنه لمخالطة الدم لهذا اللون في الجلد سميناه سمرة، وأَدمة، ولا ينبغي أن ينعتوا بالسمرة، فإن هذا اللون موجود في أصحاب مسكن يعدهم سنذكرهم، فلينعتوا بالأَدمة وهي في الناس السمرة المشبعة وفي غيرهم البياض، والأدمة لون ممتزج باعتدال من البياض والشقرة مع سمرة مساوية لهما، والسمر اعتدال من السواد والشقرة بالسواد كما يقال في لون الثوب الذي هو على السمرة بين البياض والسواد أدكن، والشمس تلون السند بالأدمة ولكونهم عرض بحسب اختلاف بلدهم في العرض، وليس تقوى على أن تحرقهم فتسود جلودهم السواد الحالك الحادث في الجلد عن احتراقه، كالسواد الحادث في الفحم عن احتراق الحطب ولأن تشيط شعورهم لبعدهم عن بلد السودان بعداً ذا قدر، وإذا كانت تسخنهم دون إسخانها الزنج والحبشة وتؤثر في جلودهم وشعورهم تأثيراً أقل من تأثيرها في السودان بقدر محسوس، وأجوافهم على القياس المتقدم والشرائط السالفة من القول أحر من أجوافه السودان، وأبرد من أجواف الأمة الثالثة التي تليهم، كما إن التي تلي السند أبرد أجوافاً من ساكني الاعتدال، فإذا كانت أجوافهم حارة والشمس تسخن سطوح أبدانهم فقد اجتمع عليهم أنهم حارين بالحرارة الطبيعية حراً يسيراً، ومن كانت هذه حاله فالروح الحيواني فيهم أحر منه في السودان وتحرق من دمائهم وتستمد منها حراً ذا قدر وحراً لشمس يجبره إليها مما اعتدت به أعضائهم حراً ذا قدر ولقوة حرارتهم على حرارة السودان إن أخلاطهم ألطف وأنضج من أخلاط السودان، فجميع هذه الأمور صاروا // [١٥ط] أقضف[١] من السودان، وأقضف من ساكني الاعتدال وأما لمَ صاروا

---

(١) القضف: الدقة والنحافة.

أقضف من ساكني الاعتدال؟ فإن الشمس لا تستفرغ من ساكني المدن المعتدلة ما يستفرغه من السند فهم أدم الألوان قضف الأبدان، والسند زعر[1]، من أجل أن أبخرة أبدانهم تجبرها الشمس من خارج، لأنهم حارين بالحرارة العرضية وليسوا حارين بالحرارة الطبيعية، إلا بالإضافة إلى الزنج[2]، فأما بالإضافة إلى الأمة الثالثة فهم باردين بالحرارة الطبيعية كثيراً، ولذلك ليس يتحلل من أبخرة أبدانهم من المركز إلى المحيط مقداراً يمكن أن يكون مادة للشعر الذي هو بمنزلة الكلأ ولو تحرك منه مقدار ذو قدر لأجبرته الشمس عن الجلد، ومعلوم أن من هذه حاله لا ينبت على بدنه الشعر الذي هو بمنزلة الكلأ، وإن نبت على بدن فذلك لمخالفة مزاجه الجم الغفير فلن يكثر البتة، والشعر الذي ينبت على أبدانهم مما تعمله الطبيعة بالقصد بمنزلة الزنج الذي يكون من زراعة بالقصد، والسبال[3] وشعر الحاجب وشعر الرأس يكون كثيراً شيطاً حالكاً مستطيلاً أحسن من شعر سائر الأمم لما عليه مزاج الدم فيهم، لأن هذا الشعر الذي هو عن الطبيعة بالقصد إنما يغتدي بالدم، ولذلك عده جالينوس في أعضاء البدن في كتاب المزاج ويجدّ لونه أبداً في كل أحد بحسب مزاج دمه، وقد قال جالينوس في ذلك قولاً يفهم الحال فيه من ثم، وينبغي أن أذكر من معاني قوله ما يليق بهذا الموضع، وإنه لما ذكر كيف يولد الشعر، وذكر أسبابه قال إن السبب الذي هو بمنزلة المادة البخار الذي يرتفع من ارتفاع من أعماق البدن وينفذ في مسامه وينبغي تفهم قوله بخار على معنيين أحدهما // [١٦و] مادة الشعر الذي عن الطبيعة بالقصد أن ذلك يخرج عن العروق إلى الأعضاء التي هي منابت له فتكون منها كونه[4] ونموه، والآخر مادة الشعر الذي هو بمنزلة الكلأ وهو فضلات من الأعضاء ومادة يرتفع عنها دون ما في العروق وجعل السبب الفاعل أن يكون الجلد

---

(١) الزعر: قلة الشعر.

(٢) أي بمقارنتها مع الزنج.

(٣) السبال: الشوارب.

(٤) أي وجوده.

بحال من المزاج يمكن معها أن يولد الشعر، ومثل هلاك الأرض الرطبة التي هي بمنزلة الطين اللثق بالجلد الناعم الرطب ومثل الجلد المستحصن التي قد اشتدت وقويت، وذكر ضعف الزرع في الشتاء وقال إن علته الإنداء ورطوبة الأرض، وقال إن الزرع يشتد فيقوى ويطول في الصيف بحسب ما يفعله الوقت من السنة في الأرض من سفّ الفضل منهما حتى يكون بلوغ الزرع ببلوغ الأرض نهاية اليبس، ثم نبه[١] على هذا اليبس فقال ليس هو يبس بمنزلة الحجر، أو الجلد من الحيوان الخزفي الجلد[٢]، وإنما هو يبس الأرض كذا قال، فافهم في الجلد اليابس من حيث هو جلد لا من حيث هو جلد حيوان خزفي الجلد لا يمكن أن ينبت به شعر، كما لا يمكن أن ينبت النبات في الصخر وهذا جوامع القول، فأما علمه على الاستقصاء، فيعرف من كتاب جالينوس في المزاج وطبق هذا المثال على الجلد من الصبي وتدرج إلى الشيخوخة، وأرى إن الشعر يحسن ويكبر ويطول بيبس مزاج الجلد، فيحصل من هذا إن الجلد هو السبب الفاعل للشعر، وإن هذا الفعل يسلم له ويكون فيه على أفضل ما يكون حاراً يابساً وجلدة الرأس ومنبت اللحية والحواجب من السند // [١٦ط] حارة يابسة لما قدمنا من ذكر مزاجهم، وليس تفسد الشمس مادة الشعر وتسلبها الجلد كما لا تسلب الأعضاء المواد التي تنميها، وتخلف مكان ما تحلل جريه مواد هذا النوع من الشعر والعروق، ولا من فضلات الأعضاء والأبخرة المنعقدة منها، بل تكون الشمس سبباً لكثرة التنقية؛ لأن للمادة حركة بالطبع نحو الجلد، والشمس تجذبها فيسهل خروجها ويكثر لاتصال جريها، لأنه ليست الحال فيها كالحال في مادة الشعر الذي بمنزلة الكلأ لأن تلك المادة ليس لها جرية متصلة وهذا الفرق بين ما هو عن الطبيعة بالقصد وبين ما هو بالعرض فبحق حسنت شعورهم وصارت لها هذه الحال المشاهدة لاجتماع الأسباب التي أحدها يبس الجلد والقصد من الطبيعة وفعل الشمس وما يجدد

---

(١) الضمير يعود إلى جالينوس.

(٢) وهو الحيوانات التي تكون أجسامها تشبه الخزف وتحدث أرسطو عن هذه الحيوانات وضرب لها من الأمثلة مجموعة السراطين. ينظر طباع الحيوان ص١٥٦ والصفحات التي بعدها.

من حال الشعر في الأبدان القضيفة[1] والجلود الصلبة وما نجده من حاله أيضاً في الأبدان العبلة والعجلة اللثقة[2] فيشهد لما أوجبه القياس من قول جالينوس، ولم تلق شعورهم من حر الشمس بقدر ما يحرقها فتصير بمنزلة شعور السودان إلا أنه قد لقيها من الحر أشد مما لقي شعور أهل الاعتدال فقد تنقلب شعورهم رجلة سوداء حالكة فيها جعودة فأما لِمَ لَمْ ينبت على أبدانهم الشعر الذي بمنزلة الكلأ حسب ما يوجد ذلك في الأبدان القضيفة في الإقليم الأوسط وفيما أطاف بالاعتدال فهو أن حر الشمس قد يجبر من سطوح أبدانهم ما يتصعد إليها ويجبر من أعماقها زيادة عليها ولولا ذلك لكان الحكم في كثرة الشعر على سائر البدن من السند < >[3] فإن قال قائل ألا كان الأمر في الشعر الذي هو < > على هذا الحكم، قلنا مادة هذا الشعر بالقصد كمواد الأعضاء // [١٧و] ولكل منبت منه صورة ومنفعة كما إن لكل واحد من الأعضاء صورة بحسب منفعته وهيبته وليس الحكم في زرع طرح بذرة الزراع كالحكم في نبات أنبتة الأرض من فضل عنها، وكأن نبات الشعر الذي بالقصد من الطبيعة على أبدانهم حب جيد في أرض موافقة فنباته على أفضل ما يكون، فإن رأيت لحية غير مناسبة لشعر الرأس، أو شعر حاجب فاعلم إن ذلك لأن مزاجاً خص واحداً من هذه الأعضاء أخرجه عن العرف والعادة وألحقه بالأمر.

والوجوه التي من السند لم تقتضيها حال أبدانهم، لأنهم ألطف أخلاطاً من السودان فأعلا أبدانهم يغتذي أكثر من أسافلها، وقد مر من القول في هذا المعنى حيث تكلمنا في ثقل السودان وخفة أعالي أبدانهم ما يغني عن إعادته وكذلك الأعجاز من السند أصغر من أعجاز الزنج، والسند أحر من السودان أدمغة فهم لذلك أعظم رؤوساً منهم، وأشد استدارة وجوه، وأوسع جباه، وأحسن منهم حواجباً إلا إنها دون حواجب ساكني الاعتدال فضلاً عن السودان، وأمزاجها كلها حارة رطبة، عظيمة

---

(١) القضيف: الدقيق العظم القليل اللحم.

(٢) اللثق: الرطب.

(٣) كلمات مطموسة.

المقل سود الحدق، مهذبة الأشفار، وهذا كله من فعل الحرارة والرطوبة، ولذلك لا توجد فيها الزرقة لأن الزرقة تدل على برد مزاج العين ولا الشهلة[١] لأن ذلك يدل على اعتدال مزاجها، كما تعلمنا ذلك من جالينوس في كتاب (الصناعة الصغيرة) والحرارة لأعينهم من الحرارة الطبيعية التي في أدمغتهم ومن الحرارة العرضية، إلا أن أدمغتهم بالإضافة إلى المعتدل باردة وحارة بالإضافة إلى الزنج، غير أنه إذا اجتمع الحر الطبيعي مع الحر العرضي اجتمع منه // [١٧ط] مزاج حار آخر من المعتدل بالطبع وكذا فافهم في سائر مزاج أعضائهم وإنّ فهم هذا الموضع لدقيق فانظر فيه نظراً نِعّما، فإنك تنتفع به في سائر الأمور الطبيعية مع جميل توفيق الله لك، ولأن ما لحق أبدانهم من الحر الطبيعي والحر العرضي سببه بما يلحق أدمغتهم صار هذا سبباً وكيداً في قضف أبدانهم ونحافتها، وإنافهم دقيقة وليست بعظيمة، لأن أخلاطهم لطيفة، ومزاج الأنوف منهم حار يابس بالإضافة إلى أنوف السودان فهي بحسب ذلك انعدم الفطس الموجود في السودان وبمقدار ميلها في الحر واليبس عنها وهي أحر وأيبس من الأنوف المعتدلة أيضاً، أما أحر فلاجتماع الحرارة العرضية والطبيعية معاً فيها، وأما اليبس فلما تجبره الحرارة من مواد الأعضاء الظاهرة وبهذا هي أصغر من أنوف أهل الاعتدال، وشفاههم ليست بالغليظة كشفاه السودان، لبعد مزاجها عن مزاج شفاه السودان وميلها إلى الحرارة والحكم في حسن الشعر منهم، وطيب النكهة كالحكم في السودان والصدور منهم أعظم من صدور السودان، وإذا قلت صدر سندي أعظم من صدر زنجي فيجب أن نفرضها متساوي الجسمين في جملة البدن ثم نفصل، وعظم صدورهم بحسب سخونة مزاج قلوبهم، ولأن بقلوبهم مع حرها يبس شديد فصارت أخلاقهم متسلطة والحرد[٢] يسرع إليهم، ويتبع الحرد فيهم سرعة الغضب والحقد حتى إنهم إذا لم يملكوا الانتقام استذلوا قتل أنفسهم، [وهم][٣] أصحاب اكتآب،

---

(١) الشهلة في العين أن يشوب سوادها زرقة.

(٢) الحرد: الغضب.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وهم ليسوا أصحاب فرح ونشاط ولا جماع، ولا حب الشراب واتباع الملاذ، كل ذلك لحر قلوبهم // [١٨و] ويبسها، والأعمار منهم منقوصة قصيرة لأسباب منها شدة حر قلوبهم ويبسها فهي تستأثر بدمائهم فتشتعل فيها وتأخذ منها أكثر مما تغتذي به أعضاؤهم وتستأثر قلوبهم وسرائهم من الدم بأكثر مما تستأثر به عروقهم وأعضاؤهم ومما تحظى به عروقهم من اليسير تجبره الشمس بحرها منه الكبير ويبيد أمزاج أعضائهم لشدة حرها، فلذلك أبدانهم نحيفة ضعيفة وموادها قليلة فالموت يسرع إليها من أيسر الأسباب ولا يليق بهذا المزاج طول البقاء، وآلات الغذاء إذا تجاوزت في الحرارة المقدار الذي يكون به الهضم الذي هو الطبخ دخل بحيلة وبصنعة في الشيء والإحراق، والمشوي والمحرق لا يصلح للأعضاء الاغتذاء به، ليس في الشد قوة على شيء من الأعمال إلا ما لم تكن فيه مشقة، ولا فيهم نعاس ولا جلد لأنهم عند الحركة الذي فيها قليل شدة ترهق أنفسهم بالتهاب قلوبهم فيعظم نَفَسهم ويسرع ويتواتر فينهرون، ولرقة العصب وقلة لحم العضل لا يقوون على رفع الأجسام الثقال، ونفث الدم يسرع إليهم ليبس مزاج آلات التنفس منهم، ولعلم الناس بهذه الأحوال منهم، ليس أحد من ملوك الأمم يتخذهم لحمل السلام وللأعمال. قد خرج الاشتراك في القول في الصدر إلى ذكر ما يتصل به من سوء مزاج القلب، وأنا عائد إلى ما يتصل بخلقه الصدر والبطن، والأسفل منهم خميص لقلة رطوبة أمعائهم وأحشائهم وهي ضعيفة منهوكة، والأسقام تسرع إليها من الحر واليبس، والأعجاز من السند أصغر من أعجاز السودان كثيراً، إلا أنها أزيد من أعجاز ساكني الاعتدال ونقصانها على أعجاز السودان بحسب زيادة الحر، واليبس فيهم بحسب نضج أخلاطهم وتحركها نحو العلا // [١٨ط]، وصدورهم لم يكن عظمها إلا بحسب المادة بل أصغر، وهذا مفهوم إنه من أجل الحار يأخذ مكاناً واسعاً، والجسم البارد يأخذ مكاناً ضيقاً، والصدر مكان للقلب ووعاء له، وإذا كان أحر من المعتدل بسط الصدر أو وسعه بأكثر ما يقتضيه حال المادة، ومتى كان بارداً قبضه وجمعه، وامتحانك لذلك ينبغي أن يكون من نظرك في حال الرأس ومقداره، ومقدار فقرات العنق فإن القلب الحار يجعل الصدر غير

مناسب للرأس والعنق حتى ترى الرأس لصغره كأنه لغير هذا الصدر، وفي القلب البارد بعكس ذلك ويوجد في القلب الحار الشعر على الصدر كثيراً إن كان في بلد معتدل وحدثت جبلتاه الأولى والثانية، أعني بالأولى التي (هي) مني الأب والأم وهي التي تحدث عنها الأعضاء الأصلية الأولى وهي الأعصاب والعظام والغضاريف والعروق الضوارب والأغشية والربط، وأعني بالثانية اللحم المفرد واللحم الرخو والشحم والسمين ونحوها وهذه تتولد من دم الحيض بعد تكون الأُول[1] كما تكونت الأول عن المنيين، والأولى[2] تنمي بدم الحيض ويغتذي به وتجبره إليها بعد الكون[3]، وهذه الأعضاء البسيطة تتولد على تلك وتحدث عليها كما يتولد نبات على نبات كنبات الدبق على شجر البلوط ونظائر هذا، وكما يتولد حيوان على حيوان كتولد القمل والطبوع[4] والديدان في الحيوان، وكما يتولد في جلود الثيران وجلود الظبا من الدود العظيم الجثة ومعلوم إن هذا يتولد من فضل ما اعتدت به هذه الأجسام لا من جواهر هذه الأجسام ولذلك نجد تولده يتولد في الظباء والثيران يكون عند خصب أجسامها وخفض عيشها وتجد ما يتولد في الناس من الأطفال // [١٩و] والصبيان وأهل الرفاهية من المستكملين، وبالجملة ما يكثر في بدنه الفضول طلبه وكذا فتصور إن الأعضاء الأصلية هي التي تغتذي بدم الحيض ويجبره إليها ثم يتولد بعد ذلك عليها اللحم المفرد واللحم الرخو والسمين والشحم من قوة الجبلة منها في التولد لها، وأنا أرى إنه كما أن الرحم بنفسها سبب تولد الأول الأصلية ومزاجها ومزاج اليبس تكون الجبلة الأولى، كذا أرى إن الحال في الأعضاء التي تتولد في الجبلة الثانية بسبب تولدها الأعضاء الأصلية بنفسها ومزاج دم الحيض دون الرحم إلا أنه ليس دونها بكل وجه وسبب، بل دونها بمعنى أن تكون هي السبب القريب، لأنها سبب الأعضاء المتولدة

---

(١) أي الأعضاء الأُول وهي الأعصاب والعظام والغضاريف... الخ.

(٢) أي الجبلة الأولى.

(٣) يريد به كون الحيوان أي تولده.

(٤) الطبوع: القراد.

من دم الحيض فإن على هذا الوجه يكون الرحم سبباً والرحم من الأسباب السبب الفاعل البعيد والأعضاء المتولدة من المنيين بسبب فاصل قريب الأعضاء المتولدة من دم الحيض، وأرى إن القول في هذا قد استوفى حقه، وإنما أطنبت في هذا القول وإن كان من القول في أعضاء الحيوان وليس من القول فيما عن بسبيله لعظيم نفعه في جميع هذا الكتاب في مواضع شتى وسأقول فيه في الباب الذي أذكر فيه أعضاء الحيوان قولاً بليغاً، وأنا عائد إلى حيث خرج بي الاشتراك في القول إلى ذكر الأعضاء وهو قولي، وصاحب القلب الحار يخرج على صدره شعر كثير إن كان كون الإنسان في بلد معتدل فإنه إن لم يكن بدنه معتدلاً لم يجر الأمر على ذلك كالحال في ساكني المدن الباردة جداً فإنه وإن كانت قلوبهم مفرطة الحرارة فليس يوجد الشعر في الصدر منهم لمن كان خصباً وإنما يوجدون زعراً // [١٩ط] ، والمزاج الغالب على أبدانهم الحر واليبس، والسوق والأذرعة والأفخاذ والأعضاد والأكف والأقدام أشبه شيء بأعضاء من قد بدت به حمى في الأعضاء الأصلية فابتدأ الهلاك والهزال بأطرافه، وبهذا السبب صاروا على الأكثر لا يبلغون منتهى الشيبة فضلاً عن الشيخوخة لأن اليبس يهلكهم، فإن رأيت منهم من قد بلغ ذلك فإنما هو لأن له مزاجاً خارجاً عما عليه الجمهور مائلاً عن مزاجهم إلى الرطوبة، أو هو أعدل في صنفي التضاد عن مزاجهم وآلات التوليد فيهم ألطف منها في غيرهم من الأمم إلا أن حاسة الجماع فيهم في غاية الذكاء لغلبة الحر واليبس على عصب الحس، ورجال السند أقل شبقاً من رجال الزنج ونساء السند أكثر شبقاً من نساء الزنج، وسبب ذلك إن حرارة مزاج آلات التوليد من السند تهيج نساءهن وقلة المني فيهن ونزارته لا تهدئ معه شهواتهن، فيعرض لهن بسببه بما يعرض للحدث المراهق من ساكني الاعتدال، إلا أنه لنزارة ما يمنيه ولقلته لا تهدئ شهوته، وسبب ذلك ان دماءهم قد أخذت بالنزول أي قد بدأت تلحق بدماء الرجال ولم تلحق بعد لحوقاً تاماً، وعند بلوغ التمام إذا أنزل أحدهم هدأت شهوته

مع كثرة المني الذي يمنيه والسبب في نقصان الشبق في الرجال، هو ضعف أبدانهم ونقصان قواهم عن القوة التي[1] يكون بها الأنعاظ ليس بالرطب بل حار شديد الانفشاش[2] سريع التحلل، وأنعاظهم رديء ليس بذي مكث وهم قليلو المني ليبس مزاج جملة أبدانهم ويبس مزاج آلات التوليد فيهم، واجتماع هذه الأحوال ينقص بها هذا الفعل // [٢٠و] منهم، وبالجملة فإنه يعرض لهم من العجز عند الجماع كما يعرض للشيخ الكبير إذا يبس مزاجه أن يكون إذا استعمل ذلك أبهره وحله وأرخاه، وذكر هذه الأحوال في الزنج، ومن جرى مجراهم، والسند أيضاً ليسوا بأصحاب نواميس ولا سياسات، والحال فيهم مثل ما ذكرناه من الحال في الزنج وقد ذكرنا أنه وقع إلى أطرافهم شيء من النواميس إلا أنهم يأخذونها أخذ العادات لا أخذ أهل الورع والديانات، لأنه لا يؤثر الخير إلا من فيه قدرة على الشر وأهل الإفراطات فإنما يوجد فيهم صنفا التضاد أيها كان، وهذا منهم على هذه الحال لضعف فعل النفس الناطقة فيهم، وسوء مزاج آلاتها وقوة النفس النباتية فيهم وغلبتها على النفس الناطقة، وأهل الإفراط البارد الغالب عليهم النفس الغضبية على الناطقة، وأهل الاعتدال وما أطاف به يغلب عليهم النفس الناطقة، ولذلك منهم الفلاسفة والحكماء وأهل الحذق بالصنائع، وفيهم بعث الله سبحانه رسله وأنبياءه عليهم السلام، وأمرهم ونهاهم وسنقول في ذلك وفي أسبابه عند ذكرنا أصحاب المسكن المعتدل، ليس الحال في روائح أبدان السند كالحال في روائح أبدان الزنج ومن أطاف بهم لأن الذي تجبره الشمس من أبدان السند أقل، وأجوافهم أحر وأخلاطهم ألطف، واليبس عليهم أغلب فالعفونة والزنوخة وروائح الأعفاج والمغابر فيهم أقل كراهة منها في الأمة الثالثة أعني السمن، والطواعين ليست تجيئنا من بلاد السند كثيراً فقليلة غير جبلية، وهي بالأمراض الحارة أشبه منها بالأمراض المعتدلة // [٢٠ط] ، ومركبة من مادة وطاعونية أو ليست طاعونية

---

(١) في الأصل الذي.

(٢) الانفشاش: الانكسار عن الشيء والفشل، اللسان مادة (فشش).

مسرفة الخبث، وطاعونية قليلة العفونة كيف أردت أن يعبر عن هذا المعنى فعبر بعد أن تعلم إن الذي يجيئنا من بلاد السودان مسرف الحرارة والرطوبة وقد عفن عفونة بحسب قوة هاتين الكيفيتين فيه، وإن الذي يجيء من السند هو أقل حرارة ورطوبة، فهو لذلك أقل[١] وأخبث عفونة، والطاعون الوارد من بلد السودان حار رطب عفن تشوبه حدة وحراقة وآكال، وسنذكر حاله في الأمراض الوافدة ونصف كيف ذلك في باب مفردة به فيما بعد إن شاء الله. وكما إن الزنج أقل احتراقاً من النوبة وسبب ذلك إن الزنج واغلين في شرق والنوبة في غربه والحبشة متوسطين بينهما، كذا فافهم الحال في السند والهند فإن السند واغلين في غرب هذا المسكن، والهند في شرقه، وشرق كل مسكن وموضع ودار أبرد من غربه لأن الشمس عند طلوعها تمكن سوى المسكن مرده الطبيعي مقاومة حرها، وفي الوقت الذي يعلو ويقدر على إسخانه تنحرف عنه فيأخذ في العودة إلى ما كان عليه، والغربي والشمس إذا علت واستولت على إسخانه يأخذ في القرب منه فيكون لذلك حارّة حرارة زائدة على جهة الشرق زيادة كبيرة، ولذلك الهند طباعهم ببعد من طباع السند ويكاد أن يكون أعزل من السمن، فلذلك يوجد فيما كان منهم مزاحماً [لحزاميان] حكمه [ ][٢] لا أرى إنهم يبعدون من السند بعداً إذا دلوهم سيره [ ][٣] والنزل نحوها من الحيوان الجيد الذكر الذي له بالطبع [ ][٤] وقد قلت في أهل المسكن الحار قولاً كافياً مع من // [٢١و] أرتأ منتهى العلوم وسلم له أدب نفسه وأنا قاطع قولي ومقبل على ما يتصل بذلك إن شاء الله.

الباب الثالث

(القول في ذكر طبائع أهل المسكن الثالث)

---

(١) أقل حرارة.

(٢) كلمة ساقطة من الأصل.

(٣) كلمة ساقطة من الأصل.

(٤) كلمة ساقطة من الأصل.

وهم السمر وهم أهل الحجاز وتهامة واليمامة والبحرين ونجد ومن جرى مجراهم حدود السند، آخر حدود الإفراط الحار بين السند وبين ساكني الاعتدال أمة ممتزجة طباعهم من ساكني الاعتدال ومن السند كما إن أطراف السند ممتزجة طباعهم من السند والزنج والحبشة الذين هم السود وهؤلاء الذين أسموا السمر حتى صاروا أدماً، والأُدمة هي امتزاج من السواد والسمرة، وهو اعتدال من الأدمة والشقرة، وهؤلاء الذين قصدنا القول فيهم وهم ذوو السمرة، كأهل الحجاز واليمامة وبلد البحرين وأمم واغلة عنهم في الغرب وأمم واغلة عنهم في الشرق لا يعلمهم إلا الله، وإنما خبرنا بأمورهم وليس يليق بكتابي هذا أن أودعه أخباراً لأنه من الكتب الطبيعية التي يسلك فيها سبل البرهان فأقول: إن هؤلاء لما عرض مسكنهم نحو الاعتدال عن بلد السند كان الحكم عليهم في الأصول المتقدمة أن يكونوا أحر من السند وأيبس بالحرارة واليبس الطبيعيين، وأبرد منهم وأرطب بالحرارة والرطوبة العرضيتين، وذلك إنه بقدر ما نقص وقع الشمس عنهم نمت وقويت الحرارة الطبيعية فيهم مع الحر الملاقي أبدانهم وخارج والمجفف لنداوة أعضائهم، واستئثار الحرارة الطبيعية من الدم بأكثر مما تستأثر به أعضاؤهم، ينبغي أن يكونوا أحر من الأمتين المتقدمتين وأيبس وأنا أبين إنهم أحر الأمم كلها وأيبسها // [٢١ط] وذلك أن الأحشاء منهم حارة متهبة، والشمس تساقهم دفعتين في السنة إذا هي مالت من رأس الجدي إلى رأس السرطان[١] وإذا عادت من رأس السرطان إلى رأس الجدي، لأن عرضهم أقل من الميل ونهارهم الأطول أطول من نهار السند والشمس عليهم أطول مكثاً فهم أشد يبساً، وبلدهم أيضاً جبال وبر وبلد الزنج والسند بحار وجزائر وغياض[٢] وبطائح، وذلك في الزنج أكثر واليبس غالب عليهم لطول مكث الشمس عليهم أكثر من الأمتين اللتين قبلهما من خط الاستواء

---

(١) أي مداري الجدي والسرطان.

(٢) جمع الغَيْضة وهي الأجمة ويغيض الماء يجتمع فيه الشجر.

وإنما أحرقت الشمس ذينك الأمتين أعني الزنج والسند، لأنها تكون عند المسامتة لرؤوسهم أقرب إليهم منها عند مسامتتها السمر، فكأنها للزنج محرقة وللسمر يسيرة الإحراق كثيرة النشف والتخفيف، كثيرة الإسخان لطول مكثها عليهم لا بقوة الكيفية، وفعلها في السند بين وأغذية السمر قليلة الكمية لسخونة أجوافهم وما يعتدونه إنما يكون وقوداً للحرارة الغريزية ومادة لها أكثر مما تغتذي به أعضاؤهم، والشمس تيبسهم وكل هذه الأحوال التي هي لهم خاصة من الشمس توجب لهم أنهم أحر الأمم وأيبس، وأجسامهم منهوكة وأحشاؤهم طاوية ولا يكاد السمن أن يركب أبدانهم والعصب والليف في العضل أكثر من اللحم كثيراً، ولذلك أطول محاورة الشمس وقوة تأثيرها فيهم، لأن الوقت الذي تصير الشمس فيه في رأس السرطان تكون قد بعدت من بلد الزنج والسند أكثر من بعدها عن السمر، وإذا مالت إلى رأس الجدي كان حالها في إسخانهم شبيهاً بذلك، وإنما لا تحرقهم لأنها لا تكون في أقرب قربها، ولا يوجدون معتدلين في الشقرة لأنها لا تكون في أبعد بعدها // [٢٢و] فقد اجتمع عليهم أن أبدانهم شديدة التحلل بحر الأجواف وتحلل الأبخرة من أبدانهم وكثرة العرق، وما تجبره الشمس دائماً من أجسامهم بقوة إسخانها لهم، وبحر البلد ويبسه، وأنه قد تهب عليهم كثيراً في الصيف سمائم[١] تحرق وتهلك جميعهم، وهذا غير معروف في السند والزنج وهم مع ذلك ذوو أعمال وركوب الخيل وضرب في البلاد وأسفار وفلاحات وتصرف، وهذا زائد في يبس أبدانهم ولا يمكنهم التكييف في أسفارهم للشمس ولا في أعمالهم يحترسون من إسخانها ويبسها لهم باللباس والدثار حرصاً على أن تبدي جلودهم العرق، ولا تهلك باليبس، ويغطون أنوفهم ووجوههم حراسة للأدمغة من ملامسة يبس هوائهم، وكذا يفعلون بسائر أبدانهم ويرون أنهم يستسقون بذلك وينتفعون بأن تندى أبدانهم بالعرق، ولأن قلوبهم حارة حرارة منشفة وأعني بقولي حرارة منشفة حرارة كحرارة قلوب ساكني الاعتدال في الصيف وإنهم إنما [ينمونها بالجيس] فبان بعدل مزاج جلودهم فتقوى

---

(١) جمع ريح السموم.

على حفظ ما في الشرايين فتقوى حرارتهم الغريزية، وأما البلح[١] فينمي حرارة معدهم وتقوي وتعدل كيفيته الحرارة في قلوبهم، ويخرجون بذلك عن أن يكونوا كمن الحال في حمام، كأن قلبه يحمي وجسمه حمي وحرارته منفسه كليلة مكدودة، فجسمه لذلك ضعيف فتصور الآن حرارة قلوب السمر وحرارة أبدانهم، كإنسان مناقد أطال في هواء حمام وليس فيه مأوى كان فقليل ولم يستعمل منه شيئاً وإذ كان هذا قد تمثل في // [٢٢ط] عقلك، قام في وهمك، فاعلم الآن إنهم بهذا السبب وَقِيدوا[٢] الأجسام، كليلو الأنهام ساكنو الأخلاق، وطبوا الأكتاف، أهل ورع ورأفة ورحمة، لأن حرارتهم لا تنحصر وتكثر وتتكاثف في قلوبهم، وإن حركها الغيظ تحركت حركة عنيفة مع مادة كثيرة كحركة الماء في سبب الرخاء، ولا نفع لهم فتح العزائم، والتنقل في الآراء، ولذلك بأسهم وشدتهم في الحروب باستعمال الوفاء، والصبر على الجميل وإيثاره، ومعلوم إن لبلدهم عرض تختلف فيه أحوال ساكنيه فمن قرب من بلاد السند كان إلى طباعهم أقرب، ومن تجاوز عرض بلده خمسة وعشرين درجة وسامتته الشمس مرة واحدة في السنة فهو إلى ساكني الاعتدال أقرب، ومن هذا سبيلهم يوجد فيهم الدين والنسك ولزوم الناموس على أتم ما يكون من اللزوم إلا أن ذلك فيهم ليس هو على السبيل في ساكني الاعتدال، لأن ساكني الاعتدال يلزمون الدين بطريق الرأي مع التربية والعادة والعبادة ويتفقهون فيما علموه، وينبغون فيه وينهرون بعضه، ويرذلون، ويؤثرون بعضه، ويتخذونه، ويختلفون فيه حتى إنهم يرون في بارئهم آراء متضادة فيطيعونه بنحل متضادة، وسنذكر علل هذا إذا تكلمنا في هذه الطائفة إن شاء الله، وذوو السمرة إذا ربوا على نِحلة أو شريعة صارت في غرائزهم وطباعهم كالخلق ولم يروا فيه، وجرى فيهم مجرى الأخلاق، وتصور عندهم صورة الأول عن العقول والأبصار، وسبب اجتماعهم على أمر واحد في السيرة والسنة هو تقارب أمزاج أشخاصهم بعضهم

---

(١) البَلَح: قبل البسر لأن أول التمر طلع ثم خَلاَل ثم بَلَح ثم بسر ثم رطب ثم تمر.

(٢) من وقدت النار وقيداً، ويريد بذلك حرارة أجسامهم.

من بعض كما يعرض ذلك في تقارب أمزاج الوحوش فإن كل ذئب مخاتل وكل قرد محاكٍ // [٢٣و] وكل أرنب فروقة[١]، وكل سبع شجاع، وكل كلب ذو حفاظ ووكاد وأنفة وحماية عن حريمه، وإن وقع في أشخاص نوع من هذه[٢] التفاضل فليس يوجد شخص من أشخاص هذه الأنواع الأضداد، كذا فتصور الأمر في حال هؤلاء وهذه الطائفة أعني من تجاوز عرضه خمسة وعشرين درجة ذو أنفة عظيمة لعفة بطونهم ولقلة استعمالهم الري والمروة، ومن عف لم تستعبده المطامع ومن لم تستعبده لم يذل ولم يحرص، والحرص مذل، وسبب ذلك لزوم مزاج الجميع حال واحدة، وبهذا السبب لا تستعبد بعضهم بعضاً ولا تصبر على الذل بعضهم لبعض، وكل واحد منهم يأخذ حقه بيده ويرون أنهم أكفاء، وغذاؤهم واحد وشهواتهم واحدة، وحر أجوافهم يمنعهم من الاستكثار دائماً من الطعام وإنما يستكثرون منه يوماً في أيام كثيرة لما يعرض من شدة امتصاص العروق وحاجتها إلى الغذاء، وإنما تضطر العروق إلى ذلك إذا لم يوجد لمعدهم البرد الذي يحرك الجوع، ولشدة حر أجوافهم ويبسها يكون هضم محترقاً غير جيد، ولذلك يغلب على دمائهم المرار الأصفر، ولخفة أبدانهم وصفر أعضائهم يجزيهم ما حصل في عروقهم في يوم لأيام كثيرة فلا يعرض لهم الجوع إلا في الأيام [إذا][٣] أكلوا غذاءً يسيراً أجزأهم وصدهم عن الكثير، لأن في عروقهم ما يعضده ويقويه، ونفوس هؤلاء أشد من أجسامهم، وغضبهم يغلب عليهم لحر قلوبهم، ويكدر بالتحرك، إلا إنها إذا تحرك عَسر زواله، حتى إنهم يرضون أنفسهم بهلاك أجسامهم // [٢٣ظ] ، لأن النفس العصبية أقوى فيهم من الطبيعية والناطقة، وفيهم شجاعة بحسب قوة النفس الغضبية، وفيهم حذر على النفوس، وفزع عليها، وفرق بحسب ضعف أمزاجهم وقصورها عن قوة البطش، ولذلك يقاتلون على سراع الجبل ليدركوا ما طلبوه، ويهربوا ممن حدروا، والأمر في ذوي الجثث العظيمة وأهل البأس والشدة من

---

(١) فروقة: خائفة.

(٢) أي من هذه الأنواع.

(٣) الزيادة يقتضيها السياق.

ساكني الإفراط البارد بضد هذا، والسمر فيهم ندم على الفرار وعودة إلى الحرب بحسب حر قلوبهم ويبسها تقتادهم نكاية العدد فيهم عن المغادرة كما تقتادهم عن المباينة، وهم ذوو شبق وعشق وألف وكلف بالخرافات، إلا أن قوة العشق فيهم أقوى من قوة الشبق، وهذا مفهوم من الحيوان، فإن التراوح منه الألفة فيه والعشق والملق لقرينته أغلب عليه من الشبق حتى إنه يظهر لقرينته من أفعالها يؤكد لما يرى ذلك في الحمام، فإن للحمام قوة العشق فيه أكثر من قوة الشبق والديك، الشبق فيه من الألفة والمحبة، لأن الديك يسفد أي دجاجة رأى ويضمها إلى دجاجه، والحمام لا يسفد إلا بعد أن تقع الألفة، ولهذا تطاير كثيره كذا فافهم، إن الذين كلامنا فيهم هذه حالهم، وكل من آثر أن يسكن بيوت الشعر يكره بيوت المدر[١] من سكنى البلد الحار والبراري المنكشفة، فإنما ذلك له لميل طبيعته عن الإنسانية إلى طبيعة الوحوش، وهذه الأمة أشد الأمم استيحاشاً وأخبثهم أنفساً، لأن مزاجهم قد مال إلى المرار الأسود الحادث عن احتراق المرة الصفراء، وأنفسهم لخبثها تبعد عن الريف، ويستلذون أكل السباع والضباع والثعالب والذئاب واليرابيع والحيات والأفاعي ويأكلون مما يملكون لحوم الإبل والخيل // [٢٤و] والمعز، ويحبون النوح والمناحات وفيهم كآبة وفكرية وحركاتهم بطيئة، وكلامهم بترتيل وتوقف، ليس ككلام ساكني البلد البارد فإن فيه سرعة وعجلة، والسمر أصحاب أحقاد وضغائن وتِراتٍ[٢] وصيانة للحرم وذب عن الحريم، ومحافظة وغضبية، وكل ذلك لفعل الحر واليبس الغالبين عليهم، وشعور رؤوسهم من شعور السند وشعور ساكني الاعتدال وهي حسان، وشعور اللحى فليست تكون فيهم معتدلة فضلاً عن الكثرة إلا فيمن كان جهم الوجه رطب الخدين فإن شعر وجهه يلحق لحى أهل الاعتدال وتصغر عند لحى أهل السند والهند كثيراً، ومن كان منهم يابس مزاج خديه كان كوسجاً أو قليل شعر اللحية، لأنه يعرض للحاهم ما

---

(١) المدر: القرى.

(٢) وتَرَه حقه يتره وِتراً بالكسر نقصه.

يعرض للحى الزنوج من مباشرة الحرارة وإن دماءهم قليلة غليظة عسرة الحركة، والشعر الذي نباته بالفصد فهو من الأعضاء واغتذاؤه بالدم ولقلة دمهم ويبسه ما يتولد في خدودهم شعر له قدر، وأما وفوره على رؤوسهم فلأن الذي يغدوا شعر الرأس قد اعتدل ببرد الدماغ ورطوبته ففارق طبيعة دم سائر البدن وصار مادة موافقة للشعر، وجلدة الرأس موافقة لنبات الشعر لما قد ذكر، والشعر الذي من الطبيعة بالعرض نباته عن أبخرة الأبدان وما يتحلل منها، ولذلك إن هؤلاء زهر[1] الأبدان لأن الأبخرة قليلة لما تقدم ذكره، والشمس تستفرغ لمائي سطح بارد أَولاً، أو لا يلبث منه هناك شيء فيتولد منه شعر، والقبل منهم كثير لقوة نبت الولد من النساء وشبقه، والطاعون يقتل فيهم لبردهم // [٢٢٤ط] وأمراضهم قليلة لكثرة حركتهم وصونهم في البلاد ولأن هواء الشاقة والصيف يتمكنان من أبدانهم، وهم أيضاً يأكلون الحيات والأفاعي وهي منقية لأوساخ أبدانهم دافعة بها نحو الجلد، ويشربون اللبن الحليب من الإبل، والإبل ترعى ما حسن من النبات كالشكاع[2] والباذاورد[3] والحرشف[4] ولسان الثور[5] فيغسل هذا اللبن أجوافهم ويحلل فضولهم ويصلح أجسامهم وليس يعملون من اللبن شيئاً من المعفنات كالسوارير والجاجق والكوامخ والأجبان، والمصل، فالعفونة في أبدانهم قليلة وهم كثيراً ما يأكلون الحنظل وناهيك به دواء لتنقية أدمغتهم وصحة أسماعهم وأبصارهم وصلاح أعضائهم، ودماؤهم قليلة الرطوبة فهي قليلة العفونة، وينبغي أن نعلم أنه إذا عرضت لواحد منهم الأمراض والأسقام أتلفته بسرعة، وكان خلاصه من نادر الأمر لأنه ليس في طباعهم أن تميل أمزاجهم، ولا أن تقلل فضول أبدانهم، ولا أن يوجد ما تَقِّلة عن المأكل والمشرب، ولا أن يعدل بهم عن غذاء إلى آخر لأن ذلك

---

(١) رجل أزهر أي أبيض مشرق الوجه.

(٢) الشكاع: ومعناه الشوكة البيضاء. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ٦٦/٣.

(٣) الباذاورد: نبات شوكي مجفف وقابض. ينظر المصدر السابق ٧٥/١.

(٤) الحرشف: نبات متعدد الأنواع شوكي. ينظر المصدر السابق ١٨/١.

(٥) لسان الثور: نبات نافع للسعال والرئة والحنجرة المصدر السابق ١٠٨/٤.

لم يمرر بهم قط، فنحن نخاف أن يكون متى استعمل فيهم أن يكون من أضر الأشياء لهم، فهذا ما أقوله في أهل المسكن الثالث من الإفراط الحار.

(الجملـــة الثالثـــة)

في الإفراط البـارد

البـاب الأول

(في ذكر طبائع أهل المسكن الأول من الإفراط البارد وأحوالهم وهم الصقالبة)

قد ينبغي أن يتبع ما تقدم من ذكر حال الأمم الساكنة للإفراط الحار بذكر البلاد الساكنة الإفراط البارد وإن ترتيبهم ذلك كما رتب الخالق ﷻ // [٢٥و] لأنه من الأمور المقدور بها، وإن كل أمر له عرض فهو ذو وسط وطرفين فأول سكان الإفراط البارد الصقالبة، وكما إن سكان الإفراط الحار الزنج ومن لونه مثل لونهم، وشعره مثل شعورهم في القصر والاحتراق فإن هذان أمران يعمان جميعهم، كما يعم الصقالبة صهوبة(١) الشعر وزرقة الأعين وشدة بياض الجلد،

وهم الصقالبة أيضاً عبل(٢) الأجسام ولباقها، وإنها رهلة عظيمة، وهذا وغيره لهم، لأنهم كما قال جالينوس عن بقراط إنهم حارين بالحرارة الغريزية، باردين بالحرارة العرضية، وفي السودان المفلفي(٣) الشعر إنهم حارين بالحرارة العرضية باردين بالحرارة الغريزية، وما أحسن ما شرح الله عز وجل به صدره ووفقه له حتى أصارنا إلى الانتفاع بما عمله ولله الحمد على ذلك حمداً يقتضي مزيداً(٤) من نعمه ويديم توفيقنا فإنما نحن به وله.

---

(١) الصهوبة: الشقرة في شعر الرأس. ينظر اللسان مادة (صهب).

(٢) العبل: الضخم في كل شيء. ينظر لسان العرب مادة (عبل).

(٣) وهو تجعد الشعر.

(٤) في الأصل مريدنا.

والصقالبة مزاجهم الطبيعي حار يابس ناري، ومزاجهم العرضي بارد رطب، وإنما صارت القلوب من الصقالبة حارة شديدة الحرارة لمماسة البرد الشديد أبدانهم، وتحصيفه لها باليبس، فحرارتهم متحركة أبداً نحو أعماق أبدانهم محصورة الأماكن الداخلة كما يعرض عندنا للسراديب والآبار والمساكن الغائصة في البرد الشديد وسببه بما يعرض للأجواف منا في الشتاء أن تسخن، ومادة الروح الحيواني التي في بطن القلب الأيسر والشرايين كبيرة لاستكثارهم من المأكل والمشرب، ولجودة الهضم في معدهم وعروقهم، وكثرة المادة فيها قد تفي بمادة الروح الحيواني وتوفي بمزاج ما في عروقهم أشد حرارة وأكثر رطوبة مما في عروق أهل // [٢٥ط] الاعتدال ومزاج الروح الحيواني فيهم أحر وأيبس منها في السودان وفي ساكني الاعتدال وما في عروقهم غير الضوارب تفي لأعضائهم بما تكتفي به ويزيد، فأعضاؤهم لذلك عظيمة تزيد على مقدار الأعضاء في ساكني الاعتدال، وكذلك جملة البدن وكمية الروح الحيواني وكيفيته زائدتان على ما هما عليه في ساكني الاعتدال وما في أعضائهم وعروقهم من المادة لا تحلل الشمس منها شيئاً له قدر فمواد أبدانهم موفرة فغلبت الرطوبة اليبس أكثر من غلبة الحرارة والبرد، وأما الهضم الثالث منهم فليس بالجيد في أعضائهم لضعف الأعضاء وخدرها بالبرد عن تمام فعلها، والهضم الثالث في السودان خير من الهضم الثاني والأول، فيجتمع الحار الغريزي فيهم أن يكون كثير الكمية لكثرة الغذاء، وجودة الهضم في المعدة والعروق قوي الكيفية يحصر البرد له ومنعه من التحلل وآلات الطبيعة عظيمة كثيرة مناسبة لما عليه جملة البدن، فأما إنهم باردين بالحرارة العرضية، فهو إن الذي تجره أعضاؤهم الخارجة التي تلي الجلد من الغذاء إليها لا تقوى على تغيره التغير التام وإن يُشَّبه فهو أشبه شيء بما تغتذي به ألوان الأطفال، ولذلك يلحقها برد الجلد وبرد ما يقرب منه، وإن الشرايين في أطرافهم يضعف فعلها لما يلاقيها من البرد فالأعضاء البسيطة التي خلقت من دم الحيض

ليست بحسب الأعضاء البسيطة المخلوقة من المني، لأن التي خلقت من دم الحيض[١] ونمت عظيمة لما ذكرنا عبلة ثقيلة رهلة، فأما العصب والعروق فغير مناسبة لذلك وهي من السودان <   >[٢] منها في الصقالبة، والصدور من الصقالبة عظيمة لحر قلوبهم والنفوس// [٢٦و] منهم ليست كذلك في المقدار، بل هي غير مناسبة لحر القلوب لأن الدماغ لو بلغ نهاية الحر ما شابه حرارة القلب، إلا أن نفوسهم وإن كانت صغيرة بالإضافة إلى صدورهم فهي أكبر من نفوس السودان، ووجوههم أضخم من وجوه السودان إلا أنها ليست كذلك بالإضافة إلى الإنسان المعتدل، لأن حرارة أدمغتهم ورطوبتها وإن كانت تفعل فعلها فالبرد العارض قد يعوقها عن تعظيم الرأس لأنها حرارة تتحرك في الأعماق فكذلك جباههم ليست بالواسعة والأعين منهم زرق أبداً لغلبة المزاج العرضي على أعينهم، وحركة الحرارة نحو العمق وكذلك الشعور التي هي الطبيعية بالقصد هي بمنزلة الزرع من الزراع في سن الصبي صُهب إلى البياض، وعند المنتهى صهب ولا توجد شقراً ولا قريبة من ذلك كما لا توجد الأعين منهم شهلاً[٣]، وسبب ذلك غلبة المزاج العرضي عليهم ومسير الحرارة إلى الأعماق واستيلاء البرد على الجلود، وما قرب منها إلى الأعضاء لأنه يعرض لها سوء الهضم عند اجتذابها الغذاء سببه بما يعرض لأصحاب الاستسقاء اللحمي، الشعر الذي بمنزلة الكلأ لا يوجد على أبدانهم وإن وجد فزبر أو شعر ضعيف ليس بذي لون فيمن خالف مزاج الجمهور، وحال الجمهور أن يكونوا زعراً دقيقة جلودهم ناعمة وتحتها شحم كثير، ولهم أثداء وبطون ومعد وأمعاء عظيمة المقدار، فأما الأعجاز منهم ففي لحومهم صفار بالإضافة إلى أعجاز السودان وكبار بالإضافة إلى أعجاز أهل الاعتدال وكذلك إنما تغتذي // [٢٦ظ] أعلا أبدانهم أكثر مما تغتذي به الأعضاء السفلية على الأصل المقدم والأكف والأذرعة والأفخاذ، والسوق عظيمة ربّا

---

(١) لا علاقة لدم الحيض بأعضاء الجنين لما ثبت ذلك في علم الأجنة.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

(٣) الشهل: أن يشوب سواد العين زرقة.

لأنها على الحال التي تكون في الخصيان، وذلك أنها تعظم لأنها تجبر إليها غداء لا تجيد هضمه ولا ببقاء فضله فيلصق بها من غير سبب تام فتكثر كمية العضو الذي هذه حاله، ومعظم الصقالبة لا يوجد فيهم تناسب بين الثنداوين[١] والظهر لأن القصب منهم لا يحمد عند جمهور سائر العظام فجميع الأعضاء التي فيها القصب أطول من جميع الأعضاء التي فيها الفقارات وغير الفقارات وسبب ذلك علة الرطوبة، وهذا نشرحه في الباب الذي نذكر فيه الخصيان ذكراً مشروحاً، اللحى من الصقالبة والحواجب خير من شعر الرؤوس، وليس يجب أن تكون كثيرة الشعر بل يلزم أن تكون عوارضهم[٢] خفافاً والأذقان ذات شعر والأسبلة، لعله البرودة العرضية التي استحال إليها مزاج جلودهم، ولأن حركة الحرارة نحو المركز، ولأن الدم الذي يغذو الشعر في الجلد بارد جامد غليظ لزج بلغمي وشعورهم لذلك قليلة الكمية صهب إلا أن يكون منهم من قرب بلدة من الأمة التي تليه نحو الاعتدال أو مزاجه مخالف للحم العقر والبلدة، وشهوة الجماع منهم غير متسلطة ولا باطلة البتة، وذلك أنهم لسخونة مزاجهم يشهون الجماع ويلحقهم فيه فتور ولا يمكنهم الاستكثار منه البتة لأن الحرارة والأبخرة التي يكون منها الأنفاط سائرة نحو الأعماق ويفهم قدرة عليه لأن لهم من المني بالحرارة والرطوبة مقدار كثير ولذلك تكون مع الأجنة منهم عظيمة، وحكى بقراط أن نسائهم يزلقن أولادهن // [٢٧و] خديجاً[٣] كثيراً لرطوبة أرحامهن وهذا هو الذي ذكرناه آنفاً من أن أعضاءهم التي تلي الجلد لا يتم لها هضم جيد، والأنثيان والإحليل والرحم والثديان من أسوء الأعضاء التي تلي الجلد لملاقاتها الهواء البارد، وقد وصف سائر الناس من أمرهم قلة النسل كما وصفوا من الزنج ومن جرى مجراهم كثرة النسل، لأن قليل البزر في جيد الأرض خير من جيد البزر في رديء الأرض، والسودان البزر منهم جيد والأرض جيدة والصقالبة الأرض منهم رديئة والبرز منهم

---

(١) الثندوة: للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(٢) عارضتا الإنسان صفحتا خديه، كقولهم فلان خفيف العارضين يراد به خفة شعر عارضيه.

(٣) الخديج: هو المولود قبل مولده.

ليس بالجيد، فنسل الصقالبة بهذه الأسباب قليل جداً، والصقالبة ذوو خلق يوجد عليه جميعهم كالحال في السودان فإن وجد في بعضهم سنة وناموس فعلى طريق الألف لا على طريق النظر والبصيرة ولا خوفاً من العقاب ولا رجاء للثواب، وإنما ذلك في بعضهم لقرب مساكنهم من أمم يستعجلون هذا وقد ذكرنا الحال في هذا مشروحاً في الباب الذي ذكرنا فيه أمر السودان فليفهم من ثَمّ، والصقالبة أصحاب شجاعة وحرارة جنان وأقدام وتهور وقلة نظر في العواقب، لحر قلوبهم ورطوبتها، وليس هم أصحاب آراء ولا جناتها، لأن الحرارة والرطوبة تحدث التنقل في الآراء، وأدمغتهم حارة رطبة بالحرارة والرطوبة الطبيعيتين وباردة رطبة بالبرودة والرطوبة العرضيتين فالحقد فيهم قليل لأنه لليبوسة[1] ويوجد لهم الوقار والسكينة، والصقالبة لا يوجد فيهم العلوم ولا التصرف في النظر إلا أن يجلب منهم طفل إلى دار الاعتدال فيكسب ذلك اكتساباً لأن البرد والرطوبة تمدان الحواس وكذلك // [٢٧ط] النفساني وقلة الحركة والتصرف، وكذلك لا توجد فيهم أيضاً الصنائع الفاضلة والأعمال الدقيقة والتكسب والتلطف في المعايش والأسفار عن بلدهم، والضرب في الأرض لأن مزاجهم يوجب لهم قلة الحركة والهدوء والقرار، وذلك أنه يعرض لهم شبيهاً بما يعرض للحيوان المنجحر في أوكاره، وهو أن لا يتصرف ولا يسفد وكما إن هذا الحيوان يعرض له هذا لسُنة البرد، كذا حال الصقالبة فبرد بلدهم ورطوبته[2]، وبلدهم يكثر فيه سقوط الثلج في الشتاء ويمطرون عامة الصيف، فالرطوبة لذلك مسرفة فيهم كما أن الحيوان المنجحر يعظم جسمه ويشحم ويضخم لأسباب قد ذكرتها في مواضع، وأنا أعيد ذكرها عند ذكري الحيوان المنجحر، كذا يعرض بعينه في الصقالبة أن يسمنوا ويضخموا ويعتلوا لتلك الأحوال بعينها، وبالجملة فحركة النفس الطبيعية أقوى فيهم من حركتي النفس الناطقة والحيوانية، والصقالبة إذا وقعوا في بلد الاعتدال وهم أطفال وربوا فيها

---

(١) أي خاص بالمزاج اليابس.

(٢) أي كذا حالهم برد بلدهم ورطوبته.

وأخذوا بالسر والنواميس حسم تدينهم وتمسكهم بالسُنة وتعلموا الأعمال وسبب ذلك ما يعرض لأمزجتهم من التغير والاستحالة كما يوجدون بغير أمزاجهم عند الحمى وليس يكاد يوجد مثل هذا التغير في السودان، والصقالبة يستشفون بالكي وينتفعون به في الأمراض التي ينفع فيها الكي بأكثر مما ينتفع به غيرهم من الأمم لغلظ وبردها وزيادة هذا الحال فيهم على جميع الأمم وكثيراً ما يحدث في معدهم وأكبادهم وأطحلتهم < >[١] خارجاً عن المجرى الطبيعي من الخلط البارد اللزج الغليظ فيكتون // [٢٨و] فيشفون، وتحدث في تجاديف هذه الأعضاء وفي الأمعاء هذه الرطوبات فيكتون ويشفون، وهذا سببه بما يعرض في تجاديف الشيوخ، لقصور الحرارة الغريزية عن طبخ الدم فيهم وهضم ما تغتذي به الأعضاء، وإنضاج الفضول في التجاديف ونفيها وذلك أن القوة الدافعة في كل عضو لا يمكنها نفي الفضل عنه متى لم تكن القوة المغيرة يمكنها أن تهضمه، وأن تصيره بحال قد زال عنه اللحوح والغلط واللزوجة والنهوة، فإن القوة عند ذلك تقوى على نفيه، والإسهال وخروج الدم لا تحتمله أجسامهم، لكمون الحرارة الغريزية واجتماعها إلى المركز، لأنه لا يؤمن على من استفرغ منهم أن يعرض لنفسه الحيوانية ما يعرض للنار عندنا وأيضاً فإن أخلاطهم أبداً جامدة لا يسهل إخراج الفضل منها، والدم منهم ينبغي أن يوفي على وقود الحرارة الغريزية ليكون مادة لها، والطاعون لا يوجد فيهم، والجدري إذا عرض وكثر قتل، وجميع ما وجدتني حكيته في السودان مما طويت ذكره هاهنا إيجازاً فافهم ضده في الصقالبة، فجميع ذلك مفهوم على النظير، وما لعلي ذكرته أو لم أذكره، فالحكم فيه كالحكم في ذلك وحركات هذه الأمور كثيرة وإنما كان فكري وغرضي أن آتي بأمر كلي وقانون صناعي يفهم منه أحوال هذا المسكن وأن أذكر من الجزئيات بمقدار ما ترتاض به النفوس وتكون سبيلاً هادية إلى أن يظفر بما جرى مجراها وارفة أتيت بذلك // [٢٨ط] وأنا قاطع قولي ومقبل على ما يتصل به إن شاء الله.

---

(١) فراغ بمقدار كلمة.

الباب الثاني

(في ذكر طبائع أهل المسكن الثاني من الإفراط البارد وأحوالهم)

وهم الأتراك [والبحسال][١] والخزر[٢]، قد تقدم القول في الصقالبة الذين هم ابتداء المساكن من الإفراط البارد وينبغي أن أُتبع ذلك بالقول في الأمة التي بعدهم، وهي التي نسبتها إلى الصقالبة كنسبة السند إلى السودان وإنما أسمي أمة بعد أمة إذا خالف مزاج الثانية مزاج الأول مخالفة ذات قدر محسوس عند الجمهور، كمخالفة الترك للصقالبة، وذلك أنه لما ارتفع القطب الشمالي على الأتراك ارتفاعاً هو أقل من ارتفاعه على الصقالبة خرجوا به عن مزاج الصقالبة ولما خرجوا عن مزاجهم باينوهم في الخلق والألوان والسحنات[٣] ووجد لهم بذلك أموراً تخصهم يتوحدون بها دون الصقالبة ودون الأمة الثالثة التي فيما بينهم وبين أهل الاعتدال ودون كل أحد من الأمم لأن المزاج العرضي علة تباين[٤] الأمم واختلافاتها، وتجعل[٥] كل واحدة منها غير الأخرى ولما كان لبلد الصقالبة عَرْض ما وجد فيهم تغايراً بحسب زيادة ارتفاع القطب إلا أنه تغاير لم يخرجهم إلى أمة غير الصقالبة. بل صقالبة فلانية، وصقالبة فلانية، كما قلنا في السودان أن فيهم سوداً زنجاً، ومنهم سوداً حبشة ومنهم سوداً نوبة إلا أن هذا[٦] التغير لم يجعلهم أمة واحدة فمثل ما ذكرنا نكتفي أن يفهم في الأمة التي كلامنا فيها، وهي الأتراك، إن (الأتراك)[٧] تخالف بعضاً مخالفات هي يجب ارتفاع

---

(١) هكذا كتبت في الاصل.

(٢) وهو اسم لبحر يسمى بحر الخزر. ينظر معجم البلدان ١٥٣/١.

(٣) السحنة: الهيئة.

(٤) تباين: تظهر.

(٥) في الأصل وجعل.

(٦) في الأصل أهل.

(٧) الزيادة من ب.

القطب عليهم وقربهم // [٢٩و] من بلد الاعتدال وبحسب ميلهم في مسكنهم نحو شرقه أو غربه أو بين بين، فإن الترك قد يخالف بعضهم بعضاً في السمرة والبياض وعظم الأعين وصغرها وخصب البدن وقضفه[١] وسواد الشعر وشقرته إلا أنه بين عند الجمهور أنه قد عمّتهم أجمعين صورة الأتراك، وطبيعة امتازوا بها من الأمم على تخومهم مما يلي المسكن المعتدل، صنف منهم يقال لهم البحسال صورهم في أمزاجهم بين صور الأتراك وبين صور اللان والكاسك والسريرية[٢]، إلا أن الذي فيهم من شبه الأتراك أكثر كثيراً فجعلناهم على التخوم ولم نخرجهم عن أن يكونوا أتراكاً إلى أمة عند تقضي بلد الأتراك، وعلى تخوم الترك مما يلي الصقالبة قوم شقر الشعور، أو صهبها صغار العيون شهل أو زرق إلا أنهم لا يوجد فيهم الأزرق الفِضَض[٣] كما يوجد في الصقالبة، ومن كان على السواحل من الترك يوجدن سمراً، في خدودهم كلف، وأبدانهم مخالفة لوجوههم، وكذلك لوجوههم من البحر ولأبدانهم من الطبع، ومن يسكن من البلد الخشن الشامخ الجبال ذي الشجر الطوال والأظلال الظليلة والعيون الباردة وكثر عليهم الثلج فكانوا بيضاً سود الشعور سود العيون واسعوها[٤] ذوو مقل حسان وما سوى هذه الأوصاف ممتزج منها، وبلد الصقالبة أضيق البلدان لا بلد الترك أوسع كثيراً وأكثر امتداداً وإذ قدمت أمام قولي ما اقتضت الحال مقدمته، فقد ينبغي أن آخذ الآن فيما قصدت من القول في طبائع الأتراك التي تعم الصنف بأسره دون ما يوجد من التغاير بحسب الأسباب // [٢٩ط] الأرضية فأقول: إن الأتراك يعمهم أنهم أحرس الصقالبة وأيبس بالحرارة واليبس العرضيين، وأنهم أبرد وأرطب بالحرارة واليبس الطبيعيين، فإنهم أبرد من أهل الاعتدال وأرطب بالبرودة والرطوبة واليبس الطبيعيين،

---

(١) القضيف: النحيف.

(٢) اللان جبال العتيق إلى حدود السرير وبلاد بحر الخزر. ينظر معجم البلدان ٣٤٢/١ وهي الآن من المناطق الواقعة بالقرب من روسيا.

(٣) أي الأزرق المائل إلى لون الفضة.

(٤) في الأصل واسعتها.

وألوانهم بالطبع بيض إلا أن يقع ببعضهم تغير أرضي، وأبدانهم رطبة لَدِنة[1] وليست بالدبقة اللزجة، والحرارة في أبدانهم أشد انتشاراً منها في أبدان الصقالبة إلا أنها مع ذلك لا تقوى على هضم ما في أعضائهم القريبة من الجلد فضلاً عن الجلد، وإذا كنت قد شبهت مزاج الصقالبة بالحيوان المنجحر بالشتاء فأنا أشبه مزاج الأتراك بما شبهه بقراط فقال إنه يشبه بمزاج النساء، يريد نساء أهل الاعتدال، وما أحسن ما شبه وألطف ما ذهب إليه، وقد ينبغي أن نقول: ما السبب في أنهم أحر من الصقالبة؟ وكيف ذلك؟ أما السبب إنهم أحر فلأن برد بلادهم أقل من برد بلد الصقالبة، وإنهم كالأكراد يرحلون مع الزمان ولا يقاسون الجهد منه في الإفراط، كما يقاسي ذلك الصقالبة والزنج، فالحرارة الغريزية منتشرة في أبدانهم انتشار آماً كانتشارها فيمن سكن الاعتدال في شتوة غير مسرفة البرد لا في اعتدالين من الزمان، لأن هذا الانتشار يكون قد لحق الجلد وعم الجسم، فهم لذلك أقوياء على الأعمال والتصرف والضرب في البلاد مداومون ركوب الخيل لسرعة نهضتهم، بالإضافة إلى نهضة الصقالبة لا بالإضافة إلى سرعة نهضة بوادي العرب والقوم الذين سميناهم السمر، ومادة الحار الغريزي فيهم كبيرة القوة وشهوتهم للأكل وصلاح الهضم بمقدار الحرارة // [٣٠و] بكثرة الرياضة وأكلهم الدم واللحم الذي فيه نُهوة، ولحوم الخيل، وليس يأكلون ما يأكله[2] السند من الأرز والذرة والمالح، والحيوانات البحرية المجففة للدم، وليس فيهم ما في السند لحرارة مزاج السند ويبسه والحقد يزيد ثبات الرأي، وإنما فيهم قلة حفاظ، وقلة وفاء بالعهد للحرارة والرطوبة المتولدة لا دمغتهم، ولذلك لهم التنقل في الآراء وقلة الثبات على العزائم، ولهذا المزاج يتحرك الغضب من قلوبهم بسرعة ويخمد بسرعة. والأتراك ليسوا بأصحاب فلسفة، ولا نظر ولا تدقيق، لأن هذه الأحوال للإنسان من ظفره بالضدين، وموالاته بينهما، وتمييز الفضيلة من الرذيلة، وهذا إنما يكون فيمن

(١) لدن: لين.

(٢) في الأصل ما يأكلونه وما أثبتناه.

مزاجه من السبب المحرك إلى الفضيلة والسبب المحرك إلى الرذيلة، وذلك إنه لا يرى الرذيلة إلا من له مزاج يحركه إليها، ولا يرى الفضيلة إلا من له مزاج يحركه إليها ثم يجيء الحاكم من النفس الناطقة فينهي عن الإدراك وقد علم ما فيه ويحط على الأفضل وقد علم ما يحظى به منه، وأهل الإفراطات فإنما لهم أخلاق واحدة كما لهم مزاج واحد، كما وجدد ذلك في البهائم فإنه ولا غراب واحد يقق[١]، ولا أرنب واحد شجاع، فأما فلان وفلان من ساكني الموصل، واحد تقي وآخر لص وآخر صادق وآخر كاذب، وفلان بعينه يؤدي الأمانة تارة ويخون أخرى لأحوال تدعوه إلى الخيانة، فأما ساكني الإفراطات فالخَلق واحد والخُلق واحد، ولكل صنف طبيعة تعمهم وتميزهم من أهل الموصل وأهل البصرة عن أهل آمد[٢]، ولا يوجد لهم التدقيق // [٣٠ط] في الصنائع لأن هذا مما تنتجه الأفكار والنواميس والسنن، ولا يوجد فيهم لما ذكرنا من قلة معرفتهم بالضدين، وحركات النفس فيهم سريعة فبوادرهم كثيرة وجناياتهم غير مأمونة لغلبة الحرارة والرطوبة على دفعتهم وقلوبهم، وهذا موجود فيهم بمنزلة الخلق وليس بموجود فيهم على جهة حركة النفس، كما يكون ذلك في أهل الاعتدال هو فيهم كما يوجد في السند الحقد ومحبة الانتقام، على جهة الكيد والحيل على مرور الزمان، ومحبة الانتقام في الأتراك على جهة العجلة والمبادرة والمكاشفة، وكذا ينبغي أن تكون، لأن نسبة الأتراك إلى الصقالبة كنسبة السند إلى السودان، وحال الصقالبة مضاد لحال الريح فحال الترك مضادة للسند، وكذلك حال الترك أسبق من نسلهم وأقوى على استعمال الجماع، والنساء منهن يزلقن أجنتهن لرطوبة أرحامهن، [وهذا يعنيه حكي من أمرهم بقراط][٣] وقد حكى أنه ينقطع نسل رجالهم بسبب قطعهم عرقاً خلف الأذن، وأنا أرى إن هذه البلية تعرض للرجال لنهوة أخلاطهم، ومحاحة[٤] دمائهم

---

(١) يقق: شديد البياض.

(٢) آمد مدينة قريبة من همدان معجم البلدان ٢٨٩/٥.

(٣) ربما أراد بقوله هذا (إن بقراط حكى من أمرهم).

(٤) المحاحة: يقال مح الشيء أي خالصه. ينظر لسان العرب مادة (محّ).

وإن المني منهم رقيق جداً فنسلهم لذلك قليل وإنه متى غلب اليبس على الرجال منهم يعرض لمنيهم ما يعرض لأخلاطهم، كما يعرض عندنا لمني الشيوخ وأخلاطهم من الرجال والنساء فينقطع منهم النسل، وكذلك يبتليهم خلقهم عند علو السن بتغير وبتشوه، ويعرض لهم ما يعرض لبعض العجائز في الاعتدال أن تفارقهن محاسنهن ويتشكلن بشكل مشوه، وإذا امتزجوا بأهل الاعتدال حسن منهم الأولاد وصلحت أمزاجهم وقد يعرض // [٣١و] للأتراك الأمراض الباردة الرطبة، وثقل الإدراك، وعسر المني، وعرق النسا وينتفعوا بالكي وشرب الصدف(١) إن أمكنهم إلا إنه في بلدهم قليل، فالهضم فيهم ليس بالجيد وشربهم الماء البارد شتاءً وصيفاً، وهذا لغلظ أخلاطهم فترهل أبدانهم، وليس هم بأشداء الأبدان ولا موثقيها مثل الأردن والروم والأكراد، لأن عظم أبدان الأتراك إنما هو بالشحم الجامد تحت الجلد والشحم والسمين الذي يجمد على الأعضاء الباردة، والشحم واللحم منهم غير مناسب للعصب والقصب وجميع الأعضاء المتشابهة الأجزاء الأول وذلك فيهم، لأنه قد يجتمع على مزاجهم إنهم أبرد من أهل الاعتدال وأرطب بالحرارة في نفس جرم القلب، لأنها متحجرة مجتمعة متحركة نحو العمق، فالأعضاء قد اجتمع عليها بردان البرد العرضي وقلة انتشار الحرارة الغريزية، فهي باردة فلذلك أبدانهم ناعمة وليس لهم عِظم جثث الصقالبة، لأن الصقالبة أهل مدر وهؤلاء أهل شعر(٢) فيعرض لأجسامهم شبيهة بما يعرض لأجسام بوادينا من قلة كمية الأجسام والقصف، وكذلك الأتراك بالإضافة إلى الصقالبة قليلو كمية الأجسام، والأتراك جنس فطس، لُحظُ العيون، جُهم الوجوه غليظو(٣) الشفاه، وبالجملة ليس بالدقيقي المحاسن لأنهم أهل إفراط والإفراط يشوه الصور ويمنع الطبيعةَ المزاجُ العرضي أن تستوفي فعلها بالمزاج الطبيعي فلبرد أمزاج

---

(١) قال عنها جالينوس إنها مادة صلبة جداً تحرق وتستعمل مادة مجففة. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ٣/٨١.

(٢) أهل شعر: أي أهل خيم.

(٣) في الأصل غليظي.

الأنوف، فتنفطس وتغلظ كما قدمنا وكما هو مشهور، ولبرد الخدود يكثر فيها السمن واللحم فتشكل بالتدوير، كما إن السمر لما عريت منهم الخدود من اللحم السمين // [٣١ط] تشكلت بالطول ونعتوا بسهولة الخدود، والأعين منهم لحظ قليلة الطرف بكد ما يديرونها، وفعلهم عظيمة وخروق الأعين ضيقة، وهذا المزاج البارد الرطب الذي قد غلب على أعينهم يجعل مقلهم عظيمة، لأن المقلة شحمة فجميع ما تقبله من وسم الدم عليها فتعظم لذلك، ولبرد مزاجها أيضاً لا ينفى عنها فاضل غذائها، ولا ينحل منها ما ينحل من أعين ساكني الاعتدال فيبقي ذلك محصوراً فيها، كما يبقى الفضل في أجسام الحيوان المتحجر في شتائه فيعظم ويشحم، كما يعرض تجنب النساء ومن يستعمل من الرجال واستعملته النساء من ملازمة البيوت وتمر فيه الجسم والنفس، وإيثار الملاذ واتباع الشهوات، فإن كل واحد من أعضاء هؤلاء وجملة أجسامهم تعظم وخروق الأعين لا تتسع إلا فيمن هو أسود الشعر منهم، ومن قد مال مزاج عينيه إلى الحرارة حتى صار أكحلَ أو أشهلَ، فأما من كان منهم أزرق أو نحوه فخرق عينيه صغيراً، لبرد مزاج عينه، وقد قلنا على أي جهة كان عظمها، ويجب أن يخطر ببالك أمر الروم متى عرض لجميع الوجه اليبس تغيرت محاسنه حتى يوجد للوجه بجميع جوارحه شكل غير الذي هو له بالطبع، كذا فتصور الأمر في وجوه الأتراك، إنها قد غلظت غلظاً من المزاج العرضي صار لها به أشكالاً خارجة عن الأمر الطبيعي، وكذا كل غلظ خارج عن الأمر الطبيعي يخرج صور الأعضاء وأشكالها عن المجرى الطبيعي كما يرى ذلك في المستشفى وأصحاب الماشر أو من جرى مجراهم إلا أن الذي يعرض لوجوه الأتراك ليس بورم ولهذا لو عرض حتى إن منهم من // [٣٢و] يُستقبح ذلك فيه جداً، ومنهم من يرى إنه قبيح في معناه، وأما ضيق خروق أعينهم فلقلة الحرارة الطبيعية في الأعين، فأنى لها أن توسع خرق العين، وإن بحر النظر حتى يظهر من بياض العين حوالي العدا مقداساً كثير وإن يزيد في حركتها، والأتراك لأن مزاج أعينهم بضد هذا المزاج حال أعينهم على الضد من هذه الحال، وأما الذي للحاهم أو في صدورهم وفي أذقانهم شعر إلا أنه قليل، فذلك يعرض لهم لبرد هذه

الأعضاء وترهلها بالغذاء العسر يألم الهضم، ولكثرة الشحم تحت الجلد لأنه ينبع هذه الحال ومعلوم أن ذلك يتبعه لين الجلد ونعومته، والجلود الناعمة مسامها إما مسدودة ناعمة وإما ضيقة، والأبخرة تحت الجلد منهم قليلة الحركة، وغير متحركة البتة، والشعر لا يتولد فيما يزرعه، وهو أشبه شيء يزرع في أرض رطبة لبقة كثيرة الماء يمدد أكثر مما يبرز فيها فيفسد، ومما ينبت فيها كان ضعيفاً، وربما لا يبلغ مقدار الكمال، والأتراك لا توجد فيهم طيبة الصوت لرطوبة قصبة الرئة منهم، والأمراض الحادة تكاد لا تعرض فيهم، فأما الأمراض الباردة الرطبة فكثيرة، والطاعون لا يكاد يعرض في مدنهم ومساكنهم، وإذا أصابهم ذلك في بلد الاعتدال كان قاتلاً يسرع النكاية فيهم، وهم للحصبة أشد احتمالاً [منها](١) للجدري وكلا المرضين منكيان فيهم، وأعضاء التوليد فيهم صغيرة خدرة، والشهوة في ذكورهم للجماع أشد من القدرة عليه، وينبغي أن نقرن بين من يجلب إلينا طفلاً وبين ساكني مدنهم، ومن جلب كبيراً فإن للعادة والتربية وتدبير الجملة فعل كبير في الكثير منهم فافهم ذلك // [٣٢ط] وأنا قاطع قولي في الترك.

بعده(٢) البـاب الثـالـث

(في ذكر طبائـع أهـل المسكن الثالث من الإفـراط البـارد)

وهم فريق من الروم والأردن واللان(٣) والسريرية والكاسك إن هذه الأمة الثالثة من الأمم التي ابتداؤها من الإفراط البارد تالية للترك ومن جرى مجراهم، كما إن القوم الذين أسميناهم السمر، وهم أهل الحجاز واليمن وبلد البحرين وبواديهم، أمة ثالثة من

---

(١) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل الكلمة غير واضحة.

(٣) قريبة من بلاد الروس. ينظر معجم البلدان ١/١٨٢.

الأمم التي ابتداؤها من الإفراط الحار تالية للسند والهند ومن جرى مجراهم، والصقالبة كما بينا عليه أصلنا من قول بقراط والمبين عنه جالينوس، إنهم حارين بالحرارة الطبيعية باردين بالحرارة العرضية، والسودان باردين بالحرارة الطبيعية حارين بالحرارة العرضية، وإذا تدرجنا من الصقالبة كان الترك ومن جرى مجراهم أبرد من الصقالبة بالحرارة الطبيعية، وأحر من الأمة الثالثة بهذه الحرارة وهذه الأمة أحر من ساكني الاعتدال بالحرارة الطبيعية، وكذا أيضاً الأتراك أسخن من الصقالبة بالحرارة العرضية، وأبرد من الأمة الثالثة، والأمة الثالثة أحر من الأتراك ومن جرى مجراهم بالحرارة العرضية، وأبرد من أهل الاعتدال، فعلى الأصول المتقدمة، الأمة الثالثة أحر وأرطب من الاعتدال بالحرارة الطبيعية، والرطوبة الطبيعية، وأبرد وأرطب منهم بالحرارة والرطوبة العرضيتين، وإن حالها عند الأمة الثالثة بالعكس، وإذا قد قدمنا ما وجب أن نقدمه من أمر المزاج الذي عليه مبنى القول فلنأتِ بما يتبع ذلك فأقول إن جميعهم – بعامة– إن الألوان منهم تبيض للبرد والرطوبة العرضيتين، على أصلنا في السمر والأدم والسود، إنهم إنما صاروا // [١٣و] كذلك بالحرارة واليبس العرضيين، واختلفوا بالتفاضل فيهما، والأبدان ليست بالزعر ولا بالمعتدلة في كثرة الشعر وقلته، لكنها بين ذلك، وشعورهم إما سود، وإما شقر وليس فيها صهب، لأن حر الشمس منهم بحسب قربهم من الاعتدال وبعدهم من الإفراط الباردة، والشعر الذي هو عن الطبيعة بالقصد كالنبات الذي يزرعه الزارع فيهم، كثير قوي خشن، وليس يلحق طول شعر السند والهند لأن جلودهم فيها رطوبة ما ولدونه ولم تلحق بالنهاية من اليبس الذي يمكن أن يوجد للجلد كاليبس الموجود في جلود السند والهند، لأن الجلود إذا كانت بهذه الحال حفظت الشعر، وعرض لها ما يعرض لبعض النبات في الأرضين في المواضع الحارة اليابسة جداً، إذا سقي الماء أن يلحق بطبع الشجر ويخرج عن طبع البنات، ويمكث في الأرضين سنين كنبات القطن، والباذنجان، وضروب كثيرة شبيهة بهما في بلد

الحجاز والبصرة، ولذلك أهل الحجاز والسند والهند يمشطون رؤوسهم بالسمن، وأهل المدن الباردة يمشطون رؤوسهم ووجوههم بدهن الأس، واللاذن[١] ويحشون الشعر بالأس والطيوب القابضة والزادرخت، وأهل المدن المفرطة الحر واليبس يكسبون الجلد لدونة، وأهل المدن يكسبون الشعر يبساً، وعلة أخرى في الشعر، وهي إن جميع ساكني المدن الباردة يبدلون شعورهم شعرة بعد أخرى، كما يعرض ذلك للحيوان ذي الشعر والوبر والريش، ونحو ذلك لكثرة الأبخرة التي تتولد لهذه الأجسام في هذا المزاج، وحركتها // [٣٣ط] نحو الجلد، وفي المدن الحارة بالعكس، والأمة الثالثة من الإفراط البارد لها شعر كثير أسود وأشقر لما ذكرنا، وليس يبلغ طول شعر السند والهند لما ذكرنا، والشعر الذي هو بمنزلة الكلأ من هذه الأمة التي تلايمنا فيها، يلزم أن وجد فيهم كثيراً على أكثر منه في سائر الأمم، وهم يتفاضلون في كثرته وقلته لسبب العلل الأرضية، وإخراج الأوجاد[٢] لاختلافهم لسعة إقليمهم، فإن رأيت إنساناً من ساكني الاعتدال أو الإفراط قد زاد في هذا الضرب من الشعر، فذلك لسوء مزاج الأعضاء المحدثة لإفراط نبات هذا الشعر، كالحال فيمن شعر صدره كثير، فإن ذلك لميل مزاج قلبه في الحر واليبس، ومن رأيت الشعر على أفخاذه كثيراً فذلك لميل مزاج أنثاويه.

وسنتكلم في هذا الباب الذي نذكر فيه اللباس الطبيعي إن شاء الله، ومن هذه الأمم قوم قد اختلطوا بالاعتدال، ووجدت فيهم الحكمة وهم كأهل أنسة[٣] والقسطنطينية، وقد قال قوم إن موضع الاعتدال هو عرض ثلاثة وثلاثون درجة من معدل النهار وقال آخرون نيف وأربعون درجة، وجميع من خرج من الاعتدال من هذه الأمم فحكمهم حكم أهل الإفراطات، ومزاجهم منسوب إلى الإفراط وسبيلهم تلك السبيل وليس توجد

---

(١) قال عنه ابن البيطار نبات أشبه بالقسوس (اللبلاب الكبير) له رائحة خاصة. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ٣/٩٠.

(٢) الأوجاد: من الوجد وفي اللغة الحزن وتطور معناه كثيراً على أيدي المتصوفة.

(٣) بلدة قريبة من القسطنطينية.

فيهم الحكمة، فإن اللان وأصحاب السرير والكاسك ومن جرى مجراهم، أهل أخلاق كأخلاق البهائم ليس توجد فيهم الحكمة وهم متواطئون على بيع ذراريهم، وترك الدين والسياسات وجميع من هذه حاله ممن استخف بالديانة، فليس يوجد فيهم شيء من العلوم الفلسفية ومزاجهم // [٣٤و] مائل عن الإنسانية نحو أمزاج البهائم وسأقول في ذلك إن شاء الله تعالى.

(الجملـــة الرابعـــة)

(في أهل المسكن المعتدل بين الإفراطين الحار والبارد)

البـــاب الأول

(في أن أهل الاعتدال قد يطاوع فيهم المزاج العرضي المزاج الطبيعي)

فيكون ذلك سبباً لوجود المعتدل فيها دون غيره، ولذلك يسلم فعل الطبيعة في المادة حتى يوجد لكل مادة للصور الحادثة عنها من غير تشويه.

قد تقدم القول في الإفراطين الحار والبارد، وفي الأمتين اللتين بين كل إفراط من ساكني الاعتدال، وكان مبنى أمرنا على أن السودان حارين يابسين بالحرارة واليبوسة العرضيتين باردين رطبين بالحرارة واليبس الطبيعيين، والصقالبة حارين يابسين بالحرارة واليبس الطبيعيين باردين رطبين بالحرارة واليبس العرضيين، وإذا كان هذان هما الطرفان اللذان عن تركيبهما وأمزاجهما حدثت طبائع أهل الاعتدال، فأهل الاعتدال معتدلين في صنفي التضاد طبيعيين كان التضاد أو عرضيين، هذا الذي يوجبه النظر القياسي إلا أن مسكن الاعتدال له عُرض واسع ففيه ميل إلى كلتا الجهتين بحسب عرضه ولديه أحوال بميلها عن مزاجها التي لها من جهة رأس الفلك التي هي بالطبع إلى أحوالٍ عرضية، فقد يوجد فيهم لذلك ميل ما إلى كلتا الجهتين ولهم تأثير وأغذية مختلفة ومهن وعادات كل ذلك يوجد فيهم إلى إحدى الجهتين، وأمهات الأولاد من جميع الأمم تجلب إليهم، ويوجب // [٣٤ط] ذلك ظهور الاختلاف في أحوال الأولاد، واعلم أن التمازج السليم التام يوجد في هؤلاء كثيراً لا يرد على المزاج الطبيعي مزاج عرضي من خارج بحركته إلى الضد وبقلته، كما وجه ذلك في الصقالبة، وهو حار القلب إن برد جلده وسطح بدنه، وفي السودان إن بردت منهم الأجواف واحترقت الجلود، بل مزاج ساكني الاعتدال واحد من جميع أبدانهم داخلها وظاهرها، ومن أجل هذا صار يوجد فيهم الأسمر الشديد السمرة، والقليل السمرة، والأبيض الشديد البياض،

والقليل البياض، وكذلك يوجد فيهم الخصب البدن والضعيف البدن، والشدة والضعف، وإيثار الحق، وإيثار الباطل والجور والعدل وبالجملة جميع المتضادات، وسبب ذلك اختلاف أمزاجهم وميلها عن الاعتدال التام القائم في الوهم تركيبه من الأضداد على تساوٍ إلى أحد الإفراطين، ما لا يخرج به أحد أن يكون من أمةٍ غير أمتهِ، وأن الهواء المحيط وإن كان مؤثراً فيهم تأثيراً ما فليس تأثيراً يضاد الأمر الطبيعي وينقله عما هو عليه، حتى يوجد للأمر العرضي فعل قائم بذاته يضاد كل واحد منهما صاحبه مما قدمنا، إن أهل الاعتدال المزاجي العرضي فيهم مواتٍ مطاوع مسعد للمزاج الطبيعي ومن عن جبلتي هذه الأمة المزاج العرضي معاند فيهم المزاج الطبيعي، وأشد المعاندة في السودان والصقالبة، ثم الأتراك ذلك يقل حتى تبطل المعاندة في الاعتدال إلاّ يسير نزر سنبينه إذا نحن تكلمنا في ساكني المدن ومستعملي المهن، وإذا كان قد سلم لنا أن المزاج العرضي مطاوع للمزاج الطبيعي ففعل الطبيعة يسلم لها على التمام في // [٣٥و] المادة، حتى توجد لها الصورة التي تنبغي لها من غير فساد من خارج، ومسلم لها في النمو وبلوغ الكمال أكثر مما يسلم في جميع الأمم، إلا أن يدخل عليها فساد من جهة المادة إما في كميتها، وإما في كيفيتها، وإذا كان هذا هكذا فالإنسان المعتدل المتشبه بالحق بحسب طاقة الإنسانية فيه توحد، وهذا هو الذي قد عرف المتضادات وعقلها، ووجدت فيه قوة على المتضادين معاً فآثر الأفضل واستعمله، وأرذل الأقبح والأخس وتجنبه، وقد ينبغي أن أفرد لهذا الإنسان المعتدل قولاً يعلم ما هو المعتدل وكيف هو، ثم أرجع إلى سنن قولي.

الباب الثاني

(في ذكر الحال في الجسم المعتدل من الناس)

إن الإنسان لما كان أشياء كثيرة، لزم أن تكون له اعتدالات كثيرة في المزاج والخلقة، ولسنا نعني فيه تساوياً[١]، بل إنما أعني بقولنا عضواً معتدلاً أن يكون بحال من المزاج وجودة الآلات التي يتم له بها الفعل الفاضل، وكذا نعني بقولنا حيوان معتدل أن يكون كمالاً من المزاج الذي يوجد لذلك الحيوان بالطبع، وإذا كان المعتدل يوجد له الفعل الفاضل، وكان الإنسان أكيس الحيوان كله فهو المعتدل في جنس الحي، ولذلك صار مالكاً لبعض الحي وقاهراً لما يملكه ببطشه بكيسه ونفاذ حيلته، وهو وحده يعلم إن السماوات أكرية، والأرض أكرية[٢]، ويعرف الأجرام والأبعاد، والكون والفساد، ويعلم أنه مخلوق وأن له خالقاً // [٣٥ط] وأن خالقه وربّه قديم، وأن كل ما دونه محدث لوجودها بعد العدم، وتعاقب الأضداد عليها، إلى غير ذلك مما يوجد للإنسان من أصناف المهن ودقيق الأعمال وينبغي أن نبين كيف اعتدال الإنسان، إذ كانت عنايتنا به أكثر وكان صنفا المالك والمملوك من الحيوان والذي لا مالك ولا مملوك: إنما يعرف حاله بالإضافة إليه ولنبدأ من القول في واحد واحد من الأعضاء، فنذكر مزاجه الذي له بالطبع، وهو الذي إذا كان محفوظاً عليه ظهر عنه فعله الفاضل الذي من أجله يوسم بالاعتدال العضو، فإذا كمّلنا القول في جميعها وجسم الإنسان كله، فقد كملنا القول في اعتدال مزاج الإنسان ثم نتبع ذلك بذكر الحال في مزاج كل واحد من الأنفس الثلاث التي[٣] له فعند ذلك نكون قد ظفرنا بمعرفة الإنسان المعتدل على الغاية والتمام، وقد بين جالينوس في المقالة الأولى من كتابه

---

(١) في الأصل تساوٍ.

(٢) أي مثل الكرة.

(٣) في الأصل الذي.

فـي المـزاج: إن جلـدة بـاطن الكـف مـن الإنـسان لـيست بمعتدلـة متوسـطة بـين جميـع أعضاء الإنسان فقط لكن في جملة الجوهر بين جميع الإنسان التي في الكون والفساد وأنـا مختـصر قولـه بلفظـه، والـسبار[1] الـذي يطلبـه لأنـه أفضل مـن الـسبار وذلـك أن الإنسان الـذي هـو معتدل فـي خـصب اللحـم لـيس هـو متوسـط بـين الرطوبـة واليبوسـة فقط، لكنـه مـع ذلك علـى أفضل الخلقة، وقد يمكن أن تكون هذه الخلقة بائنة لاعتدال مزاج الاستطقسات الأربعة، وقد يمكن أن يكون أصلها من شيء آخر إلهي من فوق، فأما من كانت هذه حاله فهو معتدل في مزاجه ضرورة، وذلك أن من كان معتدلاً في خصب // [٣٦و] اللحم فإنما تولد لـه ذلك عن الاعتدال والبدن الذي هذه حالـه مـع هذا أن تكون أفعاله على أفضل الحـالات، وأن يكون جميع ذلك في الجلد، ومن الجلد خاصة في جلدة باطن الكف إذا لم يكن نالها شيء من الصلابة، مثل ما ينـال جلدة كـف مـن يكـرب أو يـضرب بـالمر[2]، وأن الكـف جعـل للمنفعتـين إحـداهما الحـس والأخرى الإمساك، فالكف اللين يصلح لاستقصاء الحس، والكف الصلب لا يصلح لقوة الإمساك، ولذلك صارت الجلدة المتوسطة، لا من جميع أعضاء الإنسان فقط، بل فـي جملـة الجوهر مـن جميـع الأجسام التـي فـي الكـون والفساد، ولـيست هـي الجلـدة الصلبة والصلدة الحجرية إليها الجلدة التي هي باقية على الحال الطبيعية، وهي التي نقول فيهـا خاصـة إن حسّ اللمس منهـا علـى الـصحة والحقيقـة، ومـن البـين أن تلـك الجلـدة متوسطة فـي الـصلابة واللين بـين جميـع الأعضاء ونقدر أن تعلـم أيضاً أنهـا متوسطة بين الحرارة والبرودة من جوهرها خاصـة، وذلك أن تلك الحرارة كأنها عصبة فيها متوسطة بالحقيقة بين العصب واللحـم، كمـا لـو كانـت مـن اختلاط هذين، وكل عصبة فهي عديمـة الـدم، وكل لحم فهو كثير الدم حار، والجلد متوسط فيما بينهمـا، وذلك أنـه ليس يعدم الدم البتـة مثل العصبة، ولا هو كثير الدم مثل اللحم فإن أقمت

---

(١) مـن سـبر بمعنـى امـتحن واختبـر وهـي مـصطلحات جـالينوس. ينظـر كتـاب جـالينوس فـي الاستطقسات ص١٠.

(٢) المر: المسحاة

هذا مقام السبار والدستور من جميع الأعضاء وامتحنتها به وجدت فيه الثمانية الأصناف الباقية من الأمزجة // [٣٦ط] التي هي غير معتدلة، قد مر القول في البرهان على أن جلدة الكف هي المعتدلة من جميع الأعضاء من الإنسان ومعتدلة في جملة الجوهر، وإنما هي السبار الذي يعرف به مزاج كل واحد من أعضاء الإنسان وقد ينبغي أن نتبع ذلك بما قصدنا له، ونبتدئ من الأعضاء البسيطة، ثم نأخذ في الآلية المركبة، لأن قول جالينوس في الأعضاء كاف فأنا أنبته بلفظه، ثم أتبع ذلك بالقول في الأعضاء الآلية بحسب التي تعلمناها منه، قال جالينوس في آخر المقالة الأولى من كتاب المزاج(١) قولاً هذه نسخته، ذكر مزاج الأعضاء البسيطة، وأنا واصف لك مزاج كل واحد من الأعضاء مفرداً فأقول: إن البلغم أبردها، والدم أسخنها إلا أنه لن يبلغ في الرطوبة مبلغ البلغم، والشعر أبرد الأعضاء وأخفها، والعظم دونه في البرد واليبس، والغضروف أقل يبساً من العظم ومن هذا الغضروف الرباط، ومن بعد الرباط الوتر، ومن بعد الوتر الغشاء، والعرق الضارب، والعرق غير الضارب أعني أجرام هذه العروق، ومن بعد هذا كالأعصاب الصلبة والأعصاب اللينة فهي على طبيعة الجلد في المتوسط بين الرطوبة واليبس، فأما في التضاد الآخر فليس العصبة متوسطة فيما بين الحرارة والبرودة لكن نقصانها في الحرارة بحسب نقصان الدم فيها، وكذلك سائر الأعضاء كلها التي ذكرناها قبل تَحصّل بردها على الجلد بحسب عدمها للدم، حتى إن أجرام العروق التي هي عديمة للدم في طبعها باردة إلا أنها تسخن لمجاورة الدم لها حتى تصير إلى المزاج المتوسط، والدم أيضاً إنما يستفيد الحرارة // [٣٧و] من القلب، لأن القلب أغزر جميع الأعضاء دماء وأكثرها حرارة ومن بعده الكبد إلا أن القلب أبعد قليلاً من الصلابة من الجلد، وأما الكبد فإنها بعيدة جداً من الجلد في هذا وبحسب فضل لينها على الجلد لذلك فضل رطوبتها عليه، قال أحمد: ذكر مزاج القلب والكبد وإنما يريد الجوهر القلبي والجوهر الكبدي الذي يختص

---

(١) ترجمة حنين بن إسحاق ونظمه أحمد بن أبي الأشعث. ينظر ابن أبي أصيبعة ٢١٥/١-٢١٦.

بكل واحد منهما لا العضو من حيث أنه آلي مركب، قال جالينوس: واللحم أيضاً أرطب من الجلد، وأما النخاع فهو أبرد وأرطب منه الدماغ، وأرطب منه السمين، وجموده إنما كان لبرد الأغشية وذلك أنه يشبه الدهن الغليظ، ولذلك يجمد إذا لاقى الأعضاء الباردة العديمة الدم وليس يمكن أن يجمد السمين حول الكبد ولا حول العروق الضوارب وغير الضوارب، ولا حول القلب ولا حول عضو من الأعضاء الشديدة الحرارة، ولما كان جموده بالبرد كان انحلاله وذوبانه بالحر كانحلال سائر الأجسام التي تجمد، فأما الدماغ فليس يذوب وينحل إذا سخن، فلذلك وجب أن يكون الدماغ أقل رطوبة، وأقل رطوبة من سمين لحم الرئة، وذلك أنها أيضاً ليس يتحلل إذا سخن، وأخرى أن يكون أقل رطوبة من سمين لحم الطحال والكلى، إلا أن هذه كلها أزيد رطوبة من الجلد، وسنأتي بالبرهان على جميع الأشياء فيما يأتي من قولي، قال أحمد: هذا قول جالينوس بلفظه في الأعضاء الباقية على فطرتها فإن زالت عن هذا إلى أحد الطرفين كانت مريضة، أو خارجة عن الاعتدال من ذلك أن الكليتين إن كانت أبرد من الجلد بالمقدار الذي ينبغي كان ما يعلوها من الشحم مقداراً معتدلاً لا يقوم // [٣٧ط] لذلك الجسم بمنفعته، وقيل إنها معتدلة لما كانت أفعالها باقية على السلامة، وإن بردت بمقدار أزيد مما ينبغي ساء فعلها، وكان ذلك الإنسان يبول بولاً كثيراً ونجد في جسمه قرة وكثر الشحم عليها حتى يأخذ مكان الأمعاء فيزيلها عن موضعها فتقع البطن على الإخاذ، فإن زاد البرد فوق ذلك أحدث مرضاً، وإن نقص البرد فيهما وقويت الحرارة عريت من الشحم وقصف الجسم ووجد الإنسان في بوله حرقة وظهر في بوله الرمل، إما أبيض وإما أحمر بحسب قوة الحرارة وقلتها، فإن زاد ذلك تولدت[١] في الكلى الحجارة، وكان الإنسان مريضاً، والكبد أيضاً كذا حكمها وسائر الأعضاء الآلية، والعروق غير الضوارب متى حمي دمها قصف البدن وصلب، فمتى زاد ذلك حتى يكسب أجرام العروق ذلك المزاج كان الإنسان محموماً

---

(١) في الأصل تولد.

حمّي رقّ، وليس يليق بكتابي هذا أن أتسع في القول في الأمراض، وإنما قلت في ذلك بحسب الحاجة، فأنا قاطع قولي ومقبل على القول في الأعضاء الآلية.

(ذكر الأعضاء الآلية)

وينبغي أن نذكر الأمر الذي مبنى قولنا عليه، فأقول: إن العضو الذي هو أكثر دماً من جلدة الكف هو حار، والذي هو أصلب منها هو أيبس فنحن لذلك نقضي بأن القلب حار رطب، لأنه أكثر من جلدة الراحة دماً وألين جرماً.

والقلب: أحر الأعضاء الآلية والبسائط، والدم أحر البسائط إلا أن الحرارة له من القلب لأن القلب[١] يوزع الحرارة وبه يجري النور اللوني [الشعلشعاني] في الدم، وهذا أكثر أعضاء البدن كلها دماً والكبد حارة رطبة أما حارة // [٣٨و] فلأنها أكثر من جلدة الكف دماً، وأما رطبة فلأنها ألين منها.

والكبد: أبرد من القلب وأرطب، وكذا ما نبتت من الكبد من العروق غير الضوارب أبرد وأرطب من الشرايين النابتة من القلب، وكذا أيضاً ما ينبعث من الكبد والروح الحيواني، وبين العروق الضوارب وغير الضوارب منافذ، كما تعلمناه من جالينوس ليخالط الحياة ما في العروق غير الضوارب، ولتكن هذه المنافذ عُددٌ لمادة الحياة متى حصر ما ينفذ من الأذن[٢] اليمنى من أذني القلب إلى الأذن اليسرى، إما لسدد هناك وإما لفرع أو لعم فادح[٣]، وإما لأسباب أخر، واعلم أني إذا قلت قلباً أحر من كبد، فإنما أعني مزاج نفسِ جرمِ القلب لا مزاج الدم الذي فيه والروح، وكذا أقول في الكبد إن الإضافة تقع إلى نفس جرمها لا إلى ما يحويه من الأخلاط.

---

(١) إن وظيفة القلب هي دفع الدم إلى أنحاء الجسم.

(٢) يريد الأذين الأيمن.

(٣) أي لسبب عام فادح.

والطحال: حار رطب لأنه أكثر دماً من جلدة الراحة وألين منها، والطحال أرطب من الكبد بحسب فضل لينه على لينها وأبرد منها، وليس ينبغي أن تغلطك زيادة سعة عروقه على عروق الكبد فتقول: هو أكثر دماً من الكبد، لأن الذي في عروق الطحال عكر الدم والجزء الأرضي منه الذي هو بارد يابس بالإضافة إلى الدم الذي في العروق فمزاجه بحسب غذائه. والكليتان باردتان رطبتان.

والكليتان: باردتان رطبتان، أما بردهما فلأنهما أقل دماً من جلدة الكف، إلا أنهما تنقصان عن الجلد نقصاناً يسيراً، وذلك أن السمين إذا لاقاهما جمد عليهما كما يجمد تحت الجلد إذا لاقاه، إلا أنه يجمد عليهما أكثر وذلك بمقدار زيادة بردهما عليه وزيادة بردهما على جلدة // [٣٨ط] الراحة وأكثر قليلاً.

والمثانة: متوسطة في الرطوبة وأيبس والحكم فيها كالحكم في الغشاء، وغشاؤها يميل عن الغشاء إلى البرد واليبس ميلاً يسيراً، فأما في الحر والبرد فإنها أبرد جلدة الكف بمقدار نقصان دمها عن دمها[(١)]، وقد تحوي أبوالاً مختلفة الأمزجة، كما تحتوي أجرام العروق دماً مبايناً لها بالطبع، وكما يحوي الطحال الخلط المنسوب إلى المرة السوداء[(٢)]، وهو بارد يابس حامض الطعم أبيض اللون.

والأمعاء: كلها معتدلة في الرطوبة واليبس إلا أنها أبرد من جلدة الكف بمقدار نقصان دمها عن دم جلدة الكف، وهي متوسطة في الرطوبة واليبس، وهي أرطب من المثانة.

والمعدة: معتدلة في الرطوبة واليبس، إلا أني أراها أرطب من الأمعاء وهي باردة بالإضافة إلى جلدة الكف، وحارة بالإضافة إلى الأمعاء، ومزاج طبقتها الداخلة أحر من الخارجة كثيراً، وأنا أقربها من مزاج اللحم، فأما الخارجة فحكمها عندي حكم المثانة أو نحوها فأما مقعرها فألحقه بمزاج الكبد، وينبغي أن نفهم ذلك في الطبقة

---

(١) الضمير هنا يعود إلى راحة الكف.

(٢) في ب السوداوية.

الداخلة فإن الخارجة حكمها كلها واحد، والمزاج الذي يكون به الهضم فهو حار رطب[١] كما تعلمنا ذلك من جالينوس، وذلك أنه من القلب مزاج حار يابس بالإضافة في الشرايين وتتضاف إلى ما يؤكل ويشرب فيرطب به الغذاء، فيجتمع من ذلك الحار الرطب، وهو الذي سماه جالينوس الطبخ، وقال: الهضم بالطبخ لا بالشيّ أي لا بالحرارة المفرطة مع اليبس، وقد تكتسب المعدة الحرارة من سخانتها كما شبهها به جالينوس حيث يقول كأنها قدر بين مواقيد كثيرة.

<u>وأما الرئة</u>: فهي حارة رطبة هوائية، وهي أرطب من سائر ما تقدم // [٣٩و] ذكره من الأعضاء.

<u>وأما الدماغ</u>: فقد مر في جوهر الخاص في أن الدماغ من حيث هو عضو آلي هو حار رطب، من حيث ذكرنا الأعضاء البسيطة فأما من حيث هو آلي، وأما بقياسه إلى جلدة الكف فهو بارد رطب، وهو عندي حار رطب، أما حار فلكثرة ما فيه من العروق الضوارب وغير الضوارب، ولتوليد الروح النفساني في بطونه، وأما أرطب فالأمر فيه واضح.

<u>والنخاع</u>: أبرد منه لأنه جوهر الدماغ مفرداً، والأعضاء اللينة أبرد من النخاع، والأعصاب الصلبة، والمخ وسط بين السمين والنخاع لأنه قد تذوب أجزاء منه بالنار.

<u>وأما الأظفار</u>: فهي مما له تولد وحدوث، وهي باردة يابسة، تم القول في الأعضاء الآلية، وما نقوله يتصل بالقول الكلي:

فالإنسان الذي هو مزاج جميع أعضائه على هذا التناسب، وهي مع هذا في المقدار والعدد والوضع والخلقة على أفضل ما يكون، وجملة بدنه على أفضل الأحوال في الاعتدال القصف[٢] والعَبْل[٣]، فإن القصف لفرط الحرارة واليبس والعبل لفرط البرودة والرطوبة، وأما الاعتدال بينهما فيكون لاعتدال الحرارة والبرودة والرطوبة

---

(١) في ب فهو الحار الرطب.

(٢) القصف: الدقة.

(٣) العَبْل: الضخامة.

واليبوسة في سائر أعضاء البدن المتشابهة الأجزاء، وبخاصة في الأعضاء الرئيسة، إلا أنه عند ذلك يكون ما يتولد في البدن اللحم، وينبغي أن يفهم عني اسم اللحم هو الواقع على اللحم المفرد، والليف المتركب عنهما جواهر الفضل، وعلى اللحم الذي يخص جوهر الكبد والطحال والكلى والدماغ، والجواهر التي منها العروق الضوارب وغير الضوارب، والأغشية والربط، وسائر // [٢٩] الأعضاء المتشابهة الأجزاء، إن شئت أن تسميها لحماً بعد أن تدري ما نعني فنقول: لحم الكبد، ولحم الطحال، ولحم الرئة فإن شئت أن تسميه بغير هذا، والمزاج الحار يحدث عنه القصف لأن الحرارة التي في القلب والشرايين تستأثر بالجزء الدهاني الذي في الدم فتغتذيه، ويبقى الجزء اليابس الأرضي، فييبس لذلك البدن ويقصف ويصلب، ومتى فضل عن الحرارة، أو فاتها شيء من الدهانة فانصب إلى الأغشية التي تحت الجلد أو الأعضاء التي يمكن أن يجمد عليها فيصير شحماً أو سميناً لم يجمد وذاب وسال عنها، وانتقلت فيه الروح الحيوانية التي في تلك الأعضاء لخروجها عن الاعتدال في هذه الكيفية والمزاج البارد، يكون اشتعال الروح الحيواني فيه ضعيفاً، وما يستمده من الجزء الدهني نزر يسير، فالجزء الدهني وافر في الدم، والدم ليس بمحكم الطبع لضعف النار الطابخة، ويجتمع في هذا الدم لأنه كثير الدهانة، (وإنه مع ذلك فيه نهوة)[1]، ولهذا غرض فما انصرف منه إلى الأغشية التي تحت الجلد جمد ببرد الأغشية ومماسه الجلد الهواء المحيط، وما انصب منه إلى الأعضاء الباردة جمد عليها وكان منه شحم، كالكليتين أو إلى الأعضاء التي دون هذه في البرد فتجمد عليها مع مخالطة خروج مادة بعض جواهر الأعضاء، فيكون منه سميناً كالقلب وغيره، فالشحم دهانة الدم فقد جمّده بالبرد، ولذلك ينحل حتى لا يبقى منه شيء له قدر ولا يذوب، والسمين دهانة الدم فينحل من جوهر العضو الذي جمد عليه، ولذلك إذا أذيب بالنار // [٤٠و] انحلت

---

(١) ساقطة من ب.

الدهانة وبقيت[١] من جوهر العضو بقية ذات قدر تسمي الحمم[٢]، وما انصرف من هذا الدم إلى أن يتولد منه جوهر العصب والأوتار والربط والأغشية وأجرام صنفي العروق إلى غير ذلك من الجواهر المتشابهة الأجزاء، كان ذلك رطباً لزقاً لزجاً غليظ الحجم زائده، فتوجد جملة البدن لهذا الحال عظيمة رهلة ثقيلة على القوة، والحركة الإرادية منه بطيئة بقدر ما يتحرك من يبلى بهذا المزاج، والذهن فاتر، والحواس كدرة رطبة، وحركة النفس الحيوانية فاترة ثقيلة، والنفس النفسانية ضبابية كدرة فاسدة التخيل والفكر والذكر، بعيدة عن الفهم والذكاء بحسب بعد هذا المزاج عن المعتدل، والبدن الذي قد اعتدل في الحر والبرد، والرطوبة واليبس، فدمه قد أخذ حقه من طبخ الحرارة له لاعتدالها ففيه من الدهانة والرطوبة بالمقدار القصد والروح الحيواني لاعتداله يستمد من الدم بمقدار قصدٍ، والأعضاء يأخذ منها كل واحد بحسب كفايته ولاعتداله فيما يتولد في كل عضو مشبه به الشبه التام الوافي الذي لا يكاد يوجد منه، ولا أقل القليل من التقارب، وما يتولد عليه وفيه من السمين والشحم، فبمقدار ما يقوم بالمنفعة وما فضل عن ذلك ينفيه نفياً تاماً وليس واحد منها أقوى من الآخر، والآخر أضعف، فيبقى الأقوى إلى الأضعف فيكثر في الأضعف الفضل فيفسده بل كلها تنفي فضولها إلى المعاريض الطبيعية وليس ينبغي أن تغلطك في هذا البدن أبداً منه جسماً لطيفاً أو جسماً عظيماً، فيتوهم أن ذلك لخروجه عن الاعتدال فإن ذلك يكون لقلة // [٤٠ط] المادة التي تكوّن منها في عالم الكون، أعني منبته الذي لأبيه وأمه، ودم الحيض، أو لقلة أحدهما مع اعتدالهما في صنفي التضاد، أو لقلة غذائه في عالم السبق، أو لقلة ما استمده من دم الحيض، فإن هذه الأحوال توجب صغر حجم البدن والزيادة في هذه توجب عظم حجمه ولا يجب أن يغلطك أن تكون له يد مأوفة[٣] أو

---

(١) في الأصل وبقي.

(٢) الحمم: الرماد.

(٣) في الأصل ماووفة والمؤف الذي أصابته آفة.

رجل أو يكون شريراً أو أطروشاً[١] أو أصطحاً[٢] أو مفلوجاً[٣]، فإن هذه إنما هي آفات وقعت بأعضاء آلية بعدما استوفى كل عضو من الأعضاء المتشابهة الأجزاء حقه من الاعتدال، فإن (شقا) في شقه السليم ودماغه في نهاية الاعتدال، وكذلك (سطح) فإنه وإن كان قد منع حركة النقلة، وكثير من حركته الإرادية، فليس يقدر أحد [أن][٤] يقول: إن مزاج دماغه وقلبه وكبده وأشكالها والأرواح الثلاثة فيه غير فاعلة، (وأبو الحسن بن فيروز)، وهو ضرير لا يتوهم عليه من الأبصار شيء، ولا أقل القليل، وهو يلعب بالشطرنج، ويخرج المعمي، وقد برع في كثير من العلوم هل يقدر أحد أن يقول إن بيت خياله مضرور، أو فكره أو ذكره، لأن الشطرنج قد رآها غفلة بغير واسطة الأبصار، كما يدرك الجواهر البسيطة معرفة الأجسام من غير حواس ولا انفعال، وإن القول في هذا الأسرف من الأمر الذي نحن بسبيله[٥]، لأنه من القول فيما بعد الطبيعة فلنقطعه، ولنعد إلى وصف المعتدل فأقول: إن (شقا، وسطحاً، وأبو الحسن بن فيروز) ومن جرى مجراهم معتدلون فاضلون في الاعتدال، والآفات التي لحقت بعض أعضائهم لم يمنعهم عن الحكمة وإنما منعتهم عن المهن لا غير // [٤١و] وأرى أني قد قلت في وصف الجسم المعتدل قولاً كافياً مع ذوي الفهم، والأدب معاً، لأنهم ليس يفهمون ما قلته فقط، بل يقدرون أن يجعلوه سُلماً، أو طريقاً إلى استخراج أشياء كثيرة، ومفتاحاً لأشياء لم أذكرها وهي في قولٍ بالقوة.

الباب الثالث

(في ذكر أحوال النفس من المعتدل وأخلاقه وسجاياه وسحناته)

---

(١) الأطروش الأصم.

(٢) هكذا وردت في الأصل وربما قصد السطيح وهو الذي يولد ضعيفاً لا يقدر على القيام أو القعود.

(٣) الفلج: التباعد وربما قصد به تباعد ما بين القدمين أو تباعد الأسنان.

(٤) الزيادة يقتضيها السياق والمراد (بسطح) أي أنه فقد القدرة على القيام والقعود.

(٥) الزيادة يقتضيها السياق.

وقد ينبغي أن أذكر الحال في نفس المعتدل من الناس وقواها، فإني أتيت على القول في جسمه، وفي نفسه، والإنسان: جسم ونفس، فقد أتيت على جميعه وتممت القول فيه، فأقول: إن من أسعده الله ﷻ بأن يكون جسمه على الحال التي تقدم وصفها من الاعتدال، فالنفس الناطقة، والنفس الحيوانية، والنفس الطبيعة فيه على أتم ما يكون من قوة فعل كل واحد منها، وهذا هو أن تكون النفس الناطقة مستعدة للنفسين الأخريين، وهاتان النفسان مطيعتان لها فإن النفس الناطقة لها مثال من النفس الفاضل الفروسية، والنفس الحيوانية لها مثال من الفرس الفاضل، والفرس إنما يكون فاضلاً إذا اجتمع فيه الجسم الفاضل والخلق الفاضل –في الفرس– أن يكون ذا خيلاء وعجب وزهو شديد، وإن يكون قوي الغضب سريعه، سريع الرضا، ليس بذي حقد، وأن يكون في غضبه شديد الطاعة لفارسه، ليس بالجموح، ولا بالحرون، وفي حال رضاه ليس بالكيوس[1] ولا بالرموح[2]، فأنا عند ذلك نصفه في الخيل بالاعتدال، وأنعته بالفاضل ومتى كان مع فضيلة جسمه جموحاً، أو حروناً، أو عضوضاً // [٤١ط] أو رموحاً وبالجملة مغاضباً لصاحبه في بعض الأحوال، لا يكون إلى الفرس الفاضل، ولا إلى المعتدل، وألحقناه بالأرذل، وبالخارج عن الاعتدال، كذلك حال النفس الحيوانية، متى لم تكن مع سائر فضائلها، وطيعة للنفس الناطقة، تقدر النفس الناطقة على ضبطها عند حركة الغضب، لرفع الأذى عن الجسم إذا أوجب الرأي ضبطها، وإذا رأت بعثها ابتعثت، والمبالغة في ذلك كما يرى من أنفس الشجعان، لم نصف النفس الحيوانية بالفضيلة، ولا ننعتها بالاعتدال، وأيضاً كما إن فضائل النفس الحيوانية أن تكون مع تمام أفعالها متى كان غضوباً عند الصيد شديد الحرص على أخذه قليل الخوف من الطريدة، جسوراً عليها غير محدث نفسه بفواتها له باذلاً نفسه متى بعثه

---

(١) من الكَيْس ضد الحمق.

(٢) رمحه الفرس والحمار والبغل ضربه برجله.

أو ذادته عن نفسها فصده ومراده قتلها أو أخذها لصاحبه لا لنفسه، والاستئثار بها دونه وأن يكون مع ذلك محباً لصاحبه محافظاً عليه ليناً معه هيناً مدارياً له محبباً إليه لا يتحرك غضبه عند ضربه له، حافظاً لفريسته من أجل صاحبه لا من أجل نفسه وأن يكون صاحبه، إن يرده عن الصيد قدر، وإن يستحفظه على ما صاده بعد حصوله في يدي صاحبه حفظه، وأن يكون شجاعاً على ما أشلاه عليه سريع العودة إليه متى رده عن شيء ودعاه إليه كذا فافهم الحال في النفس الطبيعية أنه ليس يجري فيها أن تكون مطيعة للنفس الناطقة، والنفس الناطقة قادرة على ردها عن شهوة وأن تمادت فيها، وأن وقفها على شهوة أن همت بالانتقال عنها وأن يتخير لها الشهوات وأن تعاقب الطبيعة ذلك المتحيز فعند ذلك نصفها بالاعتدال، ولهذا القول جزويات كثيرة وليس الغرض تعديدها، وإنما الغرض أن أتي من ذلك ما يكون جارياً مع ذوي الفهم والأدب وإذا كنا قد أتينا بالحال في شرح الأنفس الثلاث تقدر النفس الناطقة أن تضبطها عند الغضب إذا شاءت، وأن تردها إن كرهت، وأن توقفها عن الأمر عند حد ولا تجاوزه، كما يقدر الفارس الفاضل أن يفعله بالفرس الفاضل عند قوة غضبه من بعثه، أورده، أو إيقافه، كذا فتصور الأمر في الرضا أن النفس الناطقة يمكنها أن تثني النفس عن قصدها متى تحركت إليه وإن كانت الحركة على أقوى ما يكون، والحركة النفسانية على أنقص ما يكون، ومن ذلك المحبة والبغض، فإن لم تكن للنفس الناطقة قدرة على النفس الحيوانية عند المحبة تمادى الإنسان في العشق، فعراة الخيل[١] متى لم يقدر أيضاً في حال البغض على ضبطها حتى تمضي على هواها في البغض اكتسبت العداوة من ليس في طبعه العداوة لها، وجرونات هذه[٢] كثيرة، وإنما أذكر منها بمقدار ما يفهم المعنى الذي قصدت له في الفهم على أتم ما يمكن.

// والنفس التطبيعية لها مسألة من الكلب الصائد الفاضل المعتدل من الكلاب //]

---

(١) الخيل المعراة هي التي لا سروج عليها والمقصود هنا الخيول التي لم تستخدم بعد للركوب.

(٢) أي الخيل.

٤٢و] الصائدة، وهذا الكلب إنما يوصف بالاعتدال في الكلاب متى كان مع فضيلة جسمه، وإنما يكون فاضل النفس فقد آن أن يمنع ذلك بما يجتمع من هذا ويتولد عنه من الأخلاق الحادثة عن قوى هذه الأنفس متى ارتأ بسبب النفس الناطقة عليها، وكانت مستعدة للنفسين الأخريين فعند ذلك يكون ملاذ النفس الحيوانية والطبيعية متوسطة متعلقة // [٤٢ط] متحدة بملاذ النفس الناطقة وأن شق على كل نفس من النفسين بالطبع تطيع(١) كما نسق على الفرق أن يركب وأن يضرب وذلك أن الشيء المأثور هو ما في الطبع وينبغي أن يعلم أن اللذة للنفس العالية أي الثلاثة كانت كما ترى ذلك في الملك وخدمه، فإن كل واحد منهم يؤثر ويحرص أن يقع سعيه بموافقة من الملك أن يتفق عليه بالطبع ذلك الشيء أنه يلتذان بتلذذ الملك سعيه، وكذا فافهم الحال في ملاذ النفس الحيوانية وملاذ النفس الطبيعية في الإنسان المعتدل هي النفس الناطقة للذة الحقيقة، وبالقصد وهي للنفسين الأخرتين غير حقيقية بالعرض ومن حصلت له هذه السعادة كان عالماً بالعلوم الإلهية خبيراً بالهيأة(٢) السماوية وبتأثير الأجرام السفلية وحركات الكواكب البطيئة والسريعة، وباحثاً من أين لها هذا التأثير وهذه الحركة أمِن نفسها أم من قوة تحثها من قبل الله ﷻ ؟ فإذا كانت تحثها منه فكيف انفصلت مقهورة كارهة أو مطيعة مستلذة الطاعة، وهذه الحركة وإن كانت كذلك فهل هي طبيعية كجذب حجر المغناطيس الحديد والكهرب البتن أو السند روس(٣) عدة من الأجسام وإنما هذه حركة إرادية فإن كانت إرادية فهل تملك الفعل وتركه كما يملك الكاتب أن يكتب وأن يمسك. أو الإرادة موافقة لما في الطبع كما نريد أن نحي وفي طبعنا الحياة، أو كما نحب أن نتنفس وفي طبعنا أن نتنفس حتى تكون الأفعال ثلاثة طبيعي لازم لأمر واحد وفعل أرادي يملك الاختيار فيه وفعل مركب من

---

(١) في الأصل يطبع.

(٢) في ب بآلة.

(٣) صمغ أصفر يشبه الكهرباء. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ٣/٣٨.

الطبيعي والإرادي لا تمكن مفارقته ومع عدم تمكن مفارقته فهو مستلذ مسرور[1] فقد وافقت // [٤٣و] الإرادة فيه ما في الطبع وهل يحرك الكل متحرك أم لا؟ وإن كان غير متحرك فقد يبتدئ[2] الحركات من غير متحرك، وكم الحركات وإنما هي غير المتناهية منها وإنما هي الحركة المتناهية وما هي طبائع الأجسام التي تتحرك حركة دورية ويكون بحاثاً عن معرفة الهيولي[3] والصورة، وعن الجوهر[4] الكلي، والجوهر الجزئي والعرض[5] الكلي والعرض الجزئي وعن الجوهر البسيط الشريف منطيقاً نحوياً ذا لسان وعبارة مما قام في وهمه عالماً بالكون والفساد علوية وسفلية، مهندساً منجماً طبيعياً طبيباً لطيف النظر وبالجملة فيلسوفاً وتكون زيادته في هذه الأمور ونقصه بحسب تمكنه من الاعتدال إذ كان الاعتدال هاهنا ذا عرض وإذا كان ذلك كذلك فبحسب هذا العرض تكون الزيادة والنقص، ومن الأمر المقرور به أن من هذا نعته عارفاً بالله "**جل وعلا**"، ومن عرف الله أطاعه، ومن أطاعه آمن برسله وكتبه وأنبيائه وقبل من الدالين على طاعته كما قبل من الدالين عليه، فإن علم الفلسفة: هو معرفة الله ﷻ ، والعلم بمخلوقاته، وعلم الشريعة هو العلم بطباعة ومن عرف الله ﷻ وعرف كيف بطبعه استخف الدنيا، ومن استخف بها أجمل في معيشته ولم يخاطر بمهجته، ومن أحرز مهجته من الخطر ترفّها ونعمها ولم يخلفها ومن يبلها بالمطامع لم يتهم ربه ومن لم يتهم ربه أنفق ما أتاه ومن لم يبق من يومه لغده قلت أحزانه، ومن قلت

---

(١) في الأصل مأمور.

(٢) في ب يبدأ.

(٣) الهيولي المطلقة هي جوهر وجوده بالفعل، وإنما يحصل بقبوله الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة. ينظر الحدود لابن سينا ٢٤٥/المصطلح الفلسفي.

(٤) الجوهر هو القائم بنفسه وهو حامل للأعراض. ينظر الحدود والرسوم للكندي ص١٩١.

(٥) العرض هو ما يتميز به الشيء من الشيء لا في ذاته. ينظر الحدود للخوارزمي ص٢١٦.

أحزانه سلم له عيشه ومن سلم له عيشه وأراد[١] آخرته // [٤٣ط] جعلت له الكرامة من ربه، ومن حصلت له في الآخرة الكرامة من ربه فقد بلغ العلة التمامية، وكما إن هذا الرجل الفاضل أخذ ما أخذه من العلوم الفلسفية ببرهان ويقين لم يُسْلم سبباً منه ولا خادع نفسه في مقدمة قدمها، ولا في نتيجة وجبت عنها واستحضر السلف ومعلميه وسأل وبحث ونقّر، واستشف الأمر بنظر[٢] حتى صار علمه بهذا الأمر الجليل البعيد مثل علمه بمبادئه وأسسه، وبالجملة مثل علمه بالأدلة الجلية الظاهرة للحس والعقل كتاباً يهمه في علم شريعة فقيهاً نظّاراً بحاثاً جدلاً مجادلاً مميزاً بين الحق والباطل يوجب مما علم أموراً لم يعلمها قبل، يحب الفضائل ويتقي الرذائل يحل الحلال ويعلم كيف صار حلالاً ويحرم الحرام وهو يعلم كيف صار حراماً يصعب عليه التسليم ويعجبه الحق اليقين، وقد بحث عن معرفة الله سبحانه طاعته أن يكون محبوباً متحادثاً طريفاً منطقياً وادّاً متودداً طيب النفس حسن الشمائل والأعطاف نفسه أبر نعم الله ﷻ وكل ما خوّله لها ومن أجلها، لا بالقاسي الشديد القساوة ولا بالرحيم الخوار ولا بذي الغلظةِ الجائر، ولا باللين الهين معتدل في عجلته وريثة، وبالجملة توجد أفعال نفسه الثلاث ظاهرة بيته، والناطقة منها مهيمنة على الاثنين فإنه لا ينفع ظهور قدرة[٣] نفس وقوتها ما دامت الناطقة مهيمنة عليها وإن الشجاع هو الذي تتحرك نفسه الحيوانية حركة شديدة للانتفاع مع تدبير الناطقة فإن تحركت بغير تدبير الناطقة لها فذلك التهور، والشجاعة مستحسنة والتهور مستقبح والأكل // [٤٤و] والشرب والنكاح، وكسب الأموال وحب الأولاد ومحبة الأزواج والمساكن فجميع هذه مستحسنة ما كان العقل مهيمناً عليها، ومرذولة مستقبحة متى تحركت دون العقل، واعلم أنه أولاها ولا المعتدلون من الناس لم يوجد للعالم نظام لأنه ما كان يعلم أن الله ﷻ في الوجود ولا أنه خالق ولا أنه أبدي الفاعلة لحل فاعله خلق مخلوقاته امتناناً من غير

---

(١) في ب ورد.

(٢) في الأصل بطان.

(٣) ساقطة من الأصل.

حاجة منه إليها ولا استحقاقاً استحقته المخلوقات عليه ولا كان للمدن ساسة داره ولا للعلوم والشرائع حملة معلمين متفقهين، وكان سبيل الطوائف من الناس كسبيل الطوائف من الوحوش وكسبيل أهل الإفراطات على أنه قد يوجد في أهل الإفراطات أفاضل يفضلونهم في ذلك المعنى الذي هم عليه فلأهل الإفراطات بهم نظام وقوام ما يسلم لهم بهم الحياة ولا أرى في مذهبي أن فيهم نفس مصطفاة، ولا زكية، وإنما فاضلهم كفاضل البهائم ولذلك لم[1] يبعث الله إليهم رسولاً ولا وجد فيهم نبي ولا أحد تقدم في علم ولا صناعة لأن طباعهم غير فاعلة ولا منفعلة، الله يعلم حيث يجعل رسالاته وأما المنجم، والمهندس، والطبيب، والمنطيقي، والموسيقي، والنحوي، ومن سبيله في العلم هذا السبيل يخدم الفيلسوف[2] وثمار الفلسفة وإن كان كل واحد منهم فيما ينتحله أقوم بفروع الصناعة وتأسسها وأسبابها من كل واحد منهم وذلك إن كل واحد من هؤلاء ولا مسلم لأصول صناعته ومبادئها كما قد علمتم ذلك // [٤٤ط] لأنه ليس يمكن أحداً من الأطباء والمنجمين والمهندسين، ومن جرى مجراهم أن ينصر صناعته من صناعته، وإنما ينصرها من صناعة أخرى غيرها هي أشرف منها وهي صناعة الفلسفة وأنا أضرب لذلك مثلاً من الشريعة وكما إن التابعين لصاحب الشريعة عليه وعليهم السلام أبصر في الأصول، والقرآن، والفقه، والآثار، والسنن من قرائنا وفقهائنا وأحسن يقيناً[3]، وفقهاؤنا وقراؤنا أبصر بالفروع وأكثر توسعاً[4] وأقل يقيناً كذا فافهم الحال في الفيلسوف، وكل من أرباب هذه الصنائع فإن الفيلسوف عارف بأصول هذه الصنائع وبتعلقها بالعلل، وكيف كل واحد من العلوم الفلسفية معدوق[5] بالباري المصور الذي له الأسماء الحسنى، وكل واحد من أرباب هذه الصنائع

---

(١) في الأصل ما لم.

(٢) في الأصل للفيلسوف.

(٣) في الأصل يقين.

(٤) في الأصل توسع.

(٥) عدق الشيء يعدقه عدقاً جمعه. ينظر اللسان مادة (عدق).

الصنائع وانتفاعه، فانتفاعه به مع الناس وفي دنياه، والفيلسوف انتفاعه بهذه العلوم عند الله ﷻ وفي آثار رضاه وانتفاع القربة منه، فيما بعد الموت وعند العلة التمامية، ومثال كل واحد من المهندسين، والمنجم، والطبيب، والمنطيقي، والنحوي، والموسيقي، ومن سبيله هذه السبيل مع الفيلسوف مثال كل واحد من الجرائحي، والكحال، والمجبر، والصيدلاني، وجامع العقار مع الطبيب الطبائعي فإن كل واحد من هؤلاء خدم للطبيب، والطبيب خادم للطبيعة التي هي قوة من خالق الحي مدبرة لجسمه، وكل واحد منهم وإن كان أقوم بفروع هذه الأعمال وثمارها من طبيب الطبائع فطبيب الطبائع أقوم بالعلل في أعمالهم والمبادئ والأبين(١) من كل واحد منهم لأنه ليس أحد من الكحالين(٢) متى لم يكن مع تعاطيه الكحالة لم يكن يعلم ما يكحل العين الرمدة ولا متى يعطي كحلاً في أول العلة // [٤٥و] وبأي كحل قد(٣) يزيد المرض، ولا بأي كحل في آخره ولا يعلم هل يبدأ بالكحل أو ينبغي أن يتقدمه تدبير قبله كما تعلمنا ذلك من جالينوس فإنا(٤) تعلمنا ذلك من جالينوس، فإنه تعلمنا منه أنه متى رمدت العين استفرغنا جملة البدن وذلك بالفصد والإسهال، ثم يستفرغه بعد ذلك العضو الذي يخص العين، وهو الرأس واستفراغنا إياه بالحجامة والغرغرة فإن بقيت بعد ذلك في نفس جرم العين بقية لم تنجذب إلى البدن وإلى الرأس ولم تقوَ العين على هضمها ودفعه عنها فعند ذلك تعاون الطبيعة بعلاج العين في أول الأمر فبالإكحال والأضمدة والأطلية الباردة الرادعة القابضة المقوية مع تركيب يسير من الأشياء المحللة المقسمة لا تزال تقلل الباردة الرادعة [وتترقى] في الأشياء المنضجة المحللة حتى يتم البرؤ وكذلك الحال في كل واحد من الجرائحي والمجبر وغيرها، وأيضاً فإن الطبيب الطبائعي انتفاعه به في صناعة الطب في الطلب الكلي الذي هو معذوق بعلة بعد

---

(١) غير واضحة في الأصل والتصحيح من ب.

(٢) الكمال هو طبيب العيون.

(٣) في الأصل في والذي ذكرناه من ب.

(٤) في الأصل فإنه والذي ذكرناه من ب.

علة أخرى حتى تتصل ببارئها بارئ البرايا وكل واحد من هؤلاء فإنما انتفاعه بما يكسبه من كل واحد من الناس في معيشة، وهذه حال الفيلسوف مع كل واحد من خدامه فإن اتفق أن يكون الفيلسوف طبيباً فذلك الطبيب الفاضل الذي بقراط، كذلك فاجرِ[1] الأمر في المنجم والمهندس وغيرهما، والطبيب غير الفيلسوف وطبيب الطبائع فقط خادم الفيلسوف، وأرى أني قد قلت في أحوال نفس المعتدل وأخلاقه وسجاياه قولاً كافياً مع ذوي الفطر السليمة والألباب الصافية وأنا قاطع قولي ومقبل على ما يتصل به إن شاء الله تعالى.

(١) في الأصل فاخر.

البـــاب الرابـــع

(في ذكر السبب في ميل أمزجة ساكني الاعتدال // [٤٥ط] إلى صنفي التضاد واختلاف الخلق والأخلاق والسجايا والسحنات)

قد ينبغي أن نتبع القول في وصف الجسم المعتدل ووصف نفسه وأخلاقه وسجاياه بذكر السبب في ميل أمزجة ساكني الاعتدال عن الاعتدال المقدم ذكره إلى أحوال شديدة الاختلاف حتى يوجد فيهم الأسمر والأشقر والعبل(١) والضعيف والسمين والهزيل ومحبة الجور، ومحب العدل، ومؤثر الخير ومؤثر الشر واختلافهم في المعايش والمهن إلى غير ذلك فيما يوجد في هذا المسكن ولم(٢) لم يلزمهم طبيعة واحدة وهي الاعتدال الخالص كما يلزم كل واحدة من الامتين اللتين تسكنان الإفراط والأمم التي تلي كل إفراط ولم صار لهؤلاء حكم مفرد.

فأقول: إن كل مسكن من الإفراطين هل هو شيء واحد، وقريب من شيء واحد أعني أن الحر في المسكن الحار على أشد ما يمكن أن يعيش فيه الحيوان من المسكن الحار كذلك اليبس، وإن كان فيه امتزاج من البرد وإنما هو معروف عند الفعل لا عند الحس والكلام الذي نحن بسبيله فليس من الطبيعي المسموع بل من الطبيعي المحسوس والمسكن البسيط عند الحس تتكون فيه أصناف(٣) بسيطة عند الحس فساكني الإفراط الحار أمزاجهم واحدة بسيطة من أجل أن مسكنهم بسيط وفيهم من الخلف الخفي بمقدار التركيب الذي عند العقل والأمة التي تليهم وهم السند أقل بساطة وأكثر تركيباً، والأمة التي تلي السند أقل بساطة وأكثر تركيباً والحكم في الإفراط البارد سببه بهذا، فلزم لزوماً ضرورياً أن الإقليم الأوسط والمسكن المعتدل من

---

(١) العبل: الضخم من بين البشر.

(٢) في ب ولماذا لم.

(٣) في الأصل أحسنا.

الإفراطين أكثر المساكن تركيباً، وأبعدها عن الأمر البسيط وأنقاها[١] فيلزم أن يكون // [٤٦و] فأخر اللباس ولا يريد الطعام والشراب، لا يلتمس قوته إلا عند جوعه، طيب النفس بطر قليل الفكر كثير النوم لا تسوؤه اللأواء ولا تسره النعماء وأما[٢] أن تقوى النفس الناطقة وترأس[٣] الحيوانية والطبيعية مع سلامتها ولزومها الحال الأفضل، ومن كانت هذه نفوسهم كانوا أحكم الناس وفلاسفتهم والعلمين للحكمة، وقد وصفت الحال في استيلاء النفس الناطقة مع سلامة الحيوانية والطبيعية حيث ذكرت نفس البدن المعتدل فلنخبر بذلك عن إعادة قول فيه، وينبغي أن نعلم أن لجميع ما قلته عرض وبحسبه تراكيب لا تحصى، وكذا القول فيما يأتي من هذا الباب. وأما[٤] أن تكون الناطقة سليمة تامة الفضيلة، والاثنتان مسقامتان ضعيفتان، وبالجملة ليستا على المجرى الطبيعي ومن كانت هذه حالهم كانوا عباداً زهاداً خائفين لله ﷻ وجلين هينين لينين أوظباء الأخلاق، قليلي[٥] الشهوة للمأكل والمشرب والمنكح زاهدين في المكاسب، والثراء[٦]، والتجارة والغنى مخبتين لله ﷻ راغبين فيما عنده منقطعين إليه مستجيرين به مستعينين به مما يخافون نزوله بهم وذلك أنه لما بطل فعل النفس الحيوانية والنفس الطبيعية ظفرت النفس الناطقة بنفسها فاشتاقت إلى عالمها وزهدت في كل أمور الدنيا كما قال سقراط في كتاب النفس: إنه يعرض للنفس هذا الموت، أن يزول عنها حب الولد والأهل وسائر ملاذ الدنيا ويخلص لها الشوق إلى بارئها ﷻ والاتصال بعالمها وحب الكرامة والجلالة لا غير، وبعد قول سقراط كما يعرض في المنامات الحقيقية إذا سقطت مشاركة النفس للنفس الناطقة أن تهدأ وتقر // [٤٦ظ]

---

(١) في الأصل غير واضحة، وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل حرف (ح) منفردة ولم يذكر قبلها (أ، ب).

(٣) في الأصل (تروس).

(٤) ذكر حرف (د).

(٥) في الأصل قليلو وما أثبتناه من ب.

(٦) في الأصل الثرى.

وتصفو وتروق من الكدر الذي يلحقها من النفسين فتشاهد الأمور الكائنات قبل أن تكون ويكون حكمها حكم الجواهر البسائط ومعلوم عند أهل هذا النظر أن النفس الطبيعية والنفس الحيوانية متى كانت لهما تحرك كانت المنامات الكاذبة والمفرغة بحسب ما يليق بحركة كل واحدة من الأنفس أن الموت لا يقع إلا بهاتين النفسين أعني الحيوانية والطبيعية، أما بالحيوانية فلسوء المزاج وأما بالطبيعية فبفساد الآلات وأما أن تسقم الثلاثة فتبطل أفعالها فلا يوجد لشيء منها المجرى الطبيعي فيكون من ذلك البله والمعتوهون، ومن لا يجعل من أمر دينه ولا مأكله ولا مشربه سبباً البتة، ولهذا الأمر عرض حتى أنه يوجد في هؤلاء من لا يلتمس قوته، ومنهم من لا يلتمسه وفيهم من يلبث على الناس وفيهم من يخاف الناس وفيهم من فيه مداراة وخبث وفيهم من يعمل الأعمال وجريات هذا كبيرة تكون بحسب يزيد في كل واحدة من النفوس الثلاثة ونقصانها في الأخرتين أو بحسب يزيدها فيهما معاً ونقصانها، وحسب زيادتها في الثلاث نفوس ونقصانها فيها، وأما أن تقوى الحيوانية وتملك الأنفس وتستولي على الناطقة والطبيعية وهذه نفوس المحاربة وأهل البأس والنجدة والإقدام على القتل ومحبة العقوبات والسطوة وقلة الرحمة مع تميز من أمورهم، وتأتي لكسب الأموال واتباع الشهوات لأن تدبير النفس الناطقة كلها هو فيما كان منه لذة النفس الحيوانية كله فيما التذت له الحيوانية إلا أن أصل كل واحدة من هاتين المرؤوستين تام واف في طاعة // [٤٧و] الحيوانات التي لا مالكة ولا مملوكة إن شاء الله، وأما الآن فأنا قاطع قولي في هذا الباب ومقبل على ما يتصل به إن شاء الله تعالى.

الباب الخامس

(في ذكر أحوال النفس في الأبدان الغير معتدلة في المسكن المعتدل) [١]

قد نقدم ذكر أمزجة الأبدان في المسكن المعتدل عن المزاج المعتدل وبينا الأسباب الفاعلة له وينبغي أن نتبع ذلك في ذكر اختلاف قوى الأنفس لاختلاف فعالياتها في هذا المسكن، والبرهان قد وضح أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن // (أ) فأقول إن الأنفس الثلاث لا يجلو كلها حتى تبدو أفعالها متكافئة من غير مطاوعة واحدة لغيرها، وإذا كانت لذلك كانت نفوس الملوك الجبابرة والساسة على طريق الغلب والاستئثار بأموال الرعية وبهضم المجاورين، وانتهاك الحريم مع أترابه، وجمع الأموال ومنع الجانب ودفاعه عن حوزة ما ملك، وسبب ذلك إن كل نفس تريد أن تستبد بفعلها خالصاً لها فالرأي شديد والفوز والظلم والحرب والبأس وسائر الحركات الحيوانية تامة لانتقاد العقل تمضي على مضراتها[٢] كالفرس الجموح متى لم يكن عليه فارس يمكنه ضبطه بل كان فارسه مشغولاً عنه وغير مفكر في ذلك الفعل وقد تحركت نفس الفرس للجماح حركة شديدة جداً وتصور الحال في حركات النفس الطبيعية إنما يتحرك على أتم ما يكون من الحرص والطمع والشره والاستئثار بالأموال والأقوال من غير اعتقاد كفايةٍ أو وقوفٍ عند غاية كلما كثير ثراؤه زاد حرصه // [٤٧ط] وينبغي أن يكون الحال في هذه النفوس متى قلنا أنها لم تستولي واحدة منها على الأخرى أنهما متساعدات متعاضدات حتى يسلم لكل واحدة فعلها كعدة لهما أعراض بعددهم في قصدٍ بدافع[٣] القصد ليس لواحدٍ منهم على الباقين رئاسة فهم مترافقون متعاضدون حتى تسلم لهم الحياة في سبيلهم ويتم إدراك غرض كل واحد منهم كذا فإنهم تعاضد

---

(١) راجع مقالة جالينوس في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن.

(٢) في ب مضرتها.

(٣) في الأصل بدافعو.

الأنفس إنما هو من حيث أن بقاء كل واحدةٍ وحياتها بقاء الأخرى، فتولي هذا وما شابهه كمن كتب أو قال في الهندسة، فإن قوله وكتبه لقاح لما في حال من كتب إليه وقيل له، والصور الخفية النفسية في عقل المخاطب بأن المثلث المتساوي(١) الأضلاع الذي عرض المهندس الذي علمناه ليس هو هذا الجزء الذي في الكتاب، وإنما هو ذاك الأمر القائم في الوهم من طبيعة المثلث المتساوي الأضلاع الخلو من المادة المعري من القبول أعني المثلث فقط هكذا إذا أردت القول في النفس فافهم أنه يدرك بالعقل وجنس التخيل، فإنك من هذه الجملة تدرك العلم به مع توفيق الله ﷻ.

// (ب) وأما ان تضعف الثلاثة الأنفس ضعفاً متكافئاً حتى لا تصل واحدة إلى حقها إلا أنها في هذا الضعف لا يقال لها سقيمة لكن تصورها كفرس ضئيل صغير الجثة ضعيفها فاسم الصحة تقع عليه إلا أنها صحة له خاصة، فكل ما يفعله الفرس الفاضل بفعل شبهاً به وليس هو في فضيلة ذلك الفعل ومن كانت هذه حال أنفسهم كانوا سقاط الناس ورعاعهم وأهل الضعف والمسكنة، ومن لا يوجد له تقدم في معاش ولا علم ولا آلة تدبير في نفسه تقاسي الهزل وضنك العيشة لا تحدثه نفسه بدقيق الصنائع ولا معالي الأمور وسني المراتب ولا تقتضيه // [٤٨و] أخلاقهم بحسب التركيب فيه وأيضاً هذا المسكن المعتدل فنسبة الهواء بالإفراط البارد باردة، وتوجد فيه اعتدالات تارة، فلا ينكر أن يوجد فيه قوم قريبو الحال من أهل الإفراط الحار وقوم معتدلون خالصون، وقوم قد أضافوا بالاعتدال، وإذا مر هذا الوجه الطبيعي العلوي فواجب أن توجد الأخلاق مختلفة كثيرة مضيفةً بالخلق المعتدل اعتدالاً حقيقياً حتى يكون من الاختلاف بحال لا يمكن أن يحصى، وقولنا مسكن هو شيء له عرض وليس هو نقطة وكان على حقيقة يكون الاعتدال فيه لا محالة وقد ذكرنا الحال من جهة الفاعل وهو المسكن كما سمي الرحمن فاعلاً، فلنذكرها(٢) من جهة المادة وذلك

---

(١) في الأصل والمتساوي.

(٢) في ب فلنتذكرها.

أن الأمم الساكنة الإفراطات تجمع إلى هذا المسكن طوعاً وكرهاً، ولا يدخل أحد منهم إلى الإفراطات وتجمع إليه من الأمم التي بينه وبين الإفراطات أمم كثيرة فيكون هؤلاء الآباء والأمهات والدايات لم تولد في المسكن المعتدل، ومخرج هذه المواد بعضها بعض ومواد ساكن الاعتدال إذا انضافت إلى الاختلاف الطبيعي كان من ذلك المزاج[١] المختلف ما لا يحصى كثيره فإذا كان هذا قد وجب ولاح من جهة الهيولي والطينة التي منها الجبلة فقد ينبغي أن نتبع ذلك بذكر المواد النامية للجسم وهي المأكل والمشرب، وكثرة اختلافه في هذا المسكن بحسب مدنه وبحسب أحوال أهله وإيثارهم اللذات واتباعهم الشهوات وبحسب قهرها كما // [٤٨ط] المدبرين لهم في حفظ صحتهم وبحسب مخالفة بعضهم الحكماء يحدث في الأجسام دخول الاعتدال وخروجٍ منه وقرب منه وبعد منه وتراكيب لا يمكن اللسان أن يلفظ بها وتغاير خلق وأخلاق حتى يصير القضيف[٢] عَبْلا وتعلم من ذلك، والسمين هزيلاً وبعكس ذلك، والأسمر أشقر والأشقر أسمر وخروج من الصحة إلى السقم ودخول السقم إلى الصحة واختلاف من الأخلاق بحسب اختلاف الأمزاج وتنقلها حتى يوجد من الصالح طالح وبعكس ذلك ومن الجائر عادل وبعكس ذلك ومن الأديب أريب[٣] وبعكس ذلك ونحوه فقس عليه، وقد يحدث للأجسام تغاير حكمها الحكم المتقدم بعينه من اختلاف المهن والعبادات والعلوم والأدب وصحبة الأفاضل وصحبة الأراذل حتى تتغير أحوال الأجسام والأنفس مثل التغير الأول بعينه، وليس في شيء من مساكني الإفراطات شيء من هذه التغايير وإنما هم في أحوالهم أشبه بالبهائم البرية التي يوجد كل نوع منها بأسره بحال واحدة من اللون والتربية الطبيعية ومقدار الخلق وكيفية الخلق فإن الحمير الوحشية كلها بلون واحد يتفاضل فيه بطريق الأقل والأكثر وأما الأهلية فقد يرى اختلاف ألوانها، وكذلك الحال في الظباء والبقر والغنم الوحشية والبقر الأهلية

(١) في الأصل كان من ذلك الحرمات المزاج.

(٢) القضيف: الدقيق العظم القليل اللحم. ينظر اللسان مادة قضف.

(٣) الأريب: ذو الفطنة والدهاء.

والخنازير والسنانير والحمام الأهلي والحمام البري فإنما صار ذلك لكثرته لأن المزاج في كل نوع واحد، فإن الحيوانات الأهلية فمع أنه قد يخص كل نوع مزاج ما قد يخص كل واحد من أشخاص مزاج ما وسأتكلم في تحرير[١] المعنى إذا ذكرت الحال في مزاج الحيوانات المملوكة والحال في أمزاج // [٤٩و] غيرها واتباع لذة سواها، وأما أن تقوى الحيوانية مع تسقم من الأسس وخروج عن الحال الطبيعية فتكون هذه أنفس في السراق وقطاع الطريق، وأهل الزعارة[٢] والتزمت وقتلة النفوس والسائرين على العقوبات وهذه الطبقة تستلذ أن تؤذي من لا يزكيها وترى ذلك مغنماً وإن أردت أنفسها لبطلان فعل المدبرة وهم مع ذلك ليسوا[٣] بذي أموال ولا مقتنين لها ولا فيهم قدرة على الكسب، ولا محبة لجمعها ولا حريصين عليها مستلذين العمل قاسين القلوب على نفوسهم فضلاً عن سواهم.

// (ح) وأما أن تقوى الطبيعة وتملك الاثنتين مع سلامة منهما فإن هذه نفوس التجار وكسبة الأموال وأهل الثراء[٤] وحب الأموال وجمعها، ولهذا عرض وتراكيب وجزئيات يجب أن تفعلها بعقلك لأن ذلك في قولي بالقوة وجميع ما ترى من هؤلاء من وقار وفلاح دقيق فكرٍ وحسن مبرةٍ وحب كرامة وفي الجملة أفعال النفس النفسانية فإنما هو بسبب كسب المال وجمعه ومن أجله وكذا جميع ما تراه من الغضب والرضا وسائر أفعال النفس الحيوانية فإنما هو بسبب كسب المال // (ط) وأما أن تقوى الطبيعية وتسقم الاثنتين ويبطل فعلهما إلا أنه ليس البتة فتكون هذه النفوس نفوس الملاحين والفعلة والرعاة وبالجملة كل من يكري[٥] نفسه ويشبع جوعته، ولهذا عرض وجزئيات حتى أن بعضهم يوصف بأنه يحمل حملاً ثقيلاً مفرط الثقل فليس كل واحد

---

(١) في الأصل الكلمة ؟؟؟ وما أثبتناه من ب.

(٢) الزعارة: الشراسة وسوء الخلق. ينظر اللسان مادة (زعر).

(٣) في الأصل ليس وما أثبتناه من ب.

(٤) في الأصل الثرى وما أثبتناه من ب.

(٥) كرى يكري كراء إذا أخذ الأجرة عن قيامه بالأعمال.

من هؤلاء بارهاق نفسه ورهقها ويرى إن ذلك من الفضائل وإن ضده من الرذائل وقد تقوى نفسان وتضعف واحدة وأن تقوى نفسان وتسقم واحدة، ولهذا ضرب من التراكيب ليس يبعد استخراج // [٤٩ط] معرفة أكثرها على من قرأ[١] كتابنا هذا مكتوب إليه وما نرى اختلاف الجزء من الناس وبهذا السبب وهذا التركيب يوحدون فيجب أن تتفكر في ما قلنا وقس عليه إن شاء الله تعالى.

(١) في الأصل قرى وما أثبتناه من ب.

الباب السادس

(في تكون الأنفس من نفس)

وفي السبب الفاعل لذلك، وفي بقاء ما سبيله أن يبقى من الأنفس الناطقة وثوي[١] ما ينوي بحسب ما يليق بهذا الكتاب قد تحب أن يقع التسليم أن الأركان الأربعة متحدة مختلطة في الأرض فإن جملة فلك القمر بمنزلة جميعها فما غلظ لزم المركز بطبعه وما لطف أكثر من الأرض أطاف بها بالطبع وهو الهواء، وما لطف أكثر من الهواء أطاف بالهواء وكلها متحدة ممتزجة مختلطة من غير أن يوجد شيء منها صرفاً كما مثل ذلك جالينوس[٢] إذ قال: تصور دَناً فيه شراب وأسفله دردي[٣] واجعل ذلك مثالاً على الأرض وفوقه أصفى وأرق منه وهو مثال على الهواء[٤] وفوقه أرق وألطف منه وهو الزبد وهو مثال على النار، واعلم أن العلل بالتحاقه على هذا الكل الذي هو بالمادة المركبة من النار والهواء والماء والأرض وتحركه عليها تحرك القوة المكونة فيه إلى وجود الكائنات التي توجد بوسائطه قليلة أو كبيرة، أو بغير وسائط ولذلك مثال قد اعتصم به أبقراط في كون الحيوان من الدجاجة وحضانها على البيض في كيان[٥] الفروج، وكما إن مماسة جلد الدجاجة كل واحد من أجزاء البيضة حتى تلابس الحرارة الغريزية ما في البيضة من الرطوبة البيضاء التي هي بمنزلة المني والرطوبة الصفراء التي بمنزلة دم الحيض للجنين من وراء القشر الصلب،

---

(١) ثوى: هلك. ينظر اللسان.

(٢) ينظر: كتاب جالينوس في الأسطقسات حيث تحدث عن المزج بين الأخلاط الأربعة ص١٢٠-١٣٠.

(٣) الدردي: الخل الشديد القوي. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ٩١/٢ أما في معجم الألفاظ الفارسية المعربة فالدردي: الزيت وغيره ما يبقى راسخاً في أسفله من الكدر ص٦١.

(٤) في الأصل الهوى.

(٥) يقصد تكون الفروج.

والقشر المسمى قيضاً[1] فإذا استحالت البيضة في المدة // [٥٠و] إلى مزاج الحيوان انفعلت المادة وتكونت حتى يوجد من لا حي حي، كذا فافهم الأمر عني في ملامسة الأجرام العلوية المادة عن قرب بَعْدَ وواحد من وراء وآخر، حتى تحدث للمواد الصور التي هي فيها بالقوة والتنقل في الصور وكما أن الدجاجة قد نقلت البيضة وتحركها[2] حتى تعم المماسة جميعها كذا فافهم الحال في حركة الكل على الكائنات الفاسدات إنما هو ليميز ويماس جميع الكل بجميع المادة حتى لا يبقى في المادة، ولا أقل القليل مما خلقه الخالق ﷻ فيه يكون بالقوة الإخراج إلى الفعل وجعل خالقنا تعالى الكل يتحرك على المادة ولم يجعل المادة تتحرك والكل ساكن لأن المحرك للفعل هو الفاعل والمفعول قابل وحركته الانفعال وسكونه الفاعل يقبل عنه، ولأنه لو تحركت واصطلت وأنالها الحركة والقوة بدت من غيرها وكيف وجد الحركة لما هو مزمع أن يكون ولم يتم وينزرع ويحصل له الكمال، وإنما هو شيء بعد في القوة ذلك تقدير العزيز العليم الذي أحسن كل شيء خلقه، فإذا سلم لي هذا ليس تسليماً جدلياً بل تسليم على أنه معلوم مفهوم قبل قراءة كتابي هذا، فأنا أقول: إن في أعماق الأرض حرارة بالفعل ورطوبة ويبوسة وبرودة وعنها كون المعادن والينابيع وتولد الحصى والصخور وجميع المتكونات من الأرض والقول في هذا من القول في الكون والفساد، وما بعد عن هذا الحد من بحر الأرض المحيط بها وقع عليها شعاع الشمس وقويت على اجتذاب باقيه ولم تقو الحركة المكونة التي في الأرض على تغيره وتكوين شيء منه // [٥٠ ط] فذلك موضع النبات من الأرض وذلك يتم بأن تكتسب الأجرام السماوية هذه المادة من الأرض قوة كما أكسبت الدجاجة البيضة قوة الحياة حتى كان من لا حي حي حتى تكون من الأرض وهي غيرنا به نامٍ وهو النبات وهذه نفس نامية حادثة عن النفس الطبيعية التي في الأرض التي توجد في الكائنات كوناً دفعه من

---

(١) القيض قشر البيضة الداخلي.

(٢) في الأصل تحركه وما أثبتناه من ب.

غيره حتى يكون مقدار الحادث بمقدار المادة لا غير وكلا النفسان موجودتان جاريتان متحركتان مستغنيتان[1] عن الأجرام السمائية بقدرة الواهب لها هذه القوة جل وعلا، والنفس الطبيعية أعني المكونة ثم بعدها النفس النامية لأنها تابعة تامة للطبيعة، ثم من بعد النامية الحيوانية ومن الحيوانية النفسانية كما نبين فيما بعد إن شاء الله، ولما كان الحيوان يغتذي بالنبات فتحركه الأجرام السمائية بقدرة الله إلى تولد النفس الحيوانية بالقوى المنبعثة من الأجرام السمائية كما الحال في الدجاجة والبيض من عدم الناطقة كما ترى ذلك في الحجر غير الناطق لأنه أقرب إلى طباعه من النبات فتحركه الأجرام السماوية بقدرة الله ﷻ التي خلقها فيها ووهبها لها إلى تولد النفس الناطقة، فأما كيف وقد بينته في كتابي الغاذي والمغتذي[2]، وشرحت كيف تولد نفس من نفس، وأنا أعيد ذلك مما يليق بهذا الموضع، فأقول إن الدم الذي [هو][3] النفس الطبيعية النامية التي في الكبد وساق الشجر، يرتفع جزء منه بحركة[4] الغذاء وينصب في الأذن التي من أذني القلب فيحمى فيه هما فينصب[5] منه اللون النوري ويصير ذا صبغ هذا هو مادة الحي // [٥١و] الحقيقي الصرف بالحياة فأما غيره فليس له في هذه المادة النورية الموجودة فيها الحرارة بالفعل وينبعث ذلك في سائر الدم ثم ينفذ منه جزء كبير إلى الأذن اليسرى المكونة للحياة من هذه الثلاثة روحاً حيوانية، وهو حار بالفعل رطب لذيد ولان الحرارة بالفعل توجد له الحركة والاضطراب الدائم كما يوجد ذلك للنار والماء الحار لأن مزاج الروح الحيواني حار رطب لا تحرق الأعضاء ولا نسفها ويبسها بل برطبها ويتغذها ويحييها ويتممها ويهضم أغذيتها ونغتذي وينتقل في دسومة الدم وبسبب هذه الحرارة المحرقة لدسومة الدم صار القلب والشرايين نابضة

---

(١) في الأصل متحركان مستعان وما أثبتناه من ب.

(٢) توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣/٢٨٩٠.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) أي الأصل بحركته وما أثبتناه من ب.

(٥) الكلمة غير واضحة في الأصل.

أبداً وصارت متحركة لأن النار متحركة أبداً وصارت متى قويت في جسم تخفيه لاستئثارها بالمادة دون الجسم واعلم أن الفرق بين الروح الحيواني وبين النار أن النار يابسة حارة والروح حار رطب كذا تعلمناه من جالينوس والحمى في الروح ليست شيء غير ميل مزاجها إلى الحرارة واليبس، وينبغي أن تعلم أن الروح قد تحمي دون أعضاء البدن ويبس وسمي ذلك حمي يوم فإذا حميت الأخلاط ويبست سميت هي الأخلاط وحميت الروح ويبست صوره؛ لأنها ألطف وليس يقع الثلاثة بالغليظ حتى يقع قبل ذلك باللطيف، وإذا حميت الأعضاء الأصلية ويبست سميت حمي رقيقة ووجب ضرورة أن يكون الأخلاط والروح قد حمي جميعها ويبس على ذلك القياس فمداواة الحمى من حيث هي حمى تزيد الحرارة وترطيب اليبوسة بالتبريد والترطيب التي مردها إلى الحال الطبيعية ومداواتها بحسب أسبابها الفاعلة بطريق أفضل هو جمع[1] // [٥١ط] المادة واستفراغها فهذا هو حال الروح الحيواني، فأما النفساني فالأمر فيه على ما أضف وهو إن الروح والدم الذي في الشرايين يرتقي منه إلى السبكة التي تحت الدماغ منه شيء كبير فيجتمع هناك كما تعلمنا ذلك عن جالينوس ثم يُحصّل منه أولاً فأولاً في بطون الدماغ أشياء في كل بطن بقدر ما يحتاج إليه ويدخل إلى الدماغ من الهواء المستنشق شيء دائم سهل يتحد ويمتزج بتلك الروح الحيوانية وتعمل القوة التي في بطون الدماغ من ذلك نفساً نفسانية وتعمل منها في كل بطن من أجزاء النفس ما يليق بفعله من النحيل والفكر والذكر، ومن الحس والحركة، وللفعل اتصال بهذه النفس، واعلم أن الحيوان إذا ابتدأه الكون كان إذ ذاك سباقاً وليس يحى كما ذلك فيما لم يتم من الأجنة ثم يكون حيواناً وليس بناطق، ثم يوجد له بعد الحياة النطق، وقد حد قوم النفس: إنها كمال ما، وقال آخرون إنها كمال الجسم وكل هذا حس مدعو إلى الإقرار بما قلنا حتى يكون الأمر، كذا النمو إكمال للجسم الغير باقٍ والحياة كمال[2]

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ينظر مقالة جالينوس في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن ص٨-١١ وهناك تعاريف متعددة للنفس. ينظر المصطلح الفلسفي عند العرب ص١٩٠، ٢٠٩، ٢٤١.

ما للجسم النامي والنطق كمال ما للجسم الحي كما أن النمو كمال للبنات وقد يجب من هذا وجوباً أن نقر بأنها مزاج من الكيفيات، ولا يمتنع من هذا الحال أن تكون باقية غير مضمحلة، لأنّا قد سلمنا معشر الفلاسفة أن الكون إنما هو الحركة من الضد إلى الضد حتى يكون من لا حساس حساس، ومن غير ذي لون ذو لون ومن غير ذي طعم ذو طعم ومن غير النامي نامٍ ومن غير الحي حي فقد يمتنع أن يكون (النامي من غير نامٍ)[1] وهل يمكن أحد أن يقول الفاني من الفاني (والباقي من الفاني) وهل[2] أقدم أحد على هذا وادعاه فقد سلمنا له الظفر بقولنا سلاماً // [٥٢و] وقد تبين مما قلنا أنه ممكن أن تكون النفس باقية ولم يتبين بعد ذلك واجب ضروري ولكني أُنبه في هذا الوجه، وهو إن النفس الناطقة لما ظفرت بمعرفة الجوهر المعري من الصور وشاهدت الأمور التي بغير مادة فاتصلت بالعقل الكلي وتصورت أحوال العالم العلوي وحركات الكواكب ورجعاتها واستقاماتها، ولماذا ذلك منها ولماذا لا ينبغي فيه وقدر الأجرام والأبعاد والهية بأسرها وأدركت أموراً عظيمة الشأن كثيراً عددها بغير الحواس ودرت دراية عقلية أوثق من معرفتها ما عرفته علمياً إنها جوهر بسيط لأن هذه القوة لا توجد إلا للجوهر البسيط دون الجسماني، وهذا برهاني من نفس الشيء المطلوب وليس هذا كقول القائل إن النفس لما كانت دائمية الحركة كانت باقية إلى غير ذلك من الخرافات التي أرفع نفسي عن الطعن على قائلها لأن الله ﷻ يشهد أن ما غرضي غير الحق وأشهده جل ذكره ثانية أنه متى استصعب علي أمر لذت به وعدت ضارعاً إليه فلا يبعد عني الصواب فلله الحمد رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً، وينبغي أن تفهم عني[3] (جوهر بسيط) بالإضافة إلى النفس الحيوانية وسائر الكائنات الفاسدات، ومركبة بالإضافة إلى العالم الإلهي وبهذا السبب صار عرضاً، فرفع الله ﷻ عباده بهذا العرض درجات

---

(١) من ب.

(٢) من ب.

(٣) ساقطة من متن الأصل وقد كتبت على الحاشية من الورقة.

وكما أنه ليس كل شيء تثمره النخلة يجيء منه تمرة كذا ليس كل وجودي[١] نفس ناطقة بالقوة تكون نفسه باقية حتى توجد ناطقة بالفعل لأن النخلة تخرج // [٥٢ط] الطلع فما قلع من الطلع فليس يثمر ولا فيه عسل ولا يصلح أن يدخر كما يدخر التمر، وكذلك الأمر في البلح وكذا الأمر في البسر وكذا الأمر في الرطب، فأما ما لحق أن صار تمراً فهو الذي يدخر إذا كان قد بلغ التمام كذا فتصور الأمر في الأنفس أنها كلها نامية فانية فاسدة ينحّل إلى ما منه تركيب إلا الأنفس التي قد نمت وفرعت واتصلت بخالقها أي اتصال كان واستحقت الثواب والعقاب وأدركت العليا التمامية كما تقدم من قولنا في ذلك وما لم يبلغ هذا فإنما هي في حيز الحيوان وحكمها حكمه ألا ترى أنه ليس كل بيضة هي حيوان بالقوة تكون حيوان بالفعل فإن النفس إنما يصح لها انجذابها كمال ما في الجسم إذا أدركت تلك الأمور وبإدراكها ذلك أوجبنا لها البقاء للتنقل في الأحوال إلى حيث لا يمكن الحركة والنقل بعده فإن كان قد يمكن لها حركة فستقع في حمامات أهل التناسخ[٢] وتمر فيما لا نهاية له وهذا باطل وليس يليق بكتابي هذا استخراجها وينبغي أن تعلم أنه ولا نفس واحدة من أنفس السودان والصقالبة ومن جرى مجراهم تكون له نفس باقية، لأنه ولا نفس واحدة منهم لها اتصال بالبارئ جل وعلا ولا يعلم شيء من أموره ولأنها مستحق للثواب والعقاب فأي فائدة في نفوسهم فإن قال قائل إن الله ﷻ لا يعبث فلم خلقهم؟ قلنا له إن المنفعة فيهم لنا كانتفاعاً بالفلاحين والرعاة والحراس ومن جرى // [٥٣و] مجراهم، فإن الله ﷻ له عناية كلية بالعالم، وعناية جزئية بكل واحد منه وغايته بكل جزء في واحد منه فإن النظام للعالم هذا هو، وأنا أضرب لك مثالاً من العسكر فإنه إنما يكون عسكراً يدفع به العدو وتساس به الرعية إذا كان فيه الأمر على جلالة قدرة وزرائه وحجابه وجنوده ووكلائه[٣] وجباة الأموال ومنقوها وحراسها[١] والخدم وسائر الأصناف

---

(١) يقصد به الوجود بالقوة والوجود بالفعل. والكلمة ساقطة من الأصل.

(٢) يقصد بهم (القائلون بتناسخ الأرواح).

(٣) في الأصل ووكلاه، وما أثبتناه من ب.

السياسية والمكارين والنفاطين ونحوهم فإن جميع هؤلاء يكون العسكر عسكراً وبعضهم ينفع في بعض ثم إن جميع المنافع تجتمع للأبد وبذلك يصير أمير العسكر وهذا القول فهو ما اجتمع لي من رأي أرسطوطاليس ومفسري كتبه وأصحابه وجالينوس مع اختياري ما اخترت منه وما استخرجته أنا من غير أن أسوق قولاً فأنسخه وإنما أقمت جميع المعاني في نفسي ثم عثرت عنها بحسب اجتهادي وما وفقت له فمن اختار قولي مما ذكرته، ومن رأى غيره فله فضل رأيه وما أنا عليه بوكيل، وهذا الباب ليس يمكن أن تظفر معرفته من قراءة دفعة أو دفعات حتى يتمثل جميعه في عقله وينعم التفكر فيه إلا أن القارئ ممن قدم بالأصول التي انتزعت هذا منها فنرى لي حق الجمع والتأليف والإفهام والتلخيص ويرى وجوبه من المقدمات والأمور التي وجب لي منها، وقد بلغ بي القول إلى هذا الموضع وقد وفيت بما كنت ضمنت من القول في البدن المعتدل والنفس التي تحسبه لها عرض، وفي الأبدان المختلفة الأمزاج في مسكن الاعتدال، وما أطاف به ونبت عن علة وجودها في هذا المسكن // [٥٣ط] دون الإفراطات وما جرى مجراها، وذكرت الأنفس التي[٢] بحسب هذه الأمزجة الخارجة عن الاعتدال، وكيف الحال فيها وقد بقي علي أن أقول قولاً ثم أقطع القول في هذا الباب، وهو أن أخلاق النفس إنما صارت تابعة لمزاج البدن لما كانت الأبدان آلات النفس فصارت بحسب كل نفس جسم يقبل بأخلاقها وتنوعاتها ويكون لها تبلغ به مرادها وقد عرفت من قولي في ما سلف كيف الحال في أمر النفس في البدن بأوفى ما تكلم به أحد ممن تقدم لأني قصدت في قولي قصد الإفهام للمتعلم والأذكار للعالم ولم أشغل الوقت بالخصام، ولا ألقيتها إليه لأنها مفهومة في أماكنها ومحررة في مواضعها فمن اقتصر على ما قلت فقد أدرك بغيته ومن بقيت عليه بقايا في البحث عن الأصول فليبحث عن ذلك في مواضعه من قول أرسطوطاليس ومفسري كتبه ولا

---

(١) في الأصل وحربيها، وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل الذي وما أثبتناه من ب.

يعدل عن هذا الطريق فلم أعول إلا عليه وأنا الآن مقبل على ما يتصل بقولي إن شاء الله.

الباب السابع
في المخالفة بين الذكر والأنثى لم هي؟ وكيف هي؟

إنه كما إن العضو الذي له في البدن الحس والحركة الإرادية قوة تنبعث منه في سائر الجسد والآلات وصورة قابلة للفعل وأُبهة ووقار هي بالعقل وبهذه أن يوجد الإنسان عاقلاً متحركاً بالإرادة وكما إن العضو الذي له في البدن، الحياة والغضب أيضاً قوة تنبعث منه في سائر الجسد وآلات وخلقه يمكنه أن يحيى وصورة للغضب والرضا بهما يوجد في جبلة الإنسان أنه غضوب // [٥٤و] كما نرى ذلك في الإنسان في صنوف من الحيوان وآلات الغضب والرضا بهما يوجد في جبلة الإنسان وكما إن العضو الذي له في البدن النمو والتغذي أيضاً آلات وخلقه بحسبها يتم له هذان الفعلان ويوجدان له وصوره من حسن الخصب أو قبحه كذا فافهم الأمر في الرئيس الرابع[١] وهو العضو الذي له في البدن القوة التي بها النسل والقوة التي يكون بها للجسد وصورة التذكير، ورتبة التذكير وصورة التأنيث ورتبة التأنيث وهو الإنسان، فإذا كان هو العضو عضو الرجل وجد من أجله تأمر في العضو الذي له السياسة والحركة الإرادية فيبدو منه في الذكور من قوة الحر السياسي ما قد رأي في أرسطوطاليس والإسكندر الملك الذي جمع الملك[٢] والعلم وهو الطواف ومعلوم أنه لو فاتهما التذكير مع فضل الجزء فيهما لما كانا من الكمال على أي فوتٍ كان فإما أن يكونا امرأتين وإما أن يكونا خصيين، فإن قال قائل فما تقول في الفاضل من

(١) الأعضاء الرئيسة أربعة أولها الدماغ وثانيها القلب وثالثها الكبد ورابعها العضو التناسلي.

(٢) ساقطة من المتن في الأصل وقد كتبت على الحاشية.

الخصيان والنساء قلت ذلك لقوة هذا العضو فيهما وسلامته ولو كانا ذكيين لكانا في الفضيلة أعلى لأنه ليس أحد يقدم على إنه يقول إنه قد يمكن في المرأة والخصي بلوغ منزلتي أرسطوطاليس والإسكندر وألست قائلاً في ذلك شيئاً، وكذا أيضاً فافهم الحال في مشاركة القوة المذكرة(١) كعنصر الحياة الذي له الحياة والغضب والرضا إن حركة النفس الحيوانية وقوة الغضب في سليمان بن داود عليه السلام، خلافهما في بلقيس زوجه، وقد كانت ملكة كما كان ملكاً وخلافهما // [٥٤ط] فيه لو كان ابناً خصياً وكذا أيضاً فافهم الحال في مشاركة القوة الذكرية لعنصر النمو والتغذي والقوة النامية والتكون أن يصير الجسم وتكونه وشدته ويأسه وبعضله وغلظه وشهوة الأكل والشرب والشدة والجلد والبطش على حال هي أفضل منها في الإناث، وفيهم لو كانوا إناثاً أو خصياناً وإذا كان الإفراز قد وقع بأن لهذا العضو الرئيس من قوة المشاركة فهذه الثلاثة الرؤساء حتى إنه لا توجد لها فضائل أفعالها إلا به ومن أجله فبالحري أن تكون القوة التي تخصه من صورة التذكير وزينته وصوره ويجب أن يعلم شرك كل شيء واحد منهما في فعله فقد شركه كل واحد منهما في فعله وسنقول في ذكر هذه المشاركات أسمى الأولون هذه الأربعة التي هي الدماغ والقلب والكبد والأنثاوان للأعضاء الرئيسة والفعل الذي يخصها هو الزينة باللحية والشارب والعنفقة والعارضان ومما يوجد عنهما بالعرض من الصلع والجلح(٢) فإن هذا لا يوجد مع سلامة عضو التذكير عند النمو وقبل البلوغ ويوجد أيضاً جهامة الوجه وقسامته ووسامته، وعظم الرأس وسعة الصدر وعظمة وخفة العجز وصفر عظم الأكتاف وغلظ الأعضاء مع صغر الأوراك ودقة في الأفخاد والتفاف في الساعد وظهور عضله ونبات الشعر عليه وبيان عروقه الضوارب وغير الضوارب وتوجد فيه زيادة في العصب والليف والوترة والرباط على مقدار اللحم زيادة في مقداره على الشحم والسمين وكذا يوجد ذلك في

---

(١) في الأصل الذكرة.

(٢) الجلح: انحسار الشعر من مقدمة الرأس. ينظر اللسان مادة (جلح).

سائر الجسد من الرجال، ويكون الكف سواء بهما أكثر من جملة الذراع والأصابع وبسببه تكون(١) قوة الإمساك // [٥٥و] في الكف تكادان تزيد على قوة الحس، والأمر في الإناث بعكس ذلك ودع القول في الخصي حتى يذكر في الباب الذي تذكر فيه المخالفة بين الفحل والخصي ومن صورة التذكير أن مقدار الثديين مقدار ما يديران القلب ويحفظان عليه مزاجه وفي النساء فلهما هذه المنفعة وإنهما وعاءان لغذاء الطفل وبمقدار ما يتدلى على المراق(٢) تسخن البطن الأسفل كما ترى ذلك في النساء إلا الأقل والبطن خميص لعدمه بيت الولد الذي يريد به بطن الأنثى على بطن الذكر ومن أجله يعظم مراق البطن وما يحويه على الصدر ومن أجل الكون الذي فيه والتغذي والنمو الذي للحس يتوفر الغذاء عليه حتى يكون الحيض فضله فلزيادة هذا الغذاء تعظم من الإناث الأوراك والأعجاز والأفخاذ والسوق وعظمهما باللحم السمين والشحم بالأعصاب والوترات والربط والليف لأن هذا العظم ليس في الجبلة الأولى، وإنما هو في الجبلة الثانية، وقد ذكرنا القول في هذا آنفاً وإنما صارت الأكف والأقدام والأصابع في النساء ألطف منها في الرجال لأن الجبلة الثانية في النساء أوفر من الجبلة الأولى وأرطب وأبرد مزاجاً منها في الذكور، والجبلة الأولى في الرجال أوفر من الجبلة الثانية وأسخن وأيبس مزاجاً منها في الإناث فلأن تغذي الروح الحيواني في الرجال أكثر من تغذي الروح الحيواني في النساء وما يتوفر على أعضاء فضل من دسومة الدم يجتمع على طول الزمان والتقلب في الإنسان ولأن المزاج الذي يخص النساء أبرد وأرطب من المزاج الذي يخص الرجال فالدم منهم فيه بقوة ما وهو في // [٥٥ط] النساء شبيه به في الأطفال من الذكور وإذا كان الدم هذه حاله فمعلوم أن فضولة فيه وهذا الدم الدم الدماء بالنمو والتغذي وكون ما يتكون منه وجعل خالقنا ﷻ هذه حال أبدانهم لأنهم بمنزلة أرض يفلح للنبات فبهذا السبب صار الحيض يعتادهن

(١) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٢) المراق صوفة توضع تحت الأثداء لتسخن.

بأدوار في كل شهر متى لم يكنَّ حوامل ومتى كن حوامل انصرف ذلك إلى أجنتهن فتولدت أعضاء أجنتهن عنه ما يتولد ونمي جميعها به وقد قلت في هذا حيث ذكرت الجبلات قولاً نكتفي به؛ ولأن مزاج الروح الحيواني ناقص في الحر عن مزاجه في الرجال وزاد في الرطوبة على مزاجه في الرجال واعتداؤه بدسومة الدم أقل وبصحة الدم ويبسه له أقل فلذلك أبدانهن ناعمة لا شعر عليها إلا الشعر الذي من الطبيعة في القصد والأبخرة المتصعدة من أبدانهن إما لا توجد البتة وإما إن وجدت فيه فترده[1] ولا يمكن أن يتولد عليها الشعر الذي بمنزلة الكلأ فإن وجد مزاج امرأة قد خالف الجم الغفير فذلك لميله عن الاعتدال وسنقول في ذلك في غير هذا الباب وكل هذا الأحوال الموجودة للإناث إنما هي من مزاج الأنثاوين في النساء ومشاركة قوتها القوة النامية أعطتها صورة التأنيث وشكلهما وكلاهما في النساء طويلتين مما لعنق الرحم في داخل الفرج وكذا أيضاً لأن لها مشاركة للقلب صار مزاج الروح الحيواني في القلب أقل حرارة منه في قلوب الرجال وأكثر رطوبة ولهذا المزاج صرن لا يكتفين من الانتقام ولا يفوتهم الأمر متى تحرك الغضب عند أحد لأن هذا مزاج سبباً له ما يتحرى منه // [٥٦و] ويحدث مسنا وبالماء يزول وينقضي فإحداهن إذا وقعت النقمة عند الغضب فضربت المنتقم منه عشرة مقارع لم يثبت للعشرة في هذا المزاج صورة كما لا يثبت للخير في الامتناع، ولو قبل الأغتام[2] بسهولة وثبت أوقعت الرحمة والرقة فلما كان لا يثبت صارت[3] ترى أن نفعل هذا أبداً ولم يشف غيضاً والحال في رضا المرأة على مثل الحال في الغضب فإنه إذا قصد قاصد ليرضيها بفعل منه سرت بذلك لوقته ويقضي، ولم تثبت للنعمة صورة في نفسها، وإن دام ذلك الفعل دام نقيضه، فأما حركة الغضب فهي من الرجل أسرع وألبث إلا أنها تتحرك نحو حد ومن أجل شيء يزول بزواله وكذا الأمر في الرضى وليس هي حركة تحدث وتنقضي ويتلوها غيرها

---

(١) في الأصل ترده، وما أثبتناه من ب.

(٢) الغتمي: ثقيل الروح. ينظر اللسان مادة (غتم).

(٣) الضمير يعود إلى المرأة.

لأن مزاج الرجل ينطبع فيه مقدار النعمة والنقمة[(١)] فتكون الحركة من النفس بمقدار ما انطبع فيها وما يغتذي به الروح الحيواني تضعف الحرارة فيه فقليل متوفر دسومة على أبدانهن فيسخن ويرطبن وهن قليلات الحركة والمباشرة للأعمال فما يتحلل من المضافرين برز قليل وهن تارات هادئات في مساكنهن فيعرض لهن ما يعرض للحيوان المنحجر في الشتاء من السمن وثقل الجثة، وإن عدم المأكل والمشرب فكيف بهؤلاء، وهي مع هذه الحال يأكلن ويشربن أكلاً وشرباً يتكلفن الاستكثار منه رغبة في خصب الأبدان وعبل الأجسام وكذا أيضاً لأن الأنثاوين منهن مشاركة للدماغ، والروح النفساني ما يتولد في آرائهن من التأنيث والركاكة وتفكك الكلام وذلك أن مزاج الدماغ منهن ليس حاراً[(٢)] إنما هو أبرد وأرطب من الأربعة[(٣)] // [٥٦ط] من الرجال فقط بل فيه نهوة وفطورة فجوهره كدر لا يظفر بحكمة ذات قدر إلا أن يوجد ذلك في مزاج امرأة بعينها قد مال إلى مزاج الذكور، وإذا وجدت كانت خارجة من النساء في معناها كما توجد المحبة من الرجال خارج عن مزاج الرجال في معناهم داخل في مزاج النساء فعلى[(٤)] هذه الوجوه توجد الحكمة في النساء أعني من ميلهن عن مزاج الإناث إلى مزاج الذكور وإنما صار هذا حال مزاجهم لأنه لم يقصد البارئ ﷻ بهن الحكمة ولا الصنائع والأعمال ولا الحرث وحراسة المدن والأنفس، وإنما قصد بهن النسل ومزاجهن اللوم الأمزجة بالتوليد والنسل ومن النساء والرجال رغبة في بعضهم بعضاً، ومحبة وميلاً ليس من أصل أسلاف الأمزجة كما قد ذكر ذلك قوم من تكلم في العشق بل بينهم هذه الحركة من أجل أشياء سنذكرها إن شاء الله من ذلك ما يؤثره مزاج الأنثاوين من الرجل في النفس الطبيعية وفي النفس الحيوانية وفي النفس الناطقة من شهوة الجماع وإقامة النسل وما تختص به النفس الناطقة من محبة البقاء للنوع إذ قد

---

(١) في الأصل والنعمة.

(٢) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٣) يقصد الأعضاء الأربعة الرئيسة.

(٤) في الأصل فعل.

يتعذر بقاء الشخص والمحبة التي هي مناسبة الآلات كالمناسبة التي بين الأنثى وبين الفرس، حتى يوجد الإنسان في غاية الإحضار يكون له بخيلائه خيلاً ويطاير لهذا في الموجودات كثيرة كذا فافهم الأمر إن تناسب الآلات متى لم يتناسب بمخالفة بعضها الأمر الطبيعي مثل أن يكون الرجل عنيناً أو المرأة رتقاء[1] أنهما حددا[2] سبباً للبغض، وكذا فافهم الأمر في سائر أعمدة الخليقة والأخلاق مناسبات وتآلفات، وكبير يليق بغرضي أن أقول في هذه الأشياء أكثر من هذا القول // [٥٧و] لئلا أحيد عن غرضي، وأما السبب في حركة المحبة والعشق فهو ألم مبرح في القلب يسبقه مزاج في النفس الحيوانية مع توق منها إلى الاستسقاء بمخالطة كل واحدة بكيفية الأخرى ومخالطة الأجساد وتقريب بعضها من بعض وهذا شبيه بما نراه من حال الدجاجة مع فراخها متى كانت صغاراً، وحال فروجها معها، إلا أن الأم تشتاق أن تحضن على الفرخ وتقربه[3] منها لتشفي به ألم شوقها إليه ومحبتها له وهو يشتاق إلى ذلك منها لسبب كمن له مزاج النفس الحيوانية بملامسة جسمه جسمها ويكاد العشق أن يكون تضاد في الأمزجة وشوق من طبيعة كل واحد منهما إلى أن يدرك درجة الاعتدال وأن يلحقها بامتزاج فإن النفس الحيوانية من الرجل لما كان حاراً يابساً ومزاجه من الأنثى بارد رطب صار بمجاسدتهما التذاذ؛ لأن في كل واحد منهما شفاء لصاحبه وراحة من ألم وتحرك نحو الاعتدال وبلوغ المنتهى إذا بلغته وقفت عنده ورامت حفظه ما أمكنها، وما أدق هذا فليتأمل، وأما في مزاج آلات التوليد فهذا نعنيه[4] ولذلك تصير عن مني الرجل ومني المرأة شيء واحد له مزاج واحد غير مزاج كل واحد منهما يتكون عنه الحس وبهذا السبب لا يمكن أن يكون من أحد المنيين إنسان ويضاد خلق الآلات معلوم لأن جالينوس قد بين أن كل ما للرجل للأنثى مثله إلا أنه في الذكر ظاهر بارد

---

(١) الرتق: انسداد مجرى التناسل.

(٢) في الأصل حدث وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل تقويه والصحيح من ما أثبتناه من ب.

(٤) أي فهذا نعنيه بالفروق بين الرجل والمرأة.

في الأنثى كامن خفي لأن الحرارة أظهرت ذلك لقربها وتركت هذا داخلاً كأنه أمر بالقوة لم يتم ويفرع وهذا مضاد في الخلقة وغرضه ضد غرضها لأنه يروم أن يدفع ويبقي المني بآلتها هي // [٥٧ط] لأن يقبل ويجذب بآلاتها؛ ولأن الأنثى قد تمني مثل ما يمني الرجل صار شهوة أن يمني بالأنثاوين وآلات المني والشهوة أن تقبل بالرحم وقد تنبعث مع منيها روح حيواني ومع مني الرجل روح حيواني وهو يكون به بعض أسباب الأنعاظ(١) للرجل والمرأة في أوعية المني ومن أجل هذا الروح وهبوبه وحفزه للمني يزرق تزريقاً متقطعاً وإنما ينقطع لأن جزءاً منه مني وجد روحاً حيوانياً ولم يتحدا بعد ويختلطا لأن هذا يكون لهما من قبل الرحم إذا اجتمعا اتحدت هذه الروح الحيوانية بالمني وامتزجت كل روح بالأخرى كما يمتزج كل مني بالآخر حتى يكون عنهما الحس ومن أجل استفراغ هذه الروح صار الاجتماع يقل احتماله ويصعب أكثر من جميع أصناف الاستفراغات لأنه الحياة والطبيعة معاً وبهذا السبب يوجد نبض القلب ونبض العروق على أعظم ما يكون في الأنثى والذكر لشدة الحاجة فإن تحركت النفس الطبيعية للجماع دون الحيوانية أمنى ولم ينغط وإن تحركت النفس الطبيعية دون الحيوانية أنغط ولم يمني، وإنما صار المني متى لحقه الهواء فسد لأن الروح محفزة وتخرجه وتخرج معه تنفس(٢) عنه فيسوء مزاجه، ولما كان أعظم أجزاء الإحليل عصبة مخرومة شكلها شكل ميزاب ومجرى المني في جوفها حاوية للعرق الضارب له وكان قد يرى فيها عياناً امتلأ وزيادة في حجمها وتمد عند رأسها في ذلك تمدد ويزيد شدة إحساس في الوقت لم يوجد لها في غير حال الأنعاظ علم أن جزءاً كثيراً من الروح الحاس قد تحرك إلى هذه العصبة وحصل فيها وإن للنفس النفسانية حركة عظيمة وأما الجزء الناطق فلبقاء // [٥٨و] النوع لما تعذر بقاء الشخص، وأما جزء الحس فللراحة من ألم الشبق وهذه هي الجماع، ولذلك لذات الجماع في كل

---

(١) الأنعاظ: هي إثارة الشهوة وانتشار العضو التناسلي.

(٢) في الأصل تنفش.

إنسان مختلفة بحسب زيادة شبقه وقلته، والشبق يكون عن كثرة المني في آلاته وإذا كثر فيمن هو فيه بالطبع كثير وله عادة استفراغه من الذكور والإناث ولم يستفرغه كان مهلكاً، وذلك أنه إذا كثر له ما يعرض للدم في العروق غير الضوارب من العفونة وتولد حرارة تحدث في البدن، كذلك المني إذا عرضت منه هذه الحرارة الغريبة عرض منه أن العصبة المخروقة تنقل الحسن إلى الدماغ وسوء المزاج فيحمي الدماغ وتحدث عنه الكآبة السوداوية كما تعلمنا ذلك من جالينوس في المواضع الآلمة[١]، وفي غيره، وهذا سببه بما تفعله العصبتان اللتان تنزلان من الدماغ إلى الحجاب متى ورم الحجاب أن يرم الدماغ ويختلط العقل، وكما تفعله في العصب الذي في فم المعدة هي العلة المراقبة فإنه إذا انصب الخلط المذكور من الطحال إلى المعدة نقل العصب الذي بينها وبين الدماغ حيث ذلك الخلط إليه فحدثت أعراض الشبق وإن كان هذا المرض في امرأة قتلها وكانت في مدة المرض إن كان منياً أو غير مني، وربما بلغ بها أن لا تتنفس البتة ويبقى في محبتها تجتري بما تتنفس به في الشرايين، وقد ذكر هذا جالينوس والحال فيه معروفة في مواضعه وقد يعرض في الرجال ضيق في النفس، وزفرات وكرب ولكن لا يبلغ الأمر إلى عدم التنفس، والسبب في هذا أن الدماغ يصير بحال من البله لا يمكنه معها أن يبسط الحس للنفس البتة وإن أمكنه ذلك فبسطاً ضعيفاً، فإنما بقاء[٢] // [٥٨ط] الحياة مع هذه الثلاثة فلما أنا ذاكره وهو أن الشريان الذي ينبت من القلب لينبعث فيه الروح الحيواني مع المني ينقل إلى القلب سوء مزاج المني فيسوء مزاج الروح فيه ويسوء لذلك في البدن كله فتضعف الحياة في البدن وتجمد وهذا شبيه بما يعرض من الغشي متى انصب إلى المعدة خلط [...][٣] أن ينقل الشريان الكبير المعروف بأورطي كيفية ذلك ساء مزاج الروح وألم القلب فلم ينبسط وينقبض الانبساط والانقباض الطبيعي فعرض الغشي أو ضعف

---

(١) في ب الألومة.

(٢) في الأصل مكررة.

(٣) في الأصل فراغ بمقدار كلمة.

النفس ومعلوم أنه إذا عرض الغشي لم يحتج القلب إلى التنفس وإن احتاج فإلى قليل منه بحسب التلية لأنه إذ ذاك لا يحتاج أن يستمد من الهواء ولا أن يخرج فضلاً دخانياً وإن احتاج كفاه القليل وإنما لم صار هذا سبباً للموت في النساء دون الرجال فذلك لأمرين أحدهما أن العفونة في مني المرأة عسرة الانحلال لأنها أشبه شيء بحميات البلغم التي زمانها يطول، وهي في الرجال أشبه شيء بحميات الصفراء التي تنقض وتنضح في مدة يسيرة لأن التي فيهن فيه نهوة وغلظ في جوهره، فالعفونة فيه كالنار في الحطب الرطب له طول لين وعسر حركة، ودخان غليظ، والعفونة في مني الرجل كالنار في الحطب اليابس له لهيب وحدة وينقضي بسرعة، والأمر الآخر أن الرحم يميل إلى بعض الجوانب فلاجتماع[١] هاتين العلتين يحدث الموت فيهن وكل أمر مما ذكرنا يدل ويؤذن بأن الرجل والمرأة كأنها جزءان لشيء واحد تألف[٢] منهما في تركيبه وامتزاجه هذا الشيء الواحد الذي // [٥٩و] هو بقاء النوع وحفظه بوجود النسل فإنه ليس في أن يكون الذكر ذكراً والأنثى منتفعة البتة إلا التناس، وإلا فالأجرام السماوية ليس فيها ذكران ولا إناث، ولا بعضها يوصف بالتذكير وبعضها يوصف بالتأنيث لأنه لما حفظت أشخاصها أنفسها لم تحتج فيها إلى النسل فهذا ما نقوله في هذا الباب فأنا قاطع قولي فيه ومقبل على في ما يتصل إن شاء الله.

الباب الثامن

(في مزاج الخصيان وأحوالهم في مخالفتهم الفحول)

الخصي أبرد من الفحل وأرطب ويجب أن يكون قياسك كذا، هذا خصي أبرد وأرطب منه لو كان فحلاً أو يكون اثنان بمزاج واحد وسن واحد، ومن حبل واحد

---

(١) في ب فلاجماع.

(٢) في ب تآلف منهما.

أحدهما خصي والآخر فحل ولا نضيف[1] كل خصي إلى كل فحل كما نضيف مزاج أي امرأة كانت إلى أي رجل كان، ولا يحكم على خصي بحكم مزاج الخصيان حتى ممن الخصاء وقع به وهو في النمو فإن الخصاء إذا وقع بعد تجاوز ثماني[2] عشرة سنة على مذهب أبقراط بإنسان لم يكن الخصي مؤثراً في مزاجه ويجب أن يحظر ببالك ما قلت في الباب الذي ذكرنا في اشتراك الأعضاء الأربعة الرئيسة. وإذا كنت لذلك ذاكراً فافهم عني أن من خصي بعد سن الصبا[3] وقد تم وفرع لم تسقط لحيته ولم يعدم الشعر الذي هو عن الطبيعة بالقصد ولا الذي هو بالعرض، وإنما يعدم شهوة الجماع، إما كلها أو بعضها لا غير ويسلم له جميع ما للفحول، وسنذكر كيف الحال في ذلك فيما بعد وينبغي أن نعلم أن للخصي أحكاماً: // [٩٥ط] منها حكم دون العشر سنين، وحكم فيها بين ذلك وبين بلوغ أو بين خمس عشرة سنة مع الإنبات[4] وحكم فيما بين ذلك وبين عشرين سنة فأما من خصي قبل العشرة ولم يتغير دمه عن دم الطفولية وبقي دمه مدة حياته على نهوة ما وإن تغير في الإنسان فليس ببلغ البتة دم النساء وكان له حكم الخصيان على الصحة والحقيقة وذلك أن خصاه يعوق مكنته[5] عن بلوغ مزاج النفس الحيوانية في الإناث فضلاً عن الذكور، كما ذكرنا في الباب الذي قبل هذا وتبقى النهوة في دمه ويعوق الدماغ في أفعاله السياسية، وفي الحركات الإرادية، وقوة البطش عن الكمال ويعوق كدرة نفسه[6] الطبيعية عن أحكام الآلات وحس النمو والتغذي الجاريان عن المجرى الطبيعي ويبقى مزاج الصبي فيه لابثاً لا يتحرك وإن يغالب السن والدليل على ذلك أنه إذا غضب بكى وإذا غلب سطا،

---

(١) في الأصل نصف وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل ثمانية وما أثبتناه هو الصحيح.

(٣) في الأصل سن الصبي وما أثبتناه من ب.

(٤) أي مع إثبات شعر اللحية والعانة.

(٥) في ب تمكنه.

(٦) في ب ونفسه والصحيح من ب.

ويرضيه الخداع أكثر مما يرضيه الحق ويجتمع فيه الأضداد من الأفعال فدل ذلك على أخلاق الصبيان أميل وأشبه إلا في عدد قليل وسنذكر ما يعلم منه كيف هذا في ما بعد إن شاء الله، وإن اتفق عليه عند الخصي تمتد أنثاواه مداً شديداً حتى يخرج الآلات التي مع الأنثاوين، سقطت الشهوة منه البتة مع عدم صورة الرجال، وإن لم يتفق ذلك وجد له من الشبق بمقدار ما يسلم من ذلك ورام أن يجامع فإذا جامع وجد بللاً ليس يشبه المني ولكنه يشبه الإنداء وأنا أوجب على هذا الغسل إذا حلم متى احتلم، ولا أوجبه على الذي أخرجت منه آلات المني لا حكمه في حكمه حكم الفحل متى رأى في نومه كأنه يجامع ولم ينزل وكلاهما ينغطان أنغاطاً // [٦٠و] يوجد تحت الردف له صلابة وامتلاء ولا يبدو منه إلى خارج شيء ذو قدر فيمن كان غير تضيف الخصاء ومن بلي بالخصاء في هذا السن كان طويل العصب جداً لالتداده زيادة مفرطة على مقدار الشبه منه، وذلك أن قضيبه بعيد من الجمود وقبول النفس فيطول لذلك ولا يقف في سن المنتهى، ويزيد بعد ذلك طولاً؛ ولأن الرطوبة لا تكاد تفارق بعضهم بعوج سوقهم كما يعرض ذلك للأطفال متى كلفوا المشي قبل جمود عظامهم الجمود الذي يطيق معه الصبيان المشي، وقبل أن تشتد منهم الربط ولذلك يعرض للأطفال الفُزْع ويعرض في الخصيان شبه ذلك من رطوبة الربط ولين المفاصل، وصدر الخصي لبرد قلبه لا ينسبط، ويتسع ويمتد في أقطاره؛ ولأن هذه حالة يكون الهواء الذي هو مادة الصوت قليلاً، ومعلوم أن قصة الرئة مناسبة للصدر في الضيق فتكون أصواتهم لصغر الآلة وقلة المادة كما تعلمنا في كتاب الصوت من جالينوس أصواتاً صغاراً، وكذا عظم الصوت هو من عظم[1] الآلة أعني الحلقوم وكثرة المادة أعني الهواء الذي يدخل إلى الرئة بالاستنشاق وقلة الصوت وهو قلة المادة وعظم الآلة كالزمر الزمامي وحدة الصوت عن كثرة المادة وضيق الآلة كالزمر المسمى سرياني، وقد شرح هذا في كتاب الصوت بهذا المثل، وفقارات ظهره فهي كما

---

(١) في ب وكذا عظيم الصوت من عظيم الآلة.

تعلمنا من جالينوس أوعية لنخاعه كما أن قحف الرأس وعاء لدماغه ولأن الدماغ قد يعوق عن الكمال ببرد المزاج وكذا الحكم في النخاع فقحف الرأس صغير وفقار الظهر صغير على أقل من المجرى الطبيعي لأنها مناسبة للقحف[١] // [٦٠ظ] وإذا كان ذلك كذلك فذراعاه وعضداه وكفاه وأصابعه كلها طوال، فإن كان له في الجبلة البرد والرطوبة حدث به عند علو السن أن يعوج ساقاه وأن يعرض له الفدع[٢] في يديه ورجليه وبالجملة ضعف الأطراف وأمراض الأعصاب وأن يهرم سريعاً وينسخ[٣] خداه ويعظم لحظاه، وإنما يعرض له ذلك لأن قصبه بمنزلة خشب ندى رطب كلما حمل انطوى ومفاصله تتزايل لأن ربطها تطول بسبب ليفها وعدمها الحرارة المنضجة لما نغتذي به ومن كانت هذه حاله يكون مع صغر رأسه صغير الوجه والعينين والأنف بادي الحجاجين وارد الوجيس[٤] غليظ الشفتين أما صغر وجهه فلبرد دماغه وعينيه وأنفه، وإن برد المزاج الوارد على الطبيعة بالعرض منعها من أن يأخذ من الخلقة حقها كالحال في أهل الإفراطات وإنما غلط الشفتين وكثرة نسخ الوجه فذلك لنهوة الأخلاط في هذه الأعضاء بسبب ضعف الحرارة فيها وقد ذكرت علة ذلك عند ذكري الغلط في شفاه السودان وشهوة الطعام فيهم قوية لبرد أمزاجهم وذلك أنه يعرض لهم من ذلك ما يعرض للنساء فإن المرأة تأكل أكثر من الرجل لبرد المعدة منها ولأن الطبيعة ليس تحاول منها الهضم التام فيما ينضجه الرجل في ست ساعات تنضجه في أربع ساعات مثلاً وأعضاؤها تقبل التي من الغذاء وتؤثره كالحال في الأطفال الذين هم بهذا السبب يغتذون دائماً وينمون سريعاً كذا فافهم الأمر في هذا الخصي، وأما حال الأخلاق فيه فلأن دماغه في الهضم غرق في الرطوبة لين شبيه بحال الدماغ من الطفل كذا أمره // [٦١و] في الأفعال السياسية على الحال التي هي في

---

(١) في الأصل لقحف وما أثبتناه من ب.

(٢) الفدع: عوج وميل في المفاصل كلها خلقه أو داء. ينظر اللسان.

(٣) النسخ: التحول.

(٤) الوجيس: الصوت الخفي.

الأطفال وتوجد لهذا عرض، وأما في حركة النفس الحيوانية فلأن مزاجها لم يتم، وتفرع ليس يوجد له غضب تام ولا رضا تام ولذلك يوجد له مع شدة غضبه بل كما ترى ذلك في الصبيان فإنهم يغضبون وينتقمون ويبكون[1]؛ لأن الحركة إنما تكون من الضد إلى الضد فإذا تحرك أحدهما نحو الآخر مسافة ما ثم عجز رجع إلى حيث تحرك ثم لا يلبث أن يتحرك فيوجد فيه لذلك الغضب والبكاء معاً ولذلك الشجاعة والجبن والسخاء والبخل وسائر[2] هذه الأمور غير أنه لا واحد منهما نرى فيه على التمام بل كأنه أمر يتحرك على الوسط ولا تبلغ الأطراف، وأما أنهم أبرد من مزاج النساء وأرطب فذلك بين من حيث لا يوجد لهم بعد الخصي نبات شعر لا ممن عن الطبيعة بالقصد ولا مما هو عنها بالعرض سوى شعر الرأس، وإنما يوجد ذلك فيهم؛ لأنه أمر تم وفرغ قبل الخصي كالحال في خصي من قد خرجت لحيته وشعر جسده فإن ذلك يبقي على حاله، واعلم أن الخصي إذا وقع في الناس كان مختلف الأحوال لا يكون في بعضهم مخرجاً له من سقم إلى صحة ومن جهل إلى عقل أو يكون الأمر بعكس[3] ذلك فأما من ضعف إلى قوة بطش فلا يمكن بل الأمر أبداً بالعكس فأما كيف يكون مخرجاً من سقم إلى صحة فهو أن من كان مزاجه في جبلته على زيادة الحرارة واليبس فإذا وقع به الخصي في سن النمو برد مزاجه ورطب وخصب بدنه وطال عمره لأن برد الخصي ورطوبته بماذج // [٦١ط] حر الجبلة ويبسها وهذا هو السبب فيما يراه من طول أعمار من يعمر من الخدم وقد يكون هذا المزاج مؤدياً له إلى حسن الأفعال السياسية لاعتدال مزاج الدماغ وكذا الحال في مزاج قلبه وآلات، الغذاء فيه وقد يوجد[4] اختلاف بين مزاج كل واحد من الأعضاء الرئيسة يكون الخصاء سبباً لبعضها وزيادة في الثلاثة البعض وليس الوقوف على ذلك بمقدار عند

---

(١) في ب يعصبون ويضربون وينتقمون.

(٢) في ب وسائرها.

(٣) في ب بعكس فأما....

(٤) في ب والآلات الغذائية يوجد....

من هوى طبعه من كتب إليه كتابي هذا وبالجملة إن من فضي في سن أي سن كان حفظ الخصى عليه حال تلك السن من أفعاله السياسية والحيوانية والطبيعية مدة حياته والخصي لا يفارق الصبي إلا في الكمية وأما سائر أحوال الصبي فمبقاه عليه فهو إذاً صبي وإن علت سنه ولذلك لهم خلق تباين أخلاق الرجال وأخلاق النساء ويباينون الصبيان بأن الأخلاق فيهم أقوى حركة منها في الصبيان وعلى هذا ينبغي أن يجري الأمر في الأمور الطبيعية إن تدبير الطبيعة لابد أنهم ومزاج الآلات منهم ومقدار أعضائهم وكيموساتهم بمقدارها في الصبيان وإنما يخالف في مقدار الكمية فهذا ما نقوله فيه وأما من وقع الخصي به فيما بين سن الطفولة والإدراك فإنه يوجد فيه حسن الفتيان وحلاوة محاسنهم مع صفاء لونه ونقاءٍ من درنه، ويوجد قبل الخمس عشرة(١) سنة إلى خمس وعشرين سنة شيبه بمن له من الفتيان خمس عشر سنة ويوجد له أخلاق الفتيان وطيبة الأنفس إلا أن الحكم في الشعر حكم الذي تقدم وزيادة هذه الأموال فيه وقلتها بحسب قربه من الإدراك // [٦٢و] وبعده ويجب أن يجري الأمر في النفس النفسانية والحيوانية على هذه النسبة وكذلك في سائر ما تقدم القول فيه من حال خصي الطفل، فأما من خصي وقد أدرك فله حكم آخر وذلك أن جميع ما بينت من شعره يبقى على حاله مما هو على الطبيعة بالقصد وبالعرض ولا يحدث للخصي شيء من نبات الشعر البتة ويكون ما وجهه وحسنه وغضاضة قوته باقية عليه كأنه غلام أوقف في سن الغلامية عشر سنين وشهوة الجماع تكون فيه إما ناقصة وإما باطلة البتة وبحسب ما وقع بالأنثاوين من الجذب في مزاج وحده من القدرة على الجماع والعجز عنه بأن لهذا حكم ليس للأسف، وأما أعضاؤه أجمع فعلى مجراه الطبيعي وأما أحوال قوته وحال نفسه السياسية والحيوانية، فعلى المجرى الطبيعي الذي له بالطبع وليس يوجد في صوته صغر وإن وجد فخفي، وربما وجد كما يوجد

---

(١) في الأصل الخمسة عشر.

في صوت الأثط[١] من الرجال، وسنقول في ذلك قولاً مفرداً في باب على حدته إن شاء الله، وليس يجب أن تنظر في طبائع الخصيان من حيث أنهم[٢] سودان أو صقالبة لأن جميع من يخصى إنما هو من ساكني الإفراط ممن حصل منهم أن يكون حاراً بالحرارة الغريزية فهو بارد بالحرارة العرضية كالصقالبة ومن حصل منهم أن يكون بارداً بالحرارة الغريزية فهو حار بالحرارة العرضية فنحن نترك البطر في هذا الوجه وينظر فيه من حال كل واحد من الخصيان فإن هذا // [٦٢ط] أشبه بالأمر النافع في صناعة الطب وفي النظر الطبيعي وأرى أن قولي في هذا الباب إذا قرئ بما قيل في الباب الذي قبله فقد أخذ حقه وأنا قاطع ومقبل على ما يتصل إن شاء الله.

الباب التاسع

(في الخارجة عن المجرى الطبيعي في صورة التذكير والتأنيث لسوء مزاج الأنثاوين وضعفهما عن الفعل الطبيعي الذي يليق بالحال الفاضلة)

إذا زال مزاج الأنثاوين عن المجرى الطبيعي في الجبلة أو في سن الطفولة إلى البرودة والرطوبة حتى يضعف فيهما بحسب هذا المزاج عن مشاركة أحد الأعضاء الرئيسة الثلاثة أو أيبس منها أو يلبيها عرض من ذلك آفات كثيرة في الصورة التي تخص الذكر أو تخص الأنثى وفي اختلاف النفس الناطقة والحيوانية وفي فعل التناسل [...][٣] في واحد من هذه الأفعال الثلاثة أو في أيبس منها أو في جميعها فمن ذلك أنه متى غلب البرد والرطوبة على مزاج الأنثاوين من طفل وأضر ذلك بالقوة

---

(١) الأثط: الرجل القليل اللحية.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) فراغ في الأصل بمقدار كلمة ولا يوجد مثله في ب.

المتصلة منها بالنفس الطبيعية وأصلها لا غير لحق مزاج الخصي وصوره وكانت الأصلان الباقيان على حالهما في الفحول ولم يمسسها بسوء واعتاقت الخلقة عن استيفاء الصورة ومعلوم إن الذكر من الناس إذا نقص عن صورة الرجل لحق بصورة الخصي دون صورة الأنثى لأن التأنيث صورة تتبعث عن أعضاء التأنيث والخصي ليس له صورة غير عدم الفحولية لا غير وإذا كان كذا فمن كانت هذه حاله كان أثطَ لا لحية // [٦٣و] له ناعم الخد بادي الوجنتين صغير العنين مشرق الحاجبين سهل الخدين ضيق الجبهة صغير الوجه والرأس وربما كان غليظ الشفتين ولا ينبت على بدنه الشعر الذي عن الطبيعة بالقصد ولا الذي هو بمنزلة الكلأ ويوجد بدنه أزعر[١] لثق[٢] رخو الجلد أشبه شيء بأبدان الخصيان من الصقالبة وربما عرض لأطرافه ما يعرض لأطراف الخصيان من الميل والغدع وطول الأصابع وربما كان بِداداه[٣] مناسبين للسبب[٤] وربما العصب منه أطول بحسب يمكنه من هذه الثلاثة واستيلائها عليه والصوت منه صغير لا محالة لضيق صدره وآلات نفسه التي تقل مع ضيقها مادة الصوت ولضيق قصبة الرئ التي في صورة الصوت ويكون زيادة ذلك وقلته بحسب عرض هذا المزاج، ومنه[٥] من تفسد فيه أعضاء التناسل فلا يمني ولا يقدر على الجماع ولا تعظم فيه الأنثاوان والذكر، ويبقى على حاله في الصبا ومنهم من يوجد الشعر في عانته ويمنى ويولد له، ومنهم من لا يوجد له ذلك البتة لأنه لما حدثت البلية بأنثاوه صار حكمه حكم من خصي بالشدخ فإن من مدت خصيته ورخصت ورضت منه الأسباب المتصلة بها وهي أوعية المني والعروق والربط المعلقة بها والأنثاوان كان خصياً كما نرى ذلك في خصي الغنم والبقر وقد ذكر ذلك جالينوس

---

(١) الزعر: قلة الشعر وتفرقه. ينظر اللسان مادة (زعر).

(٢) لثق: لزق. المصدر نفسه مادة (لثق).

(٣) رجل أبد: متباعد اليدين عن الجنبين.

(٤) في الأصل للنسب.

(٥) في الأصل منه.

وقد يوجد في هذا الحيوان متى لم يستقص ذلك منه قوة ما على السفاد، وعلى طليته فتصور الأمر كذا في صاحب هذه الآفة مع بقاء أنثاويه مرة مع عدم قوة السفاد البتة، ومرة مع وجودها فإن كان مزاج الأنثاوين من المرأة قد مال إلى // [٦٣ط] مزاج الذكور بأن يسخن وييبس حتى يتجاوز ذلك فيمن هذه حاله من النساء فإنه في وقت الجبلة(١) أو في وقت الطفولة وجدت للمرأة اللحية والسبال(٢) وتكون زيادة ذلك وقلته بحسب العرض في هذا المزاج ويوجد لها عظم الصوت وجهورته وخيلاء الرجال وزهو الفتيان ويكون في سائر الأحوال الحلقة التي ذكرتها في باب مخالفة الرجل للمرأة ممتزجة من خلقه الذكر والأنثى من صورتهما أو ميله عن هذه الأخلاط إلى أحد الطرفين ميلاً ما وإن كانت هذه القوة من الأنثاوين إنما خالطت النفس الحيوانية دون النفس الناطقة والطبيعية وعنصريهما وجد في المرأة التأبير(٣) والغلظ والنجدة والبسالة والإقدام ومكابدة الأخطار(٤) وحب الغلبة والهضم، وبالجملة سائر ما يوجد من قوى النفس الحيوانية في الرجال ويكون زيادة هذا ونقصه بحسب استيلاء هذا المزاج، وإن كانت هذه القوة من الأنثاوين في المرأة قد خالطت النفس النفسانية وعنصرها دون النفس الحيوانية والطبيعية وعنصريهما وجد فيها الرأي والعقل والحكمة والتدبير والسياسة والحلم والعلم، وإيثار التقى والدين، وبالجملة كما يوجد ذلك في الرجال وزيادة هذا الأمر ونقصه بحسب التمكن بهذا المزاج ونقصانه ويجب أن يحتفظ بهذه الشريطة وهي أنه متى شركت الأنثاوان أصلاً من هذه الثلاثة الأصول أن الأصلين الآخرين على المجرى الطبيعي وكذلك إن كان هذا الفعل في أكثر من أصل واحد وإن اجتمع أن يكون هذه // [٦٤و] القوة قد شركت الأصول الثلاثة كانت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة في الصورة وقوة النفس الناطقة والنفس الحيوانية، وليس متعذر أن يفرع من

---

(١) الجبلة التكوين.

(٢) اختلف في السبلة أهي في الشارب أم اللحية. ينظر اللسان مادة سبل.

(٣) التأبير التلقيح.

(٤) في الأصل ومسايرة الأفراد وما أثبتناه من ب.

قولي وإن يستخرج منه علم ما أذكره بمشيئة الله ﷻ، وقد ينبغي أن أتم قولي في الرجل الأثط فأقول إنه إن كانت هذه الآفة من الأنثاوين قد لحقت في مشاركتها النفس الحيوانية فقط كان محبباً إلينا هيناً، يؤثر ما تؤثره النساء وكانت صورته صورة الرجال وعقله وتدبيره سالمان[1] وإن كانت هذه آلاته من الأنثاوين وقد لحقت في مشاركتها النفس الناطقة فقط كان أغر مفككاً رحيم الدل مؤثراً في أفعاله السياسية القبح، قليل التصور سمحاً بمروءته، هينة عليه نفسه غير مكرم لها يلتمس معاشه بعرضه ويتبع بكل من دينه ومروءته فإن كانت هذه الثلاثة لاحقة بأكثر من أصل واحد وجد لأمر بحسب ذلك وإن كانت لاحقة بالأصول الثلاثة كان الأمر أيضاً بحسب ذلك، ولهذا الأمر عرض عريض، وإنما تكون منه الأمور البسائط الجليلة فأما جزئيات هذه الأمور التي تحدث عن تراكيب هذه الأمور وكثيرة جداً وتمكن من قد أرشدته بقولي هذا الطريق ونبهته عليه أن يدرك جميع ما يروم إدراكه من هذا الأمر وأن تبحث بتعب عن علل أشياء ويستخرج أسبابها من أعاجيب ما يوجد في الخلق والأخلاق والأمر الخارج عن الطبع في الجماع إذا هو أنعم النظر فيما كتبت به وارتاض في الأبواب المعلقة وتفقد // [٦٤ط] معانيها إن كان ممن أسعده الله ﷻ بالذكاء وحسن التفقه إنما اتبعت قولي بما قلته، لئلا يتوهم متوهم أني ممن لم يستقصِ القول في المعنى ويضع مكان الإيجار التفريط.

الباب العاشر

(في الأمر الخارج عن المجرى الطبيعي في استعمال الجماع)

وقد ينبغي أن نتبع ما تقدم من القول في الحال الخارجة عن الطبع في شهوة الجماع واستعماله، فأقول إني قد بينت في الباب الذي ذكرت فيه المخالفة بين الرجل

(١) في الأصل سالم وما أثبتناه من ب.

والمرأة أن الجماع إنما يكون بحركة من النفس الناطقة ينبعث في العقبة التي في الإحليل تكون سبباً لانتصابه وذكاء حسه وبها توجد اللذة إذ كان الحس بالعصب ومن أجله وبحركة بين النفس الحيوانية تجري في الشريان الذي يرد الإحليل وآلات المني يسخن العضو فيعظم ويصلب، وبحركة من النفس الطبيعية تحركها إلى الشبق لكثرة المني في آلاته، فإذا جامع المجامع وتحرك تلك الحركة يسخن بالدلك [...][١] الكمرة[٢] وسخنت احترت بسخونتها المني ولم يدفق هو والروح الحيوانية في وقت يوجد التي تزريقا متقطعاً لأنه لم يتخذ هو والروح، وإنما هما انصبا إلى المجرى في ذلك الوقت وتحلل معها من جوهر الروح النفساني من العصبة مقدار ذو قدر فتجتمع هذه الثلاثة جواهر مع ثلاثة منها من المرأة في الرحم فيأخذ الرحم في تكون الحس منها إذ ذاك وبهذا السبب صار المني متى باشر الهواء فسد لتحلل هاتان النفسان منه فإذا كان ما قد قلته وقع الإقرار به فأنا مقبل على ما قصدت له من القول في هذا الباب // [٦٥و] فأقول إنه متى تحركت القوة الطبيعية فقط اهتش الإنسان للجماع ولم ينغط، فإذا علا وكد نفسه أنزل من غير أنغاط إنزالاً لا يكون منه ولد وهذا يسمى العنين إن كان هذا الأمر لأن ما له دائماً، وقد يعرض هذا لغير العنين متى كان بالطبع مزاج أنثييه[٣] سُخناً وشرب نبيذاً، وأكل طعاماً حاراً أو أخذ أدوية حارة أو لحقه في وقت الجماع خجل وحصر لأن النفس الحيوانية التي تنبعث في السريان والنفس التي تنبعث في العصب يلطفان فساعة ينبعثان ينتفشان لأنهما[٤] إذ ذاك يصيران بالبخار الدخاني أشبه منهما بالبخار الضبابي والأمر في العنين هذا بعينه ولذلك يشفون هؤلاء بالطعام البارد الغليظ النافخ المولد للرياح كالباقلاء والعدس والحمص ومن الأدوية والتدبير ما له هذه القوة وذلك أن مزاج الروح الحيواني المنبعث في

---

(١) فراغ في الأصل بمقدار كلمة وهو غير موجود في ب.

(٢) الكمرة: وهي الحشفة من العضو التناسلي الذكري.

(٣) في الأصل أنثاه وما أثبتناه من ب.

(٤) في الأصل لأنها وما أثبتناه من ب.

الشريان حار رطب هواء لطيف ومزاج النفس النفسانية بارد رطب ضبابي بالإضافة إلى الروح الحيواني فإذا حميا جميعاً انتفشا وإذا بردا جميعاً ورطباً، وكذا ولم يتحركا ولم يحدث الأنعاظ، وهذا هو لغيبته عن البرد والرطوبة ومداواته بمضادة هذه الحال، فإذا عرض[١] لمزاج الأنثاوين البرد والنفس والأصلان سليمان أنغط وتوتر والتذ ولم ينزل، وإن أنزل كان وتحاً[٢] غليظاً غير منجب وإن عرض لهما أيضاً الحر واليبس كان شبيهاً بهذه الحال إلا أن الأمر دونه في الثلاثة، فإن كان ما ينبعث من الروح النفساني غليظاً بارداً ضبابياً لا يتحلل بعد الإنزال ويبقى منغطاً والأصلان الآخران على // [٦٥ط] المجرى الطبيعي سمي ذلك انتصاب الذكر متى أفرط، ورأيت الأنعاظ بعد زوال الشبق ويعرض معه دغدغة وألم يوجع مع شهوة الجماع، وإن أشرف الوجع امتنع من الجماع وعظمت البلية واشتد الوجع بحسب كثرة الحس في هذا العضو وإن كان ما ينبعث من الروح الحيواني حاراً دخانياً يابساً (...)[٣] فش[٤] ذلك الروح النفساني ووجد للذكر عند الجماع امتلاء وسخونة شديدة من غير أنغاطٍ ووجد أيضاً من الإنسان حرص على الإنزال وشدة ألم من الشبق حتى يدلك به وهو زائد الحجم غير صلب فينزل فيستريح وإن غلب البرد واليبس على الأصول الثلاثة فذلك العقر والعقم ويتبع هذا صغر الإحليل وبفصله وصغر البيضتين وفتور في نفس الرجل وضعف غيره وخفوت صوت ولين جانب ونقصان في الأنفس الثلاثة فإن كانت الأصول الثلاثة سليمة، وما ينبعث منها سليماً والآلات الثلاثة فاسدة فذلك الداء الذي يسمى الأنبه ويزيده بزيادة الشهوة وحضور الآلة وإنما صار يعرض من هذا أن يؤتى لأن أوعية المني والشريان والعصبة تجاوز الوعاء المستقيم فإذا لم ينبعث ذلك عن البدن إلى خارج ممن منه المستقيم وعرضت فيه دغدغة ووجدت الشهوة من تلك

---

(١) في الأصل عرضت وما أثبتناه من ب.

(٢) الوتح: القلة والخسة.

(٣) في الأصل فراغ بمقدار كلمة وهو غير موجود في ب.

(٤) يقال فش المرأة يفشها نكحها.

الجهة وألم الشبق فاستسقى المبتلى بأن يؤتى، وأرى أن خالقنا جل وعلا إنما أبرز الأنثاوين والإحليل إلى خارج ليجوز بذلك الرجل من هذا الداء وجعل هذه كلها داخلة في الإناث وقبول الفعل من الرجال، وينبغي أن نعلم أنه ليس شيء من الإحليل فيه حاسية الجماع // [٦٦و] إلا لكمرة وإن باقية كسائر الجسد ومنفعته أن يوصل الكمرة إلى مكان بعيد من الهواء لئلا ينفش الروحان المنبعثان مع المني أو يفسد مزاجها، وأما حاسة الجماع فللكمرة فقط، ولذلك جعل الجوف فعلاً على الجسم الحامل لها وكأنها في خلقها عصبة قد قلبت من داخل إلى خارج، وهي كذا بالحقيقة فأما ما سواها من الإحليل فهو كالرمح الذي يوصل السنان إلى مكان الطبيعة[١] لا غير وكما إن الفعل للسنان في الجراحة كذا الفعل للكمرة، وإذا كانت الكمرة زكية الحس فالقوى التي تنبعث من الأصول الثلاثة ينبعث بسهولة إليها ولا يقصر عنها كان الأمر على المجرى الطبيعي، وإن كانت كدرة غليظة الحس لا يقبل من الأصول ما ينبعث إليها وفي ذلك في أصل الإحليل مجاوزاً للمستقيم كان ما ذكرنا من الشهوة المنكوسة وهي شهوة البغاء، فإن كانت الأصول الثلاثة على المجرى الطبيعي والكمرة ضعيفة القبول حتى يجتذب البعض ويبقى البعض لا تناهي مكانه، اشتهى المبتلى أن يأتي وأن يؤتي، فإن كان ما تقبله الكمرة أكثر مما يبقى مكانه مجاوزاً للمستقيم اشتهى أن يأتي وأن يؤتى وهذا يولد له والأول[٢] لا يولد له وإن كان ما ينبعث من هذه الأصول إلى الكمرة أقل مما يبقى اشتهى أن يؤتى ثم يأتي وهذا لا يكاد أن يولد له، وينبغي أن تعلم أن العضو الذي في المرأة المسمى رقبة الرحم هو مثل الإحليل كما قد عرف ذلك أبقراط وجالينوس إلا أن حاله حال العكس في الذكر وذلك أنه في الرجل بارز وفي الأنثى داخل وهو من الرجل يدخل في شيء وفي الأنثى أجوف // [٦٦ط] يدخل فيه شيء وحاسة الجماع في إحليل الذكر في آخره وطرفه، وفي الأنثى وهو المسمى

---

(١) في ب الطعنة.

(٢) ساقطة من متن الأصل وقد كتبت على الحاشية وهي موجودة في متن ب.

فم الرحم وهو أقصى الفرج والموضع الذي إذا زرق إحليل الرجل المني التقمه وأجبره إليه ذلك العضو وألقاه في الرحم وانطبق عليه، فإذا كان على الأمر الطبيعي اشتهت المرأة الرجل لأن ما ينبعث من الأصول الثلاثة بقدر ذلك العضو على قبوله، وإن كان غليظ الحاسة كدرها لا تقبل ما ينبعث إليه أنفش ذلك وسرى في رقبة الرحم حتى يجتمع البطن ويقبله ذلك الموضع الذي هو بمنزلة أصل إحليل الرجل وكثر فيه فيؤثر المرأة لذلك الألم من الشبق أن يجامع النساء والخصيان ويكره مجامعة الرجال ويسمى السحاقة فإن كان العضو المسمى[1] في الرحم تقبل ما ينبعث إليه يسيراً ويفوته كثيراً آثرت أن تساحق واشتهت الصبيان والمراهقين فإن وطئها الرجل لم تكد أن تحبل والأولى لا تحبل البتة، فإن ما تقبله فم الرحم كثيراً وما يفوته وينفش منه في رقبة الرحم ويبلغ إلى مركز البظر قليل آثرت الرجال وجامعت النساء وفيهن من تبرز فيها كما يبرز مني الرجل وهي الأولى، وهي التي لا تحبل، وإذا سخن مزاج الأنثاوين من الرجل سخونة خارجة عما عليه المعتدل بقدر كبير وكان ذلك هو ما ذكرته آنفاً إنما هو واقع إما في الحبلة أو في الطفولة والنمو وتكفت من هذا المزاج أن يؤثر في النفس النفسانية والحيوانية والطبيعية وأصولها كان ما يؤثره هذا ممن يجامع الفتيان فإن كان لم يبتعد بعداً كثيراً آثر الصبيان والخصيان والغلاميات من الفتيان، فإن كان قد تجاوز // [٦٧و] تجاوزاً البعد آثر من قد سلف ممن كان مع ذلك قوة النفس الحيوانية فيه مسلطة آثر الرجال المستكملين وكره النساء البتة، وأنا أضرب لك في ذلك مثالاً من الحيوان القريب من الاعتدال كالفرس والنعجة يأكلان الحب والحشيش، وما هو أحر منه من الحيوان وحركات نفوسه أقوى، يأكل اللحم الميت ولا تقتل كالكلاب من ذوات الأربع والطير والسابح[2] وما حرارته أقوى كثيراً ونفسه أشد حركة كثيراً يفترس ويأكل اللحم الحي ويحسو الدم والروح المختلطان، وكذا فافهم الأمر في

---

(١) أي الذي سبقت الإشارة إليه.

(٢) في ب والسايح.

شهوة الجماع لمزاج الأنثاوين مثل شهوة الغذاء عند خروج النفس الطبيعية في الحرارة عن المجرى الطبيعي جزءً بعد جزء وحتى يقف بذلك عند غاية لا توجد في الطبع زيادة عليها، وأنا قاطع قولي هاهنا[١] وإن كانت قد بقيت منه بقية وأنت قادر على استخراجها من قولي هذا ومخرجاً أموراً هي بالقوة إلى الفعل لأني عملته بحسب قوة فاضل من تلاميذي كثرت دراستي له وكثر تشككه علي وله قوة وقدرة على البحث والتفتيش وهو محمد بن ثواب المعروف بابن الثلاج[٢] تلميذي فإنه عارف بجميع الأماكن التي انتزعت هذه الأمور الخفية منها وإن هذا الباب لنافع في صناعة الطب وإن ذا اللب ليقدر أن ينتقي منه فيفهمه إن شاء الله.

الباب الحادي عشر

(في أمزجة ساكني مدنٍ وجبال // [٦٧ط] وبراري وبقاع من الأرض في المسكن المعتدل وما أطاف به بسبب أحوال الأماكن ووضعها من الأرض بسبب وضعها من الفلك)

إنه قد يعرض لأبدان الناس من العبل[٣] والقضف والبياض والسمرة وشدة الأجسام وضعفها والذكاء والغدامة وغير ذلك من الأحوال التي تحدث عن امتزاج الكيفيات الأربع ومعاندة المزاج العرضي للمزاج الطبيعي شبيهاً بما يحدث في الأمم التي تلي الإفراطات ويقرب منها متى سكنوا جبالاً شامخة ذوات أظلال ظليلة وشجر عالية ومياه باردة في الصيف سخنه في الشتاء، وربما كان منهم من ينتقل مع الزمان ويسكن بيوت الشعر ولكل واحد من هاتين حكم غير حكم من في المسكن المعتدل

---

(١) في ب في هذا.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن ثواب بن محمد المعروف بابن الثلاج. ينظر عيون الأبناء ٢٤٩/١.

(٣) في ب العثل.

وإن كانت هذه الجبال في الاعتدال وما جرى مجراه، ومتى سكن[١] الناس أيضاً براقم[٢] ليس من مساكن الريف والخصب وأكلوا فيه من النبت الذي تدبره الطبيعة فقط ومن الحيوان السائب الذي تدبره الطبيعة فقط ومن هؤلاء أيضاً من يثبت الزمان ويأوي بيوت المدر ومنهم من لا يثبت الزمان ويتحرك معه كما تتحرك الوحوش ويأوي بيوت الشعر، ولكل واحد من هؤلاء حكم غير حكم الطائفة الأخرى ومخالفة في المزاج لأهل الاعتدال لمعاندة المزاج العرضي للمزاج الطبيعي، (وقد يسكن قوم من الناس بطائح فيها منابت العشب والدغل فيأكلان من كل ما فيه)[٣] // [٦٨و] وحيوانات مما يأوي الماء والشطوط[٤] ويحدث ذلك فيهم مخالفة لمزاج أهل الاعتدال ويكون المزاج العرضي شديد المعاندة للمزاج الطبيعي وهؤلاء منهم من يأوي بيوت القصب والعرس ومنهم من يأوي المدن ولكل طائفة منها حكم غير حكم الأخرى وقد يسكن أيضاً قوم من الناس جزائر صغار في مياه عذبة أو مياه مالحة ويكون الماء مطيفاً بهم فيكون لكل طائفة حكم في المزاج المخالف مزاج الاعتدال وفي معاندة المزاج العرضي المزاج الطبيعي وقد سكن قوم جزائر البحر بعيدة الأقطار منها مدن وقرى ومزارع وأشجار وأظلال ومنها ذوات جبال ومنها مبسوطة كلها والحال في هؤلاء كما تقدم من الحال في غيرهم فهذه عشر طوائف من الناس في خمسة مساكن، وأنا ابتدئ بشرح مسكن مسكن، وحال طائفتين في كل مسكن من مساكن الجبال أن من سكن الجبال الشامخة ذوات الأظلال الظليلة، والمياه الباردة في الصيف والشجر الطوال وأوى بيوت المدر ومر عليه في مسكنه الأزمان الأربعة من السنة واغتذى بالألبان والأجبان وسائر الأنواع[٥] من اللبن ويخبز البر والشعير ويأكل[١] لحم الأراوي والوعول

---

(١) في الأصل سكنوا وما أثبتناه من ب.

(٢) الراقم: جانب الوادي. ينظر اللسان مادة (رقم).

(٣) العبارة في الأصل غير واضحة وجرى تصحيحها من ب.

(٤) في الأصل شطوط.

(٥) ساقطة من الأصل.

واليحامير وبقر الجبال والبقر الأهلية والمعز وكان أكله ذلك طرياً ومملوحاً وأكل سائر ما يصاد من الجبال واغتذى بفواكه الجبال والبلوط والبطم كالقوم الساكني الجبال الأخذ من أرمينة على كل مهب الشمال وحال أرمينة منها أو ما أطاف بها إلى تخوم الأهوار فإن مسكنهم بارد شديد البرد لخلوه وبعده عن السطح وبعد هذه المساكن // [٦٨ط] من الأبخرة المتصعدة من الأرض ولأن الشمس ليس لها عليها تمكن لأن شعاعها ينقطع بالجبال وأظلالها ولأنه لا يطول لبثه ولا خلالها أودية قعره ومياه جارية تتغير كيفية الهواء إلى البرد ومعلوم أنه إذا كان هذا حال المسكن كان كثير الثلوج قليل المطر لأن الجو منه شديد البرد واستقصاء القول في هذا من النظر في الآثار العلوية وإذا كان هذا حال المسكن كان أهله الأغلب عليه الشقرة وسواد الشعر وكثرتها وشدة الأبدان وعبلها بكثرة اللحم وكانت الجثث منهم عظيمة والأخلاق متسلطة فإن كانوا ممن يلبث الأزمان [...][٢] كالأرمن كان ذلك فيهم أظهر وكذا من يجري مجراهم من ساكني المدر وإن كانوا ممن يتحرك بين يدي الزمان كانوا أشبه بأهل الاعتدال وأصلب أبداناً كالأكراد ومن جرى مجراهم وهؤلاء كلهم حارين بالحرارة الطبيعية وليس واحد منهم بارداً بالحرارة العرضية لا يثبتون لزمان يعاند فيهم المزاج العرضي المزاج الطبيعي، ولهذا ما لا يرى فيهم الأزعر، والأزرق، ولا ذو الشعر الأصهب ولا ذو الجلد الشبيه بجلد الصقلي والتركي وإنما صار هذا هكذا لأن البرد ليس عن الفلك والأجرام السماوية[٣] دائماً هو عن أهوال الأرض عرضية، وينبغي أن نتذكر ما قلته في الباب السادس من هذه الجملة واليبس فيهم يغلب الرطوبة وفيمن يأوي بيوت الشعر أزيد منه فيمن يأوي المدن فيجتمع من أمورهم أنهم أحر وأيبس من ساكني الاعتدال بالحرارة

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) فراغ في الأصل وهو غير موجود في ب.

(٣) في الأصل المساوية وما أثبتناه من ب.

واليبس الطبيعيين وباردين ويابسين بالبرد واليبس العرضيين وما يجب من هذا فأنت قادر على استخراجه إن أنعمت النظر وجدت الفكر.

(القــول في ســاكني البــر) // [٦٩و]

ومن سكن براً قفراً وبعد عن الريف، وكان ذلك البر والحر واليبس أغلب عليه كالبر الآخذ من بلد البحرين إلى الشام وفيه المدينة والكوفة فإن جميع ساكنه يغلب على مزاجهم الحر واليبس ممن سكن المدر أو اشعر، والمزاج العرضي فيهم حار يابس فأبدانهم نحيفة صلبة وفيهم بأس تجده أكثر مما فيهم من القوة وشدة البطش، ولهم صبر على الضرب في البلاد والإقلال من الطعام والشراب ومن سكن بيوت الشعر كان ذلك منه أظهر ويغلب عليهم من الأخلاط المرار الأسود الحادث عن احتراق المرة الصفراء.

(القول في ساكني البطائح والأجام)

ساكنو البطائح والأجام يغلب على مزاجهم الحرارة والرطوبة متى كانت في بلد حار، كساكني بطائح واسط وأهل الحوامد والطفوف[1] وهذا المزاج لهم بالطبع والعرض وذلك أن هذا البلد قليل العرض هابط فقلة عرضه تسخنه بالطبع وهبوطه يسخنه بالبخار فليس له جبل ولا شجر عظيمة، فالشمس مطيفة عليه شديدة التمكن منه وماؤه راكد أو قريب من الراكد، فهو يحمي بالشمس ففيه نبات القصب، وكل هذا دال على الحر والرطوبة وهو بلد عفن لا محالة لاجتماع المزاج العرضي والطبيعي فيه على الحرارة والرطوبة والرياح فقليلة التمكن من الهبوب فيه لأن فيه أرمة من

---

(١) الطف: ما أشرف من أرض العرب على أرض العراق، وقيل ساحل البحر وقيل سفح الجبل. ينظر اللسان مادة (طف).

القصب والقصب مسك[1] ينحصر فيها الهواء أو يعفن لسخونة الشمس ورطوبة الماء وتخالط الهواء الرطوبة، فإذا تحرك ذلك الهواء إما من داخل قطع ذلك القصب وإما من أجل اختيار (مارتق)[2] وكثيرة ويابس فيه أو لريح عاصف // [٦٩ط] تعدت قوتها إلى حركته فيكون ذلك مهلكاً لأبدان ساكنيه ومحاورتهم وأكثر أكلهم من اللحمان السمك وما أوى الماء من الحيوان وألبان[3] الجواميس وهذا زائد في رطوبة أبدانهم وأكلهم التمر والدبس كثير ويشربون بنبيذ التمر والدبس وهما يحدثنا فيهم العفونة ومما أحمدته من تدبيرهم أكلهم خبز الأرز والسمك المملوح فإن خبز الأرز يمنع أبدانهم من العفونة بيبسه والمتحمل منهم يأكله بقشريه ومنهم من يقشره من قشر واحد وريحهم الجنوب فإذا ذهبت دامت عليهم وكانت عاصفاً وذلك لبعد مسلكها فإنه منكشف وأكثر بيوتهم قصب والقليل مدر والطاعون يعرض فيهم كثير ولهم منه مرض يسمونه [الرفيطا] وأسفارهم في الماء فهم لذلك مترفهون وفضول أبدانهم كثيرة.

(القول في ساكني الجزائر)

وساكنو المياه التي في الجزائر العذبة كعبدان بنواحي البصرة ويبس بنواحي مصر، ونظاير لهذا كثيرة مزاجهم الطبيعي بارد رطب، ومزاجهم العرضي إن كانوا ممن يسكن بلداً رطباً، وإن كانوا في بلد بارد رطب وللريح عليهم تمكن في الهبوب والدؤوب[4] والعصف[5] فهم أصلح من ساكني الأجام[6] والبطائح ومن كان ساكناً جزيرة في البحر كان حاراً بالحرارة الطبيعية والعرضية وكان أيبس مزاجاً من ساكني

---

(١) في الأصل قصب وما أثبتناه من ب والمراد والقصب حاجز ينحصر فيه الهواء.

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل وهي ساقطة من ب.

(٣) في ب والبر.

(٤) الدأب: السوق الشديد. ينظر اللسان مادة (دأب).

(٥) في الأصل في دووب وعصف.

(٦) الأجمة: الشجر الكثير الملتف. ينظر اللسان مادة (أجم).

الجزائر التي في الماء العذب والبطائح ويكون[١] الغالب على مزاجه المرة الصفراء ومن سكن البطائح والجزائر التي في الماء العذب غلب على // [٧٠و] بدنه البلغم ومن كان ساكناً جزيرة في البحر بعيدة الأقطار ذوات أنهار وأشجار وجبال فحكمه حكم من يترك بلد البحرين ومزاجه حار يابس وبدنه حار يابس وبدنه أشد وأصلب من سكان الجزائر الصغار.

الباب الثاني عشر
(في القول في ساكني العراق ومدنه الصغار)

العراق ابتداؤه من سر من رأى إلى جزيرة أسفل البصرة في البحر هذا طوله وعرضه من عقبة حلوان إلى قادسية الكوفة وهو بقعة مستوية مكشوفة لمهاب الرياح الأربع لا يفسد شيء (...)[٢] فضل هبوب (فيه وذلك أنها ربما هبت أربعة عشر يوماً، فأمزاج ساكنيه لها رطبة وأبدانهم رطبة وأخلاقهم ليس بالكريهة الشرسة وللشمال عليهم هبوب)[٣] قوي، وأحسب يكون به شدة البرد واليبس لأنها تمر على مياه عذبة وسحارى طين وسهلاه، وليست تمر على الجبال والصخور وإذا هبت الصبا[٤] عليهم هبت ناعمة معتدلة المزاج في صنفي التضاد دوام هبوبها، وإذا هبت عليهم الدبور[٥] أثارت عليهم السحاب ومرت على بر قلة فزالت عنها العفونة والخبث لجريها على أرض يابسة ولمخالطتها الهواء اليابس في البر وهو يابس ناشف فتصير به معتدلة وكذلك الجنوب متى هبت إليهم من بلد السودان أو من مواضع الطاعون فمرت على

---

(١) في الأصل وملون وما أثبتناه من ب.

(٢) فراغ في الأصل هو غير موجود في ب.

(٣) ساقطة من متن الأصل وقد كتبت على حاشيتها بينما في ب في متن الصفحة.

(٤) سحر الفلاة أطرافها وسحر الوادي أطرافه.

(٥) الصبا: ريح مهبها المستوي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار.

البحر فاختلطت بهوائه الراكد، وهو هواء بارد يابس زال خبثها وتهذبت وصلحت أو زال أكثر مما فيها، ويستسلم في هاتين الريحين أعني الجنوب والدبور سبيل شاسع ليست بالجيدة مرت على رصاص وطين حر متلفة للشمس مسافة بعيدة فصارت بعد المسافة من المياه الجيدة المرتضاة، وكذا فافهم الأمر في صلاح الشمال ومفارقتها اليبس وصلاح الصبا أيضاً إن الشمال يبتدي في الهبوب // [٧٠ط] من (سر من رأى) فتسير على دجلة وتامرا[١] والفرات وما يتشعب عن هذه والشمس تلقاها فتتهذب وتلطف وتجري على تصوب المسكن جرياً سهلاً عنيفة الهبوب لا يعوقها عائق ولذلك يراها أبداً إذا هبت، والنعيم والمطر بهذا المسكن أنها تعصر الغيم وتنثره فتنسكب بسلام ثم لا يلبث أن ينقطع ما يبقى منه حتى نراه يمور ويختلط بعضه ببعض وذلك أنها تهب على الغيم كأنها ما انصب من علو على ماء، أما ضعيف الجرية إذا وافق تغلبه واختلط به دفعه وأجراه معه، والبلد إذا انكشف شرقه وغربه كان مزاج نهاره مزاجاً واحداً ومزاج ليله واحداً، وإذا انكشفت رياحه لم توجد لهواه خلفاً إلا الخلف الذي يخص الفصل من السنة ومياه العراق فاضلة به وأما في مباديها فليست كذلك وله ثلاثة أنهار عظيمة منها تتفرع جميع أنهاره وهي تامرا ودجلة والفرات والأغذية فيه فأفضل مما توجد في غيره من الأرض، وإذا سلم الماء والهواء والغذاء وكانت مع سلامتها فاضلة كان ما يحدث عن هذه من الأجسام والأنفس فاضلة وكما أنه ليس تتولد في أرضه الضمور ولا تتولد بها المعادن المختلفة الكيفيات، ولا يوجد في صحاريه الجافية السمجة الوعرة كالفيل والكرك[٢] ونحوهما ولا في مياهه الحيوانات العظيمة الجثث كالسراطين البحرية والسلاحف والتمساح وما أشبه ولا يوجد في شجره الغادي كالساج والجوز والخلنج وما أشبه هذه من الشجر الموجود في مدن الإفراطات ولا في صحاريه المهاوي والمهالك والشوامخ والهوابط من الأماكن يحسن وضعه من

---

(١) أحد الأنهار التي كانت موجودة في أرض السواد.

(٢) وهو جنس طير عظام من الفصيلة الكركية وهو طويل الساق (Gruidps)

الفلك ومطاوعة المزاج العرضي الذي لم يكن مشابهاً للمزاج الطبيعي الذي يخص صورة المادة ويكون معاوناً له على تكميلها وتمام فضائلها // [٧١و] أبطل الصورة وافدها وأخرجها عن المجرى الطبيعي وزيادة ذلك ونقصانه بحسب المعاندة كذا فافهم الأمر في فضل نفوس ساكنيه وكيسهم وذكائهم ودقة نظرهم وبعد هممهم وفاضل حلومهم ودقيق علومهم وحسن سياستهم ونفاسة رياستهم ومحبتهم اللذات واستعمالهم النزهات[١] وشوقهم إلى التقدم في العلوم والفضائل وجميع العلوم وجميع الفضائل التي لغيرهم من الأدب المعلم هو لهم بالطبع وفضل أبدانهم في حسن المزاج والشكل بحسب أنفسهم وأخلاقهم بحسب نفوسهم، ولهم بالطبع المخالفة في الخير والشر متى خالفت أمزاجهم المزاج الفاضل وإنما صار هذا لهم أن الطبيعة يستوفي عملها ويبلغ في تحسين الصور واستيفاء حقوق الخلقة المبلغ الفاضل بمطاوعة المزاج العرضي للمزاج الطبيعي فتصنع ما تصنعه من داخل المادة لما ذكر ذلك جالينوس في المزاج الطبيعي والمزاج العرضي فتصنع ما تصنعه من خارج المادة كما ذكر ذلك جالينوس فإن عاند العرضي الطبيعي لم تستوفِ الطبيعة حقها من الصنعة بمنزلة مادة رديئة في يد صانع حاذق فإنه لو جهد نفسه واستفرغ وسعه لم يمكنه أن يكمل الصورة، فإذا كان المزاج العرضي معيناً صنعت الطبيعة ما تصنعه على أكثر ما في قوة المادة من الفضيلة، فتصور الأمور في ساكني المساكن التي هذه حالها كذا وهو أن الأولاد منهم أجمل من الآباء وأدق محاسناً وهذا هو العنق[٢] ومساكن الاعتدال إذا ولده فيه آباء كثير عددهم كان عنيقاً، وهذا معنى العنق في النسب أن يلده آباء كثير عددهم في مسكنه[٣] وينبغي أن نعلم أن هذا المسكن // [٧١ظ] إنما بعيد إحساساً بحسب الأنفس الفلسفية الحكمية المؤثرة للأدب والعلم والحكم وأجسامهم إما معتدلة أو قريبة من الاعتدال وإن اتفق للأنفس والأبدان عادات سوء من قبل المخرج لها من القوة إلى

---

(١) في الأصل الترمات وما أثبتناه من ب.

(٢) العنق: الشريف من الناس.

(٣) أي أنه متأصل في مكانه فقد ولد آباؤه في المكان نفسه.

الفعل ولذلك يوجد لساكنيه إذا سلموا من عادة السوء حسن الأعطاف والشمائل، والشكل والدل واللباقة، وهذه الأحوال وسائر الفضائل فإنما هي لمواتاة أعضاء البدن لما في القوة النفس منه وضد هذه الأشياء إنما توجد في الإنسان متى لم تكن أعضاء جسمه مناسبة طال نفسه كان السيئ المتعجب المضحك مثل القرد ليس هو سيئ غير أن له نفساً[1] تؤثر أن تحكي أفعال الناس، وآلات غير مطاوعة فتخرج مخرج التعجب، وكذا الأمر في سائر الحركات المضحكة فافهم ذلك إن شاء الله، ولأن العراق ليس هو مسكن واحد بل مساكن شتى كثيرة مختلفة الأحوال بالاختلافات الأرضية غير أن جميعه قد اشترك فيما ذكرنا (...)[2] وقد ينبغي أن يفصل القول فأقول: إن أهل سر من رأى ومن بينهما وبين بغداد ومن بغداد إلى واسط ومن الأنبار إلى الدسكرة[3] من أفضل مساكن العراق، وأهلها أفضل الفضل والرئاسة والتقدم في الحلوم والعلوم والترف والسياسات والتدبير والعمارات للأرض والمروءة والرأي والسلطان والسلطنة، وليسوا أصحاب بأس ونجدة وصبر على الحروب والأمور الشاقة والأعمال الشقية المتعبة، ومن جلب إلى العراق من أهل الإفراطات لاستعماله في الناس والشدة والنجدة وملاقاة الحروب وجد ذلك فيه أفضل ما كانت سنه عند جلبه أعلا وكل ما كانت سنه أصغر كان ذلك فيه أنقص فأما أولاد // [٧٢و] هؤلاء فغير الآباء بكل وجه وسبب؛ لأن قوة من ولد في هذا المسكن على الحلوم والعلوم ودقيق الصنائع ولطيف الأعمال أقوى منه على الناس والنجدة وملاقاة الحروب ولذلك كانت الفرس تسميه بلد الريف وتتفالت عليه فإذا سكنه الوارد منحه وقيفة وكان الوارد عليه أشد منه متى لم يدفع ملكه عن حوزة ملكه برأيه وسياسته وكثرة عدده وعدته ومن يجمعهم من العبيد من أهل الإفراطات وبتكثرهم للمحاربة عنه لم يمكنه أن يدفع ببأسه وشدته وغلظته وبأس من ولدته من ساحته من أجل أن الريف يتصرف بالترف،

---

(١) في الأصل هو شيء غير أن له نفس وما أثبتناه من ب.

(٢) فراغ في الأصل، وهو غير موجود في ب.

(٣) معنى الدسكرة وهي القصر الذي حوله بيوت وهي مدينة قديمة تقع في أقصى العراق.

والكفاية مقرونة بالعقل والوقار، والعقل والوقار مقرونان بالحكمة والحكمة مقرونة بحب الكرامة، ومن أحب الكرامة آثر السلامة، ومن وجد السلامة حصلت له الدنيا والآخرة والمدن التي تعمل الشدة والبأس والغلظة والنجدة هي مدن الإراطات وحيث تكون حركات النفوس مضطربة ثائرة والغضب قوي والأجسام شديدة قوية على الحروب وسائق الأعمال والنفوس الثائرة ذوات الإقدام والتهور وقد ذكرت من أحوال النفوس آنفاً ما أستغني عن إعادة ذكره، ومن واسط إلى البصرة ومدن البصرة ومن واسط إلى سورى[1] وأعمالها قد يغلب على هواه الرطوبة والحرارة ولذلك يعرض بها أمراض وبائية وحميات مماطلة تمكث سنة أو أكثر ويكثر بهم الغلظ في أجوافهم والمياه التي يشربونها[2] غليظة رديئة[3] وهي من ماء الفرات وإنما تفسد في بلدهم بقوة الحر ويتحلل الجزء اللطيف منها ويكتسب من // [٧٢ط] أرضهم عفونة ما، وهو بلد كثير المستنقعات والأجام وأهله يمخرون الصناع ويلبث الماء حتى يتولد فيه السمك الكبار فتكثر منه الأبخرة ويرطب هواهم، وإذا صاف زمانهم وهجر نهارهم عفن ذلك البخار فأحدث أمراضاً وبائية حارة رطبة وهو بلد كثير الرطب والتمر والفواكه، وأهله يأكلون السمك كثيراً وهو سمين جيد في هذا البلد وكل هذا يرطب ويعفن ولأن هذه الأحوال مباينة لما عليه المسكن الفاضل من مساكن العراق وقد يباين مزاج أهله لمن تقدم وصنعه ولكنها ليست ذات قدر يخرجون به عن الفضائل ويلحقون بأصحاب الرذائل بل قد يباينوهم في المقدار الذي ذكرت فقط وقد ذكرت حال أصحاب الحامد والبطائح في الباب الذي قبل هذا الباب وقد ينبغي أن أذكر الحال في مزاج أهل البصرة وأجعل لذلك حاداً وهو من بهراي الأسد وإلى المدار وما أطاف بذلك إلى البصرة وأنهارها إلى آخر العراق، فأقول إن مزاج هؤلاء وإن كان فاضلاً فقد يخالف مزاج بغداد، وما أطاف

---

(١) في الأصل وب سورا وما أثبتناه هو الصحيح قال ابن منظور: (وسُورى مثل بُشرى موضع بالعراق من أرض بابل). ينظر اللسان مادة (سور).

(٢) في الأصل يشربوها وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل ردية.

بها مخالفة ما وذلك أنه أحر منه لأنه أقل عرضاً والملوحة التي في مياههم هوا وهم أيبس فيلزم أن يكونوا قد تخلصوا من أوباء أهل سورا وموتاتها، وفواكههم كبيرة والرطب والتمر كثير عندهم وهم مدمنون أكله، وأكل السمك المالح وهذه المآكل تدفع بطباعهم وأبدانهم أخصب من أبدان أهل بغداد ويحدث الجرب فيهم كثيراً لأن الشمس بقلة عرضهم تجبر فضول أبدانهم وليس يحدث هذا إلا فيمن عفت أخلاطه منهم أو أبخر من مرض وهم أصحاب أفهام وأذهان وعلوم وحلوم وفضائل النفوس وافهم // [٧٣و] جميع ما قلته في تفريط أهل العراق فهو فيهم قد يرد إلى العراق أمراض وافدة من بلد السودان متى كانت الشتوة دافئة ندية يحدث به موتاً وسبب ذلك أن بلد السودان شامخ الجبال طويل الشجر قعر الأودية فيحدث من الهواء فيه صوامير[١] ويعفن، فإذا اشتدت به الهبوب[٢] من ذلك ومر ببلد أحدث أمراضاً وبائية طاعونية حارة رطبة، وإن تولد منها غيم ومطر في الصيف على قوم عفن أبدانهم وأسقط أعضاءهم وأماتهم، كما رأينا ذلك في بغداد سنة [...][٣] فإنه كانت تعرض حميات يتبعها ورم في الكعب، فإن تقرح وسقط من القدم لحم يخلص المبتلى، وإن لم يعرض ذلك مات وكانت توجد لجثثهم زيادة نتن ثم أحسسنا في الهواء بزفورة، وكان القمر في تلك السنة انكشف في برج الحوت فكان فيما ظهر من البلاء تصديق الحكم إن الثلاثة تحدث في الأقدام وبلغ الكر من الدقيق ألف دينار ومائتي دينار، فأكل الناس في ذلك خبز سائر البزور وكان في ذلك تصديق لقول المسألة أبقراط أنه إذا وقع الغلاء بقوم تبع ذلك موتان لأكلهم من البزور، وغيرها ما لم تجر العادة به في شدة وذلك أنه عرض في الناس أورام ثم تبع ذلك سقوط الأعضاء الوارمة وسقوط بعضها وكان ممن ابتلي بطريق الغلام فإن رجله ورمت ويبست حتى تقدمت بإخراجه من الغلمان وأفرد

---

(١) الصمر: النتن.

(٢) في الأصل الحبوب.

(٣) تركت غفلاً.

في دار على حدته ويرى وزوجه أحاسي[١] بنت عمر بن سحريا فإن يدها سقطت من الكتف وحالة أبي الفضل[٢] فإن عقدها ورم وتساقط لحمه وبرت على يد البارودي الطبيب، وقد أخذ القول // [٧٣ط] مني في هذه المقالة حقه لأني قصدت فيها الإيجاز واعتمدت على القوانين التي بنيت عليها الأمر فيها وجعلها سبباً للتصديق بما انتبه وطريقاً يدرك به علم ما لم أذكره وسلماً إلى الظفر به والقليل مع الفهم كاف والكنز مع ذوي الجهل مقصر والانتفاع بهذه المقالة وبما بعدها من هذا الكتاب في صناعة الطب ليس باليسير فإن حفظ الصحة على الأبدان إنما هو بإدراك علم مزاجها الذي يحضها ويدوم به بقاؤها والعلم بمعرفة المزاج المعاند العرضي وارتجاع الصحة إنما هو بمعرفة الميل عن الأمر الذي بالطبع ومعرفة السبب المميل له والخبرة بالتدبير الذي يرجع به الصحة وجميع هذه الأمور مأخوذة مستنبطة من هذا الكتاب ونظائره وهو أيضاً أبين العلوم الطبيعية المحسوسة، وما نجده منها لمن يبتدئ بالنظر في العلوم الطبيعية ولم أقل ما قلته تقريظاً لنفسي ولا إحماداً لها لكن تنبيهاً على منافعه وحظاً على قراءته مبتغياً من الله ﷻ المثوبة والقربة والحظوة وهو برحمته يوفقنا من الأعمال لما أصلح الشأن عاجلاً وآجلاً وأن يصلي على خيرته من خلقه محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين.

تمت المقالة الأولى من كتاب أبي جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث وفيها يذكر الحي المالك ويتلوا في أول الباب إن شاء الله المقالة الثانية وفيها يذكر الحي المملوك.

المقالـــة الثانيـــة



---

(١) في الأصل أحسا أي وما أثبتناه من ب.

(٢) هذه عدة أسماء لعدد من المرضى الذين أصيبوا بمرض الورم.

اللّه المستعان

المقالة الثانية من كتاب الحيوان

وفيها نذكر أحوال الحيوان المملوك

قال أحمد قد تقدم القول في المقالة الأولى في ذكر أحوال الحي المالك وينبغي أن أُتبعه بالقول[١] في ذكر أحوال الحي المملوك وهو الحيوان الذي يدبره العقل والطبيعة معاً ولا يجري في وجوده وبقائه وتوالده الطبيعة فقط كما يجري في وجود الظباء والحمر الوحشية واليحامير[٢] والأراوي[٣] وما أشبه ذلك من سائر الوحوش وفي بقائها وتولدها، وقد ذكرنا كيف ذلك في الجملة[٤] الأولى من هذا الكتاب فلنفهم من ثم فأما ما هاهنا فإنا نقسم جنس الحي المملوك من الحيوان على أنه قد عُلم معنى حي مملوك بحسب منافعه فإنّا إذا فعلنا ذلك بعد قسمته بحسب علته التمامية[٥] وهي التي من أجلها خلقه خالقنا سبحانه، وبسببها صيّره مملوكاً لنا معشرَ الأناسي وصيّر العقل مهيمناً عليه حتى تكون منافعنا منا ذاتية قريبة المتناول سهلة المرام مناً منه علينا وإحساناً إلينا ولم يجعل حالها في البعد عنا حال الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك وله الحمد على ما أولي حمداً نقتضي المزيد منه وتستليم النعمة وإياه نسأل أن يصلي على محمد وعلى آله عليه وعليهم السلام، وأن تُوصل[٦] النعمة علينا في الدنيا بنعيم الآخرة وأن يوفقنا.

---

(١) الفصيح أتبعه القول.

(٢) وهي جمع اليحمور ويسمى اليامور واسمه العلمي Cervus Capreolus وله قرون كقرون الأيل إلا أنها أصغر منها وفي الجري يكون أسرع من الأيل. انظر مباهج الفكر ٣/٢٤٠.

(٣) جمع أروية وهي أنثى الوعل. انظر اللسان مادة (روي) ومباهج الفكر ٣/٢٥٠.

(٤) يقصد في المقالة التي تحدث فيها عن الحي المالك (الانسان).

(٥) العلة التمامية أي العلة التي من أجلها خلقه الله سبحانه وتعالى ويقصد أيضاً علة كمال الأشياء.

(٦) في الأصل تصل والصحيح ما أثبتناه.

أقول أن هذا الجنس من الحيوان:-

منه ما يركب.

ومنه // [٥٧و] ما يؤكل.

ومنه ما يركب ويؤكل.

ومنه ما لا يركب ولا يؤكل إلا أنه يمتهن.

ومن أجل هذه المنافع الأربع ملكناه، ولتدبير العقل له وجب قرب مزاجه من مزاجنا وملاءمة[١] أخلاقه لأخلاقنا، وإنما الفرق بيننا[٢] وبينه أن العقل يدبرنا من ذاتنا، ومن داخل، وتدبيره من غير ذاته ومن خارج، فمن طبعه أن يساق إلى أن ندبره، وإذا دبرناه ففي طبعه أن يقبل الانتفاع بذلك التدبير وأن ينتمي وأن يزكوا عليه ألا ترى إنك لو أخذت حيواناً مملوكاً وحيواناً غير مالك ولا مملوك فدبرتها في عيشها لكان بينهما في الانتفاع في التدبيرين بُعد.

والمخالفة بين صورة الحيوان المملوك [...][٣] وصورنا صور بعضه لبعض هي[٤] بحسب مخالفة الأنفس التي كل جسم من أجسامها بحسب، وكذا الأمر، أيضاً في مخالفة الآلات فإن لكل نفس آلة يتم بها فعلها فالحيوان الذي يركب منه ما له نفس غضوبة معجبة وأرجل[٥] هوجاء طائرة تذعر وتنفر وهذه نفوس الخيل، ولذلك خلقت لها آلات الإحضار[٦] وآلات الخيلاء وهي العرف والناصية والذنب، ومنه ما له نفس محكمة شكسة صبورة تثور بالأثقال كأنفس البغال والحمير التي[٧] تحمل الأثقال

---

(١) في الأصل ملاومة والصحيح ما أثبتناه.

(٢) كررت كلمة بيننا في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) في الأصل هو وما أثبتناه هو الصحيح لأنه ضمير يعود على المخالفة.

(٥) في الأصل أرجلاً.

(٦) الإحْضار: ارتفاع الفرس في عدوه، اللسان (حضر).

(٧) في الأصل الذي والصحيح ما أثبتناه.

والحيوان الذي وكلت[1] له نفس نباتية تحركه نحو النمو والتغذي، وآلات لذلك فقط وهي بحسب ذلك وخلقة وأعضاء تصلح لأن يؤكل لا غير فإنه لو سأل سائل عن منفعة الإلية لأخبرناه بالمنفعة فيها لنا لا للكبش وكذا لو سألنا عن صدر الطائر وما يخلق عليه من اللحم الكبير لأخبرناه بمنفعة ذلك لنا، ولذلك // [٧٥ط] لم يخلق لها من الأنفس إلا ما ينتفع به في التوليد، والنحو والتغذي وكأنه حيوان مركب من النبات الذي يدبره العقل والطبيعة ومن جنس الحيوان المملوك ولهذا التركيب غرض، فما كان منه أكيس فهو أقرب إلى الحي كالمعز، وما كان منه عديم الكيس كان أقرب إلى النبات كالنعجة، وما يركب ويؤكل فله نفس كأنها على التمثيل مركبة من نفس الحيوان الذي يؤكل ومن نفس الحيوان الذي يحمل الأثقال وله آلات تجمع الأمرين جميعاً فإنا إذا سؤلنا عن أحْدِيداب[2] صلب الجمل قلنا ليحمل مقداراً أكثر، فإن الخشبة الحدباء تحمل على ذاتها أكثر مما يحمله نظيرها إذا كانت مقومة[3] والأرح[4] يحمل أكثر من المسطح، وإذا سؤلنا عن سنامة قلنا إنها شحمة مستطابة، أفلا ترى أنه قد اجتمع فيها أمران وهما أن تحمل وأن تؤكل، وكذلك الثور إذا سئلنا هي[5]: فعرز عنقه لم هو تحت كتفه دون سائر الحيوان قلنا: ليكون متهيئاً قابلاً لآلات الحرث، وإذا سئلنا عن السمين الذي يركب أعالي كتفيه المسمى سناماً قلنا: ليؤكل ففي هذين نفس كأنها على التمثيل مركبة من النعجة ونفس البغل ولذلك جمعت فيه آلتان آلة الأكل وآلة الحمل، فأما الحيوان الممتهن، وليس بمأكول ولا مركوب فهو الكلب والهر وما كان من الكلاب صبوراً فله نفس مُغْراة بالصيد والحرص عليه وإلا خذله، ففيه آلة الإحضار وآلة يأخذ بها الصيد وهو خفيف رشيق، وما كان منه كلب

---

(١) في الأصل وكل والصحيح ما أثبتناه.

(٢) أحديداب: تحدب.

(٣) مقومة: مستقيمة.

(٤) الأرح: الأروَح الذي تتدانى عقباه ويتباعد صدرا قدميه، اللسان (روح).

(٥) في الأصل هية.

حراسة فهو موثق غليظ له نفس حروسة وآلات يدفع بها الضيم عن نفسه وعن أصحابه واستغاثته إليهم بنبحه واستنصارهم فإن // [٧٦و] أغْرَوهُ استأسد، وإنْ كفوه كف فيظهر من فعله هذا أنه فعل ليس يريد نفسه وإنما يريد به أهله، وأما الهرة فلها نفس مغراة تقتل ما يدب في ناديهم، وهي تفترس ما في مساكنهم دون ما في ناديهم ولها نفس تألف البطش، وتحبهم[١] والناس يحبونها، ولذلك لها آلة الافتراس والوثوب والأخذ والإحضار، وقدرة على المشي على المواضع القليلة العرض، حتى لا يفوتها ما يهرب منها مما يؤذي الناس، ويد تأخذ بها ما في الحجر وتجبره إليها ولا تجبر، وغطيط[٢] تُبين به لأهليها التودد والتحبب وموقع الرفق منها، والشكر على المحبة.

وسنتكلم في كل واحد من أنواع هذا الحي عن الجهة التي ضمنها القول فيها إن شاء الله.

وكتابي هذا فهو من القول في الطبيعة، وفي الطب معاً ومن القول في ما بعد الطبيعة، لأني إذا تكلمت في نفس الإنسان فهو مما بعد الطبيعة، وإذا تكلمت في نفس الحيوان وإحساسه فهو من القول في الطبيعة، وإذا تكلمت في ما يُغْتذى به منها، وما يولده الاغتذاء بها فهو من القول في الطب، والقول في الطب فهو بالحدس والتقريب وإلا فمن يعلم أن لحم هذا الحيوان حار في الدرجة الأولى، كما يعلم أن كل مثلث فزواياه مساوية القائمتين، وأما إذا تكلمت في نفس الحيوان وأجسامها والمنافع التي من أجلها خلقت، فإنما آتي بمواضع قدرة خالقنا ﷻ ولطيف حكمته، وأرى أنه ما خلق شيئاً باطلاً ولا عبثاً سبحانه، وهو قول معلوم محصل علماً وتحصيلاً خاصاً كعلمنا أن النار حارة مسخنة محرقة // [٧٦ط] مجففة، والماء بارد رطب، والهواء حار رطب والأرض باردة يابسة، فإن العلم بهذه أنها كذا ليس بدون علمنا أن كل مثلث فزواياه الثلاث متساوية القائمتين، وإذا تكلمت في الأنفس وبقاء ما يبقى منها

---

(١) الضمير (هم) يعود على متأخر وهو (الناس).

(٢) الغطيط: الصوت، تقول: غطّ الفهد والنمر والحباري صَوّت. اللسان مادة غطط.

وتلف ما يتلف منها والتغالب والتغاير الموجودة في ذوي الأخلاق كما ذكرت ذلك في المقالة الأولى، فإنما كلامي على طريق والأخلق لقارئ كتابي هذا أن يترك هذا الأمر وهذه المنازل، ولا يحمل القول في ما بعد الطبيعة على القول في الطبيعة ولا القول في الطب على شيء من الوجهين الآخرين وليترك لكل[١] أمر منزلته وليفهم ما قلته ويستخرج من علم ما لم أمله، وهو قولي بالقوة، فإني لم أذكر كلها[٢] في كل باب، وإنما ذكرت ما يكون هادياً إلى إدراك جميع ما فيه بحسب الوسع والطاقة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على النبي الأمي عبده ورسوله وعلى آله الطيبين الأخيار الأذكياء الأبرار.

وهذه المقالة أربع جمل تشتمل الجملة الأولى في[٣] ما يركب من الحيوان فقط هذه الجملة بابان:-

أ. في طبائع الخيل.

ب. في القول في طبائع البغال والحمير.

الجملة الثانية في ما يؤكل من الحيوان فقط وفي اللبن والبيض وهي تسعة أبواب:-

أ. في القول في لحم الضأن.

ب. في القول في لحم المعز.

جـ. في القول في لحم الخنزير.

د. في القول في اللبن.

هـ. في القول في الدجاج.

و. في القول في الحمام الأهلي.

---

(١) الأصل كل أمر والصحيح ما أثبتناه.

(٢) جاءت هذه الكلمة في الأصل مكتوبة بين (كلها، كلما) ولكن سياق الكلام يقتضي ما أثبتناه.

(٣) كان عليه استعمال حرف الجر على لأن الفعل اشتمل يتعدى بـ(على) ويمكن تأويل ذلك على جواز استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض.

ز. **في القول في البط الأهلي.**

ح. **في القول في الكُلى والرئة والريش من ذي // [٧٧و] الريش وما يتصل بهذا، القول في المنافع لهذين العضوين[١]، والعلة في أن ذا الريش لا يبول.**

الجملة الثالثة في الحيوان الذي يركب ويؤكل معاً وهي بابان:-

أ. **في القول في الجمال.**

ب. **في القول في البقر.**

الجملة الرابعة في الحيوان الممتهن وليس بمأكول ولا مركوب وهي بابان:-

أ. **في القول في الهر.**

ب. **في القول في الكلب.**

(الجملــة الأولى)

مما يركب من الحيوان فقط

البـــاب الأول

(في طبائـــع الخيـــل)[٢]

قال أحمد: الخيل جنسان أحدهما العتيق[٣] وهو المسمى فرساً، والآخر برذوناً[٤] وكلاهما أحر مزاجاً[٥] من الإنسان، وأيبس إلا أن البرذون أبرد من العتيق وأرطب،

---

(١) يقصد الكُلى والرئة.

(٢) انظر صفاتها وأخلاقها وتوالدها، طباع الحيوان، أرسطو ص٦٥، ٣٠٠، ٣٨٣ ومباهج الفكر ص٢٧٠-٢٨٣.

(٣) العتيق: كريم الأصل.

(٤) البرذون: الهجين، ويطلق أيضاً على ما كان من غير نتاج العِراب. اللسان مادة (برذن).

(٥) في الأصل مزاج والصحيح ما أثبتناه.

ولذلك بدنه أعبل[١] وألثق[٢] وهو أغلظ كوارع وحوافر وحركته الطبيعية فيه والنفس الطبيعية أقوى من حركة النفس الحيوانية في ما يغتذي به جسمه أكثر مما يغتذي به النفس، وبهذه الأسباب يركب السمين جسمه، ويكثر الشحم في جوفه ويعتلف أكثر من العتيق وعَظْمه أغلظ من لحم العتيق وعظم العتيق أثقل منه وأصلب، وأجعل للعتيق مثالاً الغزال، والبرذون مثالاً من الشاة، والعتيق تغتذي نفسه الحيوانية بأكثر مما تغتذي به نفسه الطبيعية، فهو لذلك فائض النفس متسلط الخلق ذو خيلاء وعجب، مسرور بنفسه كما يسر الطاووس بنفسه، ولقربه // [٧٧ط] من الاعتدال الخالص هو أحسن ذوات الأربع صورة، وأفضل الحيوانات كلها وأشبهها بالإنسان ويوجد فيه ألف للناس ومحبة لصاحبه.

والبرذون فله قوة دمه، وهو أشبه شيء بخلق الثيران وليس بمصير الخلق كتَصَيّرِ خلق الفرس ويصير الخلق ضيق الاقضية التي بين أعضائه المتشابهة الأجزاء، ويكون جسمه ملء جلده، والرأس من العتيق أعظم من رأس البرذون، ومعلوم مما تقدم في المقالة الأولى أن عظم الرأس تابع لعظم الدماغ وإذا كانا كذلك فالأعضاء التي تنبت من الدماغ والنخاع[٣]، وقد علم أنه أحر وأيبس في جملة مزاجه من الإنسان ومن البرذون، ودماغه ونخاعه أحر وأيبس، وإذا كانا كذلك فأعصابه أسرع حركة من أعصاب الإنسان والبرذون، إلا أن البرذون أصلب عصباً من الإنسان، وإذا كان دماغه فاضلاً فنذكر ما في كتاب (الصناعة الصغيرة) وما قلناه في المقالة الأولى في كتابنا هذا، وأوجب من ذلك أن النفسانية والنفس الحيوانية فيه فاضلان، وأنهما أفضل من نفسه الطبيعية، والأمر في البرذون بالعكس، وهو أن نفسه الطبيعية، وآلات الغذاء فيه أفضل منها في العتيق ولأن لحم العتيق أحر وأيبس من

---

(١) العبل: الضخم من كل شيء.

(٢) اللَّثَق: البلل ويريد به الرطوبة.

(٣) أي كذلك.

لحم الإنسان، ولحم البرذون أصلب[1] وإذا كان قد تجتمع فيه صلابة العظم وصلابة العصب وصلابة اللحم، ويصيّر الخلق بمعلوم أنه صلب الجملة، حار يابس وإذا كان ذلك كذلك، كان خفيفاً على الأرض متململاً يخف على نفسه النفسانية رفع جسمه من الأرض وثقله عليها لأن علوه على الأرض أَعظم من امتداده عليها فلذلك صار يوصف بقصر الظهر ولأنه سارب[2] البطن صار يوصف بتعلق الورك لأن البطن إذا علا وصار كبطن الكلب السلوقي أو كبطن الجمل أو كبطن // [٧٨و] الغزال كانت الرجلان طويلتين وأمكنها أن ينحني بكلتيهما تحت البطن في الجري والطفر حتى يلحق الرجلان اليدين ولأن قطاته[3] عظيمة وهي ملزرة قد عرف عظمها فيها وليست كقطاة الثور بل هي أشبه شيء بقطاة الغزال، ولحم المسن كثير ممتد من القطاة إلى الحارك[4] يمكنه إذا حنى رجليه حتى يضعها حيث يقل عنه بدنه أن يدفع بهما الأرض وأن يمتد عليها حتى تأخر رجلاً عنه مسافة مثل المسافة التي تقدمت وأن يُقل نفسه بشدة قطاته ومتنه ومستقلاً من الأرض كاستقلال الطائر بجناحه فيكون مقدار خطوة الفرس في جرمه مثل طول رجله مرتين مرة إلى قدام ومرة إلى خلف ولقلة اللحم على ضلوعه، فحركة ضلوعه سريعة ولزيادة حرارة قلبه صدره عظيم الجوى[5] واسع القصبة، واللحم عليه قليل، والسمين[6] يقل فيه فهو خفيف عليه وقلبه يأخذ من التنفس حظه ولتَصيّر خلقه عند دقيق طويل صلب، وقوادمه طوال فهي تأخذ من الأرض زيادة على طول رجليه مرتين بمقدار طول عنقه مرة واحدة فأما لمَ صار طول عنقه

---

(١) في الأصل ولحم البرذون فلحمه أصلب.

(٢) سارب: ظاهر ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** ﴾(الرعد: من الآية١٠).

(٣) القطاة: العجز، وقيل مقعد الردف، وقيل ما بين الوركين.

(٤) الحارك: أعلى الكاهل، وقيل مثبت أدنى العرق إلى الظهر الذي يأخذ به الفارس إذا ركب.

(٥) الجوى: الجوف.

(٦) السمين: الشحم أو الدهون.

ولم يكن طول فهو إن الإنسان إذا استقل قائماً وليست الرجلان حملتاه بالحقيقة، وإنما النفس النفسانية التي في الدماغ المنبعثة في أعصابها شالته[1] بأعصابها رجليه وسائر أعضائه الاستقلال على الأرض وكأنه يتعلق برأسه فإذا حمل فوق رأسه وعلى كتفه مائة رطل مثلاً انبعث منها قوة أعظم من القوة الحاملة لسائر جسمه وجذبت سائر الأعصاب الأعضاء إليها فانجذبت جملة البدن من مركز العالم إلى محيطه وكلما زاد في الحِمْل زادت في الحَمل وأدب في العقل حتى إذا [...][2] عليها النقل وبلغت // [٧٨ط] إلى حد لا يمكنها معه أن تحدث إليها شيئاً آخر ولا أن يحفظ ما عليها انجذبت هي ذاهبة واهية نحو المركز، سقط الحامل وما حمل على الأرض كذا فافهم الأمر في الفرس أن في دماغه روح نفساني يفعل مثل ذلك الفعل ويقل الفرس من الأرض، وكما إن في نفس الإنسان مع القوة الحاملة قوة محركة حركة النقلة كذا فافهم في الفرس منها الحاملة، والقوة الحاملة في البرذون أقوى من القوة المحركة حركة النقلة، وكذلك البرذون أحمل من الفرس والفرس أسرع، وكذا أيضاً القوة الحاملة في البغل أقوى منها في البرذون، والمحركة في البرذون أقوى منها في البغل وكذا أيضاً القوة الحاملة في الحمار أقوى منها في البغل، لأن البغل أقرب إلى الفرس من الحمار وكأنه وسط بينهما.

وينبغي أن يكون قياسك في البغل متى كان ولد فرس إلى الفرس ومن كان ولد برذونة إلى البرذون، ولا نقس[3] ولد غير العتيق إلى العتيق ولا بغل من ولد الحمار الخليط بالبغل من ولد الحمار المريسي بل تكون إضافتك على صحة ومناسبة وينبغي أن يفهم أن الفرس ليس له قوة الحركة ليس في دماغه فقط بل في دماغه

(١) مأخوذة من (شلا) بمعنى أنقذ أو نجى راجع اللسان مادة (شلا).

(٢) بياض في الأصل.

(٣) في الأصل ولا نقيس والصحيح ما أثبتناه.

ونخاعه، سببه بما يفهمه في الورل[١] والوزع[٢] وأم جبين[٣] والقطا، وما أشبهها فإن القوة المحركة من جميع هذه في الدماغ والنخاع فهي لذلك تعدو بقوائمها كذوات الأربع وتنساب بنخاعها ولذلك ترى في ظهورها تلوٍ[٤] كتلوي الحية لأن قوتها في دماغها وسائر نخاعها واحد فهي إذا قطعت تحركت كل قطعة منها بالقوة التي فيها ولأن هذه القوة ممتدة فيها تنتقل من الأرض وتركبها ببطشها وتجري عليها جرياً فأما إنها تتعرج على الأرض فكذلك تتشدد منها كما يتشدد الماتح[٥] إذا أدلى دلواً والتلوي منها كالمشي من ذي // [٧٩و] القوائم كذا، فافهم إن في نخاع هذه الحيوانات مثل القوة التي في نخاع الأفعى، ولها في قوائمها قوائم الحيوان المشي[٦] فهي تنساب وتعدو معاً، فكذا فافهم الأمر في الفرس مثلاً بمثل أن دماغه ونخاعه تجدبانه فهو يعدو وينساب ولأجل هذه القوة صار العيان يدركه واقعاً لم يَعِه وهو مار على الأرض واضعاً لها وهو مار شبيه بالطائر الذي يقص جناحيه في الجو يصفه وهو مار مستقلاً من أجل هذا وصف الفرس بالجري ولم يوصف بالعدو، ووصف بأنه سابح، ووصف بأنه جواد ولم يوصف غيره مما يخص بهذه الأوصاف، واعلم أن هذه القوة من الإنسان في دماغه فقط دون سائر نخاعه وأعضائه، وجعل هذا هكذا لتكون هذه القوة كثيرة مجتمعة موفرة في بطون الدماغ ليستعمله في النخيل والفكر، والذكر، ويكون كثيراً وافراً بعداً فإذا أراد الإنسان تحريكه تحرك حركة الماء المحصور في سبب الرحا لأن المراد من الإنسان هو هذا الإحضار وحمل الأثقال لأنه قد خلق له الفرس

---

(١) الورل: من فصيلة الزواحف من رتبة العظايا يعيش في الرمال والصحارى اسمه العلمي Varao-nus.

(٢) الوزع: من نوع العظايا من فصيلة الزحافات.

(٣) أم جين: من العظايا اسمها العلمي Agame.

(٤) في الأصل تلوي والصحيح ما أثبتناه.

(٥) الماتح: المستقي من البئر.

(٦) يقصد الماشي.

يحضر به، والبرذون يحمله لقطع مسافته والحمار المريسي والبغل والحمار الجافي، والجمل يحمل أثقاله، وهذا أمر يخص به الإنسان دون سائر الحيوان، والدليل على ذلك الحس فإن الإنسان حين يفرق بين رأسه وبدنه لا يوجد لشيء منه حركة البتة(١) ولا أقل القليل من الوقت فأما سائر الحيوانات فإذا فرق بين النفوس منها والأبدان تحركت الأبدان واضطربت، قد خرجت(٢) عن المعنى الذي كنت متكلماً فيه خروجاً فيه نفع ليس باليسير، فأنا عائد إلى حيث قطعت، فأقول: إن اليدين تمتد بطول مقدار العنق فذلك لجذب الرأس // [٧٩ط] والعنق والصدر بأسره وانبعاث القوة التي في الدماغ إلى القوائم حتى يكون عنها الإحضار ومتى كان مزاج قلبه معتدلاً كان صبره وبقاؤه على الجري مناسباً لسرعته لأن ما يدخله من الهواء ومخرجه بمقدار الحاجة، ومتى كان قلبه أبرد كان صبره وبقاؤه على الجري أكمل من سرعته لأن ما يدخله من الهواء ويخرجه يفضل عن حاجته وتكون سرعته قليلة لضعف حركة نفسه الغضبية، وإن كان مزاج قلبه أحر من المزاج المعتدل في الخيل كان الأمر بالعكس فيجب على هذا أن يكون المقصر عن السرعة والصبر هو الذي يرقب مزاج قلبه في الحرارة مع عدم أكثر القوة الغضبية فيه كما ترى البراذين وما يشاكلها من معارف(٣) الخيل، وأما الواضح فهو المحمود في العتيق وليس بمحمود في البرذون والبغل والحمار، لأنه إذا كان في جميع القوائم أو في بعضها كانت القوائم لدنة الأعصاب والمفاصل وجملة القائمة بمقدار كمية البياض وانتشاره وإذا كانت كذلك كانت سريعة المواتاة عند الكف والبسط وإذا كانت مثل لون البدن أو أشبع منه كانت عاسية(٤) جاسية(٥) وكان فعلها بالقوة الحاملة أحمد، وأفضل من فعلها بالقوة المحركة حركة النقلة والجري وإذا كانت

---

(١) يقصد أن الإنسان إذا قطع رأسه لم يتحرك بدنه وذلك بخلاف الحيوانات.

(٢) تنبيه على استطراده.

(٣) أي ما يماثل الخيل من حيوانات الركوب.

(٤) حاسية: العاسي مثل العاتي وهو الجافي. اللسان مادة (عسا).

(٥) جاسية: من جسا وهي ضد لطف، ويأتي بمعنى صلب ويابس. السان مادة (جسا).

من بدنه يده مطلقة، فالأجود أن تكون اليد اليمنى لأن الجانب الأيمن من كل حيوان أخف من الجانب الأيسر وأشد لدونة ومواتاة، لأن منها ابتدأ التغذي، وهو بمنزلة قلوب النبات الغضة أو الحجارة من النخلة يكون الكبد فيه والجانب الأيسر أصلبُ أيبس لأنه شيء قد تم وفرغ // [٨٠و] كالسوق من النبات والجذع من النخلة يكون الروح الحيواني فيه، فإذا كانت اليد اليمنى غير بيضاء كانت أصلب منها وأشد لو كانت بيضاء، وإذا ابيضت اليسرى كانت أرطب منها وأبرد فيكون هذا سابق إلى الاعتدال، وأما إذا كان التحجل[١] في اليدين معاً، والرجلان مطلقتان دل على خفة قوائمه ولدونتها وسرعة نقلها وشدة انبساطها وامتدادها وأخذها من الأرض مقداراً أكثر، ودل أيضاً إطلاق رجليه على وثاقتها وشدة تمكنه إذا اعتمد عليها إلا أنه أقل جرياً منه لو كان محجل الأربع لما قدمنا ذكره، وإن كانت اليدان مطلقتين والرجلان محجلتين كان موثق اليدين ثقيل الحركة بها، وكانت رجلاه أخف حركة، ويوجد على الأكثر يلحق يديه في الجري وبخاصة إن كان [محسا] والمحجل فرد رجل[٢] لا أحمده البتة لأنه لا يكون متضايقاً في جريه كما يرى ذلك في مشيه الضبع فإنه يخيل للناظر إنه أعرج وليس بِعَرِجٍ، وإنما ذلك للدونة مفاصلها وزيادة الرطوبة في الجانب الأيمن على الأيسر منها وبالجملة إن الأرجل إذا دفع الأرض برجليه لم تكن الدفعة بكلتا الرجلين، واحدة لأن البيضاء فيها خضوع والمطلقة فيها خساة والسعل[٣] في الذنب يحدث فيه لدونة ويكثر لذلك حركته ويخف على الفرس فلا أكرهه إلاّ من هذه الجهة وأما الغرة فتدل على برد مزاج الدماغ ورطوبته متى كانت ممتدة على مكان الدماغ

---

(١) الجحل: هو الذي يرتفع البياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها مواضع الأحجال. اللسان مادة (حجل). وذكر ابن الأجدابي إن البياض إن كان بيديه دون رجليه فهو أرجل. انظر كفاية المتحفظ ص٥١-٥٢.

(٢) وهو (الأعصم) (وذلك مذموم، إلا أن يكون مع الرجل وضَح غيره فلا يذم). كفاية المتحفظ ص٥٢.

(٣) السعل: سعل سعلاً: نشط وأسعله الشيء أنشطه. اللسان مادة (سعل).

ممتدة إلى آخر الوجه ويدل على رطوبته، وإذا كان الدماغ بارداً رطباً من الفرس كان ساكناً وادعاً يوصف في الخيل بالعقل فإن مالت الغرة إلى أحد شقي الوجه دل على أن للدماغ // [٨٠ط] مزاجين متضادين وهذا مفهوم وإن مالت الغرة وأخذت إحدى العنين وصار الفرس أحبه وكان بصره بالعين التي أزرقت وأبيضت، محجرها ضعيفاً جداً لأن الروح الباصر يتوفر على العين التي نظرت في السواد وما ينبعث منه إلى العين الناظرة في البياض بنفش[١]، كما ترى ذلك فيمن سار في الثلج والنعيم أن عينه يسوء نظرها لإمساس الروح منها ولتفريق البياض من الثلج والهواء الأبصار تفريقاً عظيماً وتنسلخ وينفش الجلد من حواليها وتتكدر الحدقة منها ولا يكون إنسانها[٢] خالص الصورة التخطيطية لك فاحمد مجيبك، هذا وهو ينظر نفسك في كل واحدة من العينين وتقول الأمر في الصحة والسقم بحسب ما تشاهده من صفاء إنسان كل عين منها وخلوص الصورة التخطيطية لك، ولما كان هذا والرجلين مذمومين[٣] عند الناس بالطبع لعلو الدم إلى النظر بهما وحصولهما دابر في سوء، وبياض القولين والناصية مذموم يدل على ضعف مفصل الرأس، وميل مزاج مبتدأ الدماغ من أجل أنه يعقل به ويسحب فيه هذا المزاج فيسحب لذلك الغرة فإن ملأ بالغرة وجهه ونظر في بياض بكلتا عينيه لما[٤] قدمنا ذكره وإذا كان قد بان وصح عند الجمهور أن الوجه الأبيض كله، مزاجه غير مزاج الوجه غير الأبيض وكذلك العين وذلك أن الوجه لرطوبة مزاجه ولدونة جلده صارت الشمس تحرقه، كما تفعل في الأبلق متى كان بياضه بقفاً[٥] أن تحرقه ويقرح[٦] ذلك الموضع // [٨١و] ويصير به بعد أكبر أثر جرح وقرع لا

---

(١) نَفَش: وَسّع ومنه منتفش المنخرين أي واسع المنخرين. انظر اللسان مادة (نفش).

(٢) إنسان العين: وهي الصورة التي تظهر على حدقة العين.

(٣) أي إذا كانت غرته بهذا الشكل وعينه كما ذكر والرجلين مذمومتين.

(٤) أي فلما قدمنا ذكره.

(٥) البياض البقق أي البياض الخالص.

(٦) يقرح: أي تصيبه قرحة في ذلك الموضع.

ينبت شعر فيه وكما يرى في جلد الفرس الأبيض إذا كد من وجود لجلده كله أحمر رطباً لنقاء يكاد أن ينجذب الجلد منه مع القابض عليه، وإذا كان هذا هكذا فقد صح ما قلناه في الوضح(١) وبرهنا على حقيقة ما قلناه، وذكرناه، فاقض بما قلنا قضاء باتاً وسلمه تسليم يقين ووجوب بعد تسليمك تسليماً جدلياً، وينبغي أن أتمم القول فيه الآن فأقول إن الرجل(٢) مكروه لأنه يدل على سخافة ظهره وقبوله العقور والتسلخ والتنفش(٣) متى حمي عليه السرج ومتى انكشف لحر الصيف، وأحمد الأَنْبَط(٤) ما كان بياضه في مرافقه فإنه يدل على اعتدال مزاج كبده وميلها إلى البرودة وأكرهه إذا كان البياض على صدره لأنه يدل على برد قلبه فيكون الفرس لذلك بطيء النفس إلا أنه يكون نافعاً في الجري، والبلق(٥) الموجود في أشقر الفرس حتى يوجد فيه فقط سود متى كان محجلاً وترى لذلك في الحافر خطوطاً بيضاء وسوداء هو من شيات النفر وهو دليل على الشدة والبطء في الجري، يعظم المعُلّتين مع حدة العينين وصفائهما وإقبال كل واحدة منهما على الأخرى مع طموح منهما ونظر نحو السماء والأرض معاً ويقال لهذا حاد النظر وطامحه، وذلك لذكاء حاسة الإبصار فيه وسلامة الروح النفساني الباصر من الكدر ومن سوء المزاج وما لبل الأذن ورقتها وضيق ما بينهما مع انتصاب، منها دليل على صدق سمعهما وسعة منخريه مع امتداد أنفه ورقة بين الورقتين وقلة اضطرابهما يدل على سهولة النفس وسلامة حاسة الشم فيه وسعة فمه ورقة // [٨١ط] مشافره تدل على جودة أكله وقوة الشهوة فيه من أجل أن كل حيوان

---

(١) الوضح: هو الفرس محجل الرجل الواحدة مع وجود شية فيه.

(٢) عاد إلى الكلام على محجل الرجل الواحدة وهو الأعم، وهو المذموم من أنواع الفرس.

(٣) انتفاخ جلده وتوسعه.

(٤) في كتب اللغة الأنبط هو ما كان البياض على بطنه أو على جانبي بطنه. انظر كفاية المتحفظ ص٥١ اللسان مادة (نبط).

(٥) البلق: بياض وسواد الصحاح مادة (بلق) وكذلك اللسان.

أشدق[1] شره كثير الأكل [...][2] ونقاء أسنانه وعرضها وقلة طولها حتى لا يوجد لها انحناء تدل على صحة مزاجه وبقاء شبيته طرح سنتين في سنة واحدة يدل على سرعة الهرم فيه وفساد مادة أبويه التي عنها يكون، حسن صهيله وصفاء صوته وسهولة إخراجه يدل على سلامة آلات التنفس فيه، وسعة جبهته محمود فيه ودليل على طول عمره وقلة بطشه وشدة العتو فيه لشدته وهو من بيان اليبوس والمعزق هو دليل الباه وشدة الشبق [...] وسعة صدره مع ضيق ما بين يديه محمود في العتيق ومذموم في البرذون والبغل والحمار، وذلك أن الذي يجري يحتاج أن تنفرج رجلاه وأن تجتمع يداه بأن باجتماع يديه يلين عطفه ويسهل ليه وبانفتاح رجليه تتمكن نصبته على الأرض، عظم ضلوعه وكبر صدره يدل على عظم قلبه وكبر نفسه وصغر أحشائه وانهضامها يدل على خفته على الأرض وسرعة طفرته، خشونة ناصيته وعرفه وذنبه مع طولٍ وبها دليل على صلابة جسمه وحسن نقائه وصبره، فيذكره ما قلناه في المقالة الأولى في باب الشعر طول العنق مع غلظ أصله وانخراطه إلى حلقه، مفصل رأسه حتى يكون هناك دقيق العالي غليظ أسفل مع دقة من معرفته، ومزاهيه الفاضلة التي يمكنه معها أن يعدو منتصباً فيؤمن منه أن يكبوا في جريه ويسهل عليه معه إن اعترضه شيء في جريه أن يطفره فيسلم بطفرته // [٨٢و] وهذا عدو الظباء والسباع والفهود، ومتى لم يكن هذه حال عنقه ومد عنقه وعدا عدو الكلاب، وهذا العدو مغتفر في الإناث ومزذول في الذكور وإنما حسن نصبة عنقه من خيلائه وعجبه وإدلاله بنفسه ومد عنقه وإنما له ذلك من عدم هذه الحال وإذا كان عنقه قد ألقم حاركه وكتفه حتى كأن البدن قد ركب في تجويف في العنق، وأوثق كذا أو الظهر كله قد ركب في تجويف وأوثق ركبته لذلك عَليّ[3] العنق مُنتَصِبه كانتصاب السبع إذا وقف عالي

---

(١) أشدق: واسع جانبي الفم.

(٢) بياض في الأصل مقدار كلمة.

(٣) على تقدير فهو عَليّ العنق... وهو عالي الكفل....

الكفل ووجد الظهر بينها مطمئناً يحفظ السرج بغير لبب[١] ولا ثغر[٢] ولم يحتج في حفظه إلى غير الحزام وينفي أن يكون مغموس عظم الصلب وساه عليه عاليان حتى يرى سلسلة ظهر من عجب ذنبه إلى مسمه حداً ولحمتان تكتنفانه فإنه إذا ذاك يكون شديد المتن موثقه كمتن الظباء ولا أحب له قلة اللحم فإن عضله إذ ذاك يكون متخلخلاً فيكون خلقه ضعيفاً وقد وصف ما اخترته امرؤ القيس حيث يقول[٣]:

سليم الشظى[٤] عبل[٥] الشوى شنج النسا[٦]

له حجبات مشرفات على الفالِ

وقد قال جميع أهل اللغة أنه إنما وصفه بأنه شنج النسا لكبر لحمه وذلك إن نساه يقصر لاكتناز لحم فخذه ومتى قل لحمه طال نساه واضطربت فخذاه، وما سوى هذا مفهوم له وأكره الشحيم[٧]، وإنما يفرق بين الفرس الشحيم والفرس اللحيم[٨] بما أقوله إذا رأيته مع خصب // [٨٢ط] بدنه قد نزلت بطنه حتى ملأت حواليه وزادت على قدر ضلوعه ورفعت حزامه[٩] إلى قصه[١] فهو كثير الشحم إذا رُكب كَلّه زَخمُ

---

(١) اللبب: ما يشد على صدر الدابة، يكون للسرج فيمنعه من الاستئخار. اللسان مادة (لبب).

(٢) الثغر: السير الذي في مؤخر السرج.

(٣) البيت في الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى ص٩٠ وكذلك اللسان مادة (شظى).

(٤) الشظى: ما بين وظيفي اليدين وبين العصب وذلك لشدته وسرعته وقرب ايطليه من الأرض إذا جرى. الخيل ص٨٠.

(٥) عبل: الضخم من كل شيء.

(٦) شنج النسا: النسا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، شنج النسا: متقبضه وهو مدح له لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه. اللسان مادة (شنج، ومادة نسا).

(٧) الشحيم كثير الشحم.

(٨) اللحيم كثير اللحم.

(٩) المحزم: ما مس الأرض منه إذا ربض. الخيل ص٣١.

أحشائه ونقلها عن مكانها، وإذا رأيت الفرس مع حقب وألوان العتاق: الأدهم[٢] الحالك، والأدهم الأنضر[٣] والأشقر المرواني[٤] والأشقر الأصدي[٥] والكميت[٦] الأحمر، والكميت الأحوى[٧]، والأبرش[٨] وما سوى هذه الألوان.

والبراذين وهي الأبيض البقق والأشهب[٩] وما سوى هذه الألوان.

والراذين وهي الأبيض اليقق والأشهب[١٠] القرطاسي والأشهب الأحمر بسواد وهو الذي شعرة منه سوداء وشعرة بيضاء والأشهب الأحمر بحمرة وهو الصابي شعرة حمراء وشعرة سوداء وسمته العرب صُبابياً[١١] من الصباب وهو الخردل بالزبيب،

---

(١) القص: من الرهاية إلى منقطع أسفل الفهدتين. الخيل ص٣١ وفهدتا الفرس: اللحم الناتئ في صدره عن يمينه وشماله. اللسان مادة (فهد).

(٢) الأدهم: الأسود من الخيل والإبل ويريد بالحالك شدة السواد.

(٣) الأنضر: والنضرة وهي الحسن، ويراد بها خلاف الحالك.

(٤) الأشقر المرواني: نسبة إلى أحد خيول الخليفة مروان بن محمد من خلفاء بني أمية. انظر عمار القلوب ص٣٥٩، والأشقر من الدواب: الأحمر.

(٥) يريد به لون الصدى، والصدى هو التين المجفف الذي يعمل منه هيأة دوائره. انظر اللسان مادة (صدد).

(٦) الكميت: وهو الذي ليس بأشقر ولا أدهم. اللسان مادة (كمت).

(٧) الأحوى: ليس بشديد السواد وله أوصاف أخرى. انظر الخيل ص١٠٤-١٠٥.

(٨) البرش: في شعر الفرس، نكت صغار تخالف سائر لونه، وقيل البرش لمع بياض في لون الفرس. انظر اللسان مادة (برش).

(٩) في شعر الفرس، نكت صغار تخالف سائر لونه، وقيل البرش لمع بياض في لون الفرس. انظر اللسان مادة (برش).

(١٠) الشهب: لون بياض، يصدعه سواد في خلاله. انظر وصف ذلك في كتاب الخيل ص١٠٧-١٠٨.

(١١) لم أعثر في المراجع التي عدت إليها على هذه التسمية.

والأصغر والسوسي[١] مع صفرتهما بيض الأعراف والأذناب والسمند وهو الأصفر الأسود العرف ومن السمند أسود القوائم وهو فاضل، ومنه ما قوائمه بلون بدنه وجميع هذه الألوان إنما تكون فاضلة في البرذون إذا سلمت من الأوضاح، وألوان العتاق مرذولة في البراذين، وألوان البراذين مرذولة في العتاق، وأما الهجن فتحسن فيها الألوان لأنها تميل نحو الطرفين.

ومن صفة البرذون سعة جلده، وبفضل جسمه وقلة تعثره، وأن يكون امتداده على وجه الأرض أكثر من قامته وأن يكون محصراً بين بطنه عن حالبيه وأن زيد مؤخره على مقدمه وأن يكون أعجز ذا خوات[٢]، وأن يكون واسع[٣] الصدر بعيد ما بين اليدين تام العضد قصير الذراع قصير الرسغ لبنه، وفي العنق أن تكون الرسغ صلبة وفي العنق أن ينتصار صغار رجليه، وفي البرذون أن يكون لين رسغي // [٨٣و] الرجلين، فإنه إذ ذاك يكون أمضى لمشه وأقل لهره، وكلما قصرت قوائمه وطال ظهره غلظ جسمه اشتدت جبلته واجتمع وصلب لم يهتز فيضعف كما هي ذلك في الذراع والذراعين من الرمح ويراه في جميع الرمح وإذا كانت [...][٤] هيئة البرذون الحق بخلق الثيران مع أنه له بالطبع أن يمشي، وهي جعلت أعصابه أرطب من أعصاب الفرس وجعلت في الفرس أصلب للطفر والعدو وبهذا السبب صار العَنقَ[٥] في الخيل أكثر من المشي والمشي في البراذين أكثر من العنق ولو قِسْت عصب الثور بعصب الغزال لوجدت عصب الغزال أيبس من عصب الثور هكذا، فافهم الحال في عصب الفرس والبرذون وكلما كان مزاجه من الحيوان حاراً يابساً كان خفيف الجسم سريع الحركة وكلما هو بارد رطب فهو أثقل جسماً وأبطأ حركة، وما رأيته من

---

(١) نسبة إلى لون عرق السوس وهو صفرة رائقة.

(٢) الخوات: الصوت.

(٣) في الأصل واجع الصدر.

(٤) كلمة ساقطة.

(٥) العنق أدنى مشي للفرس. انظر كتاب الخيل ص١٢٥.

العتاق تمشي زهواً فاعلم أن ذلك لمشابهة مزاج عصبه مزاج البرذون، وما رأيته من البرذون آلة للمشي والسير وقطع المسافات للإنسان والفرس آلة الإحضار والعدو وإدراك المأمول، والهرب من المحذور ؟؟؟ واحد منهما نفس تليق بفعله وآلات مواتية لنفسه ورؤوس البراذين أصغر من رؤوس العتاق لبرد أدمغتها ورطوبتها والدماغ البارد يأخذ مكاناً أصغر والدماغ الحار يأخذ مكاناً أعظم، ورقبته أقصر من رقبة العتيق وهي مركوزة في بدنه وليس البدن مركوزاً فيها كالحال في العتيق وعظم البرذون ولحمه وشحمه وعروقه غير الضوارب أعظم // [٨٣ط] من عظم العتيق ولحمه وشحم عروقه الضوارب، فأما عصب العتيق ولحمه وشحمه وعروقه غير الضوارب، فهما أعظم منهما في البرذون والجلد من الفرس أيبس وأصلب منه في البرذون ولذلك شعر العتيق أصلب وأحسن، والحافر من العتيق أجود من البرذون كما ترى ذلك في مزاج الغزال وقرن الشاة إلا أنه لاختلاف مزاج جزئيات الأشخاص في الفرس والبرذون وقد يوجد حافر فرس خير من حافر برذون وحافر برذون خير من حافر فرس وليس كلامنا في هذا الكتاب في الأمراض، وإنما كلامنا في الفرس الفاضل المعتدل والبرذون الذي هذه حاله واليبس في الأيدي يدل على جودة مزاج العصب وبعده[1] من البرد والرطوبة، وخير اليبس ما حَسن، وخير شعر الأيدي ما بعد عن الوتر والحق بما حسن من الشعر فإن في هذا دليلاً على مزاج الجلد وصلابته، وآلات التوليد في صنفي الجيل ينبغي أن تكون لطيفة في الإناث والذكور، فإنها إذا كانت كذلك كانت أنجب عند السفاد وأزيد في ذكاء الأولاد وزيادة الأنفس، وذلك أن المادة الفاضلة من الروح الحيواني والنفساني والطبيعي إذا تعدت عن ونورها في الناطقة كان لجريها حدة ومبالغة وللتدفق فضل قوة زيد ونفوذ ما ينفذ في زمان قصير وكان المنيان كأنهما لم يفارقا الموضع الذي كانا فيه ولا فارقاً الوضع الذي حلاّ به، وإذا كانت الآلات أعظم من قدر المادة كان الأمر بالعكس ولهذا الأمر جزئيات إذا أنعم النظر ظفر بها،

---

(١) أي وبعد اليبس في الجودة البرد والرطوبة.

ولـيس يخفـى أن يؤكـل لهـم الخيـل وإن شـرب علـى جهـة الغـذاء، إلا أن كـل حيـوان أعضاؤه في مزاجها وأشكالها بحسب ما يليق // [٨٤و] بنفس ذلك الحيوان والخيل فليس لها نفس تعتل بأن يركب ولها من أفضل الغضب بمقدار ما يحتاج إليه الإنسان وينتفع به لا بحسب ما يصلح لنفسه وقد ذكرنا نفس الإنسان المعتدل فلنفهم هذا من ثَمّ، وبالجملة فالفرس وذاته آلة للإنسان وليس هو آلة لنفسه فأكل لحمه يحدث في النفس القناعة بالعبودية والرضا بالذل ويحدث أيضاً في الجسم المزاج السوداوي الشبيه بالسوداء المتوافرة من الصفراء ويكسب الغلظ والعجلة، والأتراك مدمنون أكل لحوم الخيل فتوجد فيهم العجلة والتهور إلا أن أمزاجهم باردة لبقة[١]، فلحوم الخيل تصلح أمزاجهم وتشد أبدانهم، ولحم الخيل عاسي[٢] والخلط المتولد عنه غليظ، ومتى حدث عنه أمراض عسر انقلاعها وهو يحدث الجذام والدمامل والقروح السوداوية والسرطان ونحو ذلك وبالجملة فإن الانتفاع لكل حيوان في الجهة التي خلق من أجله، ومن عدل به إلى غيرها[٣] فهو من رام أن يبصر بأذنه أو يسمع بعينه أو يمشي على يديه دون رجليه وما بقي مما لم نقله فليخرج علمه مما قلناه نقس عليه إن شاء الله ﷻ .

الباب الثاني
(في القول في طبائع البغال والحمير)

---

(١) لبق: ظَرُف.

(٢) العاسي: الجافي.

(٣) في كلامه هذا إشارة إلى أن من بدّل الغرض الذي وجدت الخيل من أجله وهو الركوب والحمل يكون حاله كحال من يريد أن يبصر بواسطة أذنه أو يسمع بواسطة عينه....

قد حكى جالينوس عن سلفه أنهم كانوا يسمون البغل شطر حمار في الموضع الذي ذكر فيه شطر الغِب[١] من كتابه في الحميات[٢] وقد ذكرت آنفاً طبيعة الخيل وأنا ذاكر طبيعة الحمير والبغال، والبغل مركب من الدابة والحمار.

فأقول إن الحمير أحر من الخيل وأشد بأساً وإنما يفضلها الخيل // [٨٤ط] بعظم الآلات فأما البغل فلما كان ممزوجاً منهما، صار منه صلابة الحمار وشدة بأسه وعظم آلات الخيل توجد لا محالة أشد من كل واحد منهما وأقوى على الحمل والعمل بحسب اجتماع الأمرين، والحمير حميران[٣]، فواحد كاسٍ[٤] عاسٍ ضليع مضطلع ناعب[٥] ما حمل عظيم الخلقة، والحمير جافي الآلات وهو ماتح منها في البلدان الباردة والمساكن الباردة، وآلاته الطبيعية والنفسانية عظيمة ونفسه الحيوانية وآلاتها ناقصة فهو لذلك حمول ثقيل الحركة عاسٍ جاسٍ بعيد الغضب يوجد فيه فتور وأناة[٦] وهذا يصلح للحمل لا غير، ويذكر القول في ساكني الإفراط الباردة[٧] وأحمل أمره عليه لا في قوة الغضب فإنها ليست له.

والآخر حمار لدن دمث نشيط غضوب أنوف نفسه الحيوانية أحر وأيبس من نفس الفرس يلتهب ويشتعل ويتحرك فيها حركة إفراط لا يمكنه ضبط شيء منها، وفيها ما يكاد عند حركة غضبه أن لا يحصل أمره كالحمير المسماة إسلافية فإن فارسه كلما جذب لجامه مع ثقل اللجام وشدته زاد غضبه وحرص على منازعة فارسه

(١) الغب: نوع من الحمى، أن تأخذ يوماً وتدع آخر. اللسان مادة (غبب).

(٢) نسخة منه في مكتبة الإسكوريال برقم ٧٩٣ ترجمة حنين بن إسحاق.

(٣) على نوعين.

(٤) ذكر صاحب مباهج الفكر إنه جاسٍ عاسٍ.

(٥) النعب نوع من السير.

(٦) في الأصل وانية.

(٧) هذه إحالة إلى موضوع سابق وهو القول في ساكني الإفراط الباردة.

وعرض له صفير ونخير[1] لشدة اضطراب نفسه في ذنبه، وشخص ببصره إلى السماء ولم يمكنه أن يدير عينيه وظهر الزبد في فيه وهذا لم يجرِ نهر، فهو ما نتج في البلد الحار وفي الإفراط الحار فتجتمع عليه حرارة مزاجه الطبيعي وحرارة مزاجه العرضي فيصير نفسه الحيوانية بمنزلة النار الموقدة التي لا يهدأ اضطرابها وحركتها ويبس جسمه ويجف ويحمي دماغه ويبس فتصلب، ويعرض له اضطراب في نفسه المدبرة له وطيش كما يرى ذلك فيمن مزاج دماغه حار يابس أن تتنوع[2] عيناه وتشد حركتهما ويقل قرارهما وتظهر في أخلاقه // [٨٥و] العجلة، وفي سائر ذلك البلد الحار دواءٍ ولما عليه أدمغة هذه الحمير أعضاؤها صلبة ولحومها ناشفة وأبدانها خفيفة، وبالجملة لما كانت النفس الحيوانية والنفسانية فيها أزيد من الأجسام وأيبسها الأجسام بهاتة المواتاة[3] ولذلك ألوان هذه سود رخصة وما قرب من اللون الأسود، ولا يعرف فيها الأشهب وأن صنفي الحمير أحر وأيبس من الخيل وهي أصلب، ولذلك حوافرها أصلب وأعضاؤها أشد وأوثق، ولقلة حصول أبدانها ليس ينحدر إلى قوائمها من المواد المحدثة للآفات ما ينحدر إلى قوائم الخيل ولذلك لا يكاد أن يوجد فيه الحرد[4] والنفخ والفتوق ونحو ذلك، وإن وجد ففي الفرط، بلى قد تعرض منها نفوس التذاكير منها في البغال، وفي البغال أكثر منها في الخيل وما كان ابن عُنْبُقة[5] وحمار مريسي[6] من البغال فالانتفاع به في السرج أكثر، وهذه كبغال مصر وما كان منها بين هوادة من الخيل وحمار مريسي كان أيضاً الانتفاع به في السرج أكثر، وهذه

---

(١) صوت يخرج من المنخر.

(٢) تنوع تنوعاً إذا تحرك.

(٣) بهذه الموافقة.

(٤) الحرد: أن ييبس عصب إحدى اليدين وهو في الأكثر يصيب الإبل.

(٥) العُنْبُقة: سيئ الخلق.

(٦) المريسي: نسبة إلى مُريس وهي من المناطق التابعة لقوص في مصر. انظر مباهج الفكر ٩٧/١.

حرة ليست بسيطة ولا خشنة لغلبة برد البراذين عليها، وما أعظم من هذه صلح[1] اللفتات، وما كان منها الحسن أما في البراذين والحمير كان الانتفاع بها[2] في الإكاف[3] وحمل الأثقال، وهذه كبغال أرمينية والروم وما أشبه ذلك، وليس أختار من البغال والحمير والخيل شيئاً مما ولد في الريف ومدن الاعتدال، لأن هذه المدن تعمل فضائل النفوس والدماثة، وهذه[4] مولد فيها الخبث وقلة الطاعة وهي مع ذلك عديمة الجَلَد والغلظةِ وشدة البأس والذي يراد من الخيل والبغال والحمير أن تكون ضليعة مضطلعة جَلدة ذات بأس لبنوا بالتكليف وأن تكون قليلة الخبث بعيدة[5]. كماله الحيوان الخبث والجف[6] ومعاضاة[7] الناس.

أعضاء التوليد من الحمار عظيمة لأنها خلقت // [٨٥ط] له حتى تولد نوعه وتولد الفرس التي هي أعظم منه وأقدر على زيادة الشهوة وكثرة مواد الجماع، حتى إنه يؤثر أن يُؤتى لفرط شهوته وقصور آلته عن الوفاء بذلك ونذكر ما قلناه في باب من يُبلى بهذا الداء في المقالة الأولى.

البغل لا ينسل لأنه حيوان متولد من حيوانين[8]، وأخلاق البغال رديئة مختلفة لكثرة التركيب فيها وميلها نحو أحد الأبوين وقد تكلمت في بسائط الطبائع، وأما المتركبة فقد رأيت يستخرج العلم بها من العلم بالبسائط مثل أن يكون حمار من حمارين أحدهما مريسي والآخر جاسٍ أو من كودنة وحمار مريسي، لا ينبغي أن

---

(١) في الأصل صلحت والصحيح ما أثبتناه لأنه يعود على وما عظم.

(٢) في الأصل به.

(٣) إكاف البغل: عمله.

(٤) في الأصل هذا.

(٥) في الأصل بعيد.

(٦) الجف اليبس والغلط.

(٧) من العض وهو سوء الخلق.

(٨) راجع عن مسألة عقم البغل كتاب كون الحيوان لأرسطو ص٨٩-٩٥ وعند الجاحظ: إن البغل ليس بعقيم. انظر الحيوان ١٠٣/١.

يؤكل لحم شيء من الحمر والبغال لما قدمنا ذكره في باب الخيل، فإن الثلاثة في هذين الحيوانين سر منها في الخيل لأنهما أغلظ مزاجاً وأعسر لحماً وأخبث أخلاقاً وأقنع بالذل، والإنسان فينبغي[١] أن يكون حرصه على إصلاح أخلاقه كحرصه على إصلاح جسمه وأكثر وما بقي في هذا الباب مما لم أذكره ما استخراجه سهل على ذي اللب من هذا الباب والباب الذي قبله وأنا قاطع قولي ومقبل على ما يتصل به إن شاء الله.

(الجملـة الثـانيـة)

في ما يؤكل من الحيوان فقط وفي اللبن والبيض

البـــاب الأول

في القـــول في الضـــأن

الحيوان الذي يؤكل من الحيوان المملوك: هو الذي طبيعته أقرب الطبائع إلى مزاج النبات الذي يغتذي به الناس، وتدبره الطبيعة والعقل وليس له نفس تعنى بغير الاغتذاء والتناسل، ولا في قوة نفسه شيء من الأخلاق، ولا له نفس تحمل الأثقال ولا غضوبة تنتقم، ولا نفس تريد الإحضار، وإنما هي متوسطة بين الحيوان الذي يركب وبين النبات الذي يدبره العقل والطبيعية جعل[٢] غذاء للإنسان // [٨٦و] وخلقت له نفس تسلك المسلك الذي به يكون غذاء، وهذا هو العناية بنحو هذه الأجسام المأكولة وأشخاصها وبقاء أنواعها بالتناسل، وهي من ذوات الأربع الضأن والمعز والخنزير ومن ذوات الجناح الدجاج والبط والحمام الذي يأوي البيوت وينهض ويطير لا غير

---

(١) أي وأما الإنسان فينبغي.

(٢) أي ولهذا جُعل غذاء للإنسان.

هذا مما جرت عادتنا[١] بأكله وهاأنا أبدأ من القول في هذا الباب بالقول في الضأن وأفرد كل نوع مما تقدم باباً إن شاء الله.

فأقول في هذا الباب: إن الضأن المغتذى بلحمه صنوف بحسب أسنانه ولكل واحد حكم فأولها الخروف الرضيع، ثم الذي فطم من لبن أمه وحصل على الاغتذاء بالنبات فقط، ثم من بعد ذلك الجذع ثم الثني ثم الرباع[٢]، إما فحل[٣] وإما خصي وللإناث حكم غير الذكور، فتكون الذكور ستة وهي إما إناث وإما ذكور فيكون اثنا عشر، والخصي فإنما يغتذى به في الثني والرباع فنحن متكلمون في الاثني[٤] عشر نوعاً ومفردون لكل واحد منهما فصلاً، ومبدون من ذلك القول في الرضيع، ثم نتبعه بسن سن، بعد أن نعلم أن قولي هذا إنما هو في هذه اللحوم وقد سلقت بماء قُراح أو سويت بنار محمودة الوقود إلا ما قد خلط بالتوابل والطيوب فإن لكل واحد من ذلك نظر مفرد من طبيعته هذا اللحم، ومما قد صنع به حتى يكون الحكم على لحم منها مستوي غير الحكم على ذلك اللحم بعينه (سكباج)[٥] والحكم على السكباج من هذا اللحم بعينه غيره على الحكم (الإسفيذباج)[٦] وكذا الأمر في (الزيرباج)[٧] والمطجن[٨]

---

(١) يريد العادة الإنسانية عامة، وإلا فأكل الخنزير ليس من عادة المسلمين العرب والمسلمين كافة، كما إن الساميين استقذروا أكله. انظر Lectures on the Religion of the Semithes, P٢١٨.

(٢) هناك اختلاف بين العلماء حول مراحل حياة الضأن. انظر اللسان مادة (جذع).

(٣) أي فهو إما فحل وإما خصي....

(٤) في الأصل في الاثنا وهو خطأ.

(٥) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل. انظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٩٢.

(٦) الأسفيذباج: طعام من اللحم المعروق بالإلية مع الحمص والبصل والكسفرة والكمون ومستحلب اللوز. انظر الطبيخ ص٣١.

(٧) الزيرباج: طعام يصنع من اللحم والكمون والخل. انظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٨٢.

(٨) الطاجن: وهو المقلي وقد اختلف في أصلها بين الفارسية واليونانية والسريانية والأرامية. انظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١١١، المعرب ص٢٢١ الهامش (٢).

وسائر أصناف الطبخ، وأنا مقدم قبل ذلك قولاً عظيم المنفعة وهو أن الجانب الأيمن من كل الحيوان أرطب وألذ من الجانب الأيسر لأنه المكان // [٨٦ط] الذي فيه ينبوع الغذاء وهو الكبد ومنه يتبدى جهة التغذي فهو مثل الجمارة من النخلة ينمي النخلة التي منها ينمى النخلة ويتولد منها التمر والسعف والليف، والجانب الأيسر مثل شيء قديم، وفرغ لمكان ينبوع الحياة التي فيه وأُخطِر ببالك حال القلب وبطينه الأيمن والأيسر والأيمن مملوء من دم الكبد ومزاجه كمزاجه والأيسر مملوء من الروح ومادته، فمزاجه كمزاجه وأيضاً فكل مقدم من الحيوان أخف من المؤخر وحد المقدم من جنب الحمار وحصل بين البطن الأعلى والأسفل وذلك لأن الضرر مكان القلب والروح الحيواني فلأنه دليم[١] الحركة بالتنفس والعنق أحمد ما في المقدم لكثرة رياضه، وإن جوهر اللحم فيه قريب من اللحم الصرف وهو قليل الاختلاط بالليف والعروق والأغشية، وبعد العنق لحم الكتف، والذراع، وبعد لحم الكتف المتن، وبعد ذلك ما ركب الضلع والسمين فسمين غليظ هش والقطاة[٢] بعد المتن، والفخدان أرذل اللحم لقُبولهما نهوة[٣] الأخلاط، وتذكّر ما قلناه عند ذكرنا السودان في كبر أردافهم، فإنك تقضي منه تجنب الفخذ، والخصي والأيدي تجري عندي مجرى اللحم الرخو وسائر الغدد وما يتولد عنها من الكيموس مذموم، ويجب أن تعنى بتنقية اللحم من الأعصاب والعروق والأغشية والربط عناية بالغة، فإن ذلك متى طبخ مع لحم غيّر جوهره، لا قولي[٤] في اللحم والسمين المخالط له والعظام لا أكره طبخها مع اللحم لأن منها صلد صلب هو بمنزلة الحساء في القدر يقبل الحرارة من النار، وينضج اللحم والمرق، ولذلك يحب الناس ما قرب من العظام أقوى نضجاً وأرخص من غيره، أو بمنزلة جوهر القدر الذي يقبل من النار الحرارة وينضج القدر بها، ولا ينحل منها في الطبخ

---

(١) دليم: شديد.

(٢) القطاة: العجز.

(٣) يراد به نهاية الأخلاط، وذكر صاحب اللسان نهوته ونهيته بمعنى واحد. انظر مادة (نهي).

(٤) أي ولا يشمل قولي اللحم المختلط بالسمين.

شيء ومنها هش فيه المخ وما انحل من المخ كان مستلذاً مستطاباً // [٨٧و] وأنا مبتدئ الآن آخذ في ما ضمنت القول فيه.

(القول في الخروف الرضيع)

ليس ينبغي أن يكون القول في شيء من اللحم مفرداً عن صفة، لأن الناس لا يعتدون به إلا مصنوعاً البتة فأما من تكلم فيه مفرداً عن صفته فقد أطال عناء القارئ إن كان مبتدئاً، وأتعب العالم إن كان مقتبساً، أقول: إن الخروف الرضيع إذا شوي بالنار المحمودة الوقود غذا بدن الإنسان المعتدل المزاج، وزاد في مادته وإنما من غير أن يسخنه أو يبرده أو يرطبه أو ييبسه، ونار جوهر أسها بجوهره، وذلك أن لحمه قبل الصنعة أرطب من مزاج الإنسان وليس بينهما [ ][1] كثير خلف فإذا شوي اجترت النار تلك الرطوبة وأسالتها عنه وأنضجت ما لم تسله وجعلته في اعتدال من الرطوبة واليبس كما يفعل بعصارات الفواكه متى طبخت فإنها تعيد الذي لم ينضج النيء، وعند ذلك تقدر الطبيعة أن تعمل منه دماً، فيه من جميع الأركان ما يليق بالدم المعتدل الذي يصلح الأبدان أهل الرأي، ومستعملي الأفكار، إلا أنه مع هذه لا يصلح للمحاربة وأهل الأعمال الشاقة في شدة الأبدان وقوة البطش وحرارة الجنان، وإن صنع (إسفندباج) ببصل وأبزار رطب وكمون وعود دارصيني رطب البدن المعتدل، ولم يحركه في الكتفين، فإن ثرد فيها جيد خبز البر، وأكل اللحم بذلك الثريد كان أزيد إلا أن هذا الترطيب يرطب بلدونة ولطافة وليس يرطب بلزوجة ولبق، بل يرطب شبه ترطيب، لطيف الشراب يلين المزاج وإن صنع منه (زيرباج) صفراء كان مع أنه لا ينقص في النفع عن المشوي، ينفع ويصلح البدن المعتدل في تقوية المعدة والعون على الهضم وتهذيب الكيموسات والأخلاط // [٨٧ط] وهذه الصنعة عرض في أن تجعل مرة أو حلوة أو معتدلة أو بغير زعفران وينبغي أن يكون [...][2] لطيفاً نفعاً، وسكرها كذلك وما فيها من التوابل بمقدار لا يظهر طعم شيء منه فإن صنع مقلواً[3] بزيت بعد السلق، شد بدن المعتدل وقلل رطوبته وإن قلي بعد سلقه بالماء بدسمه أو

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

(٣) أي مقلياً كلاهما صحيح.

بدهن لوز كان معتدلاً في الترطيب وتوابله بعد القلي بمثله مثلاً بحسب التوابل فإنه ليس حكم الطباهج[١] المسمى ملوكية وفيها من التوابل الحارة والترمس[٢] العفن حكم الطباهج المعمولة بالمري فقط ودهن لوز واحد، وقد شرطت على نفسي قبل أني أقول في هذا اللحم على أنه مشوي أو سليق بنار محمودة الوقود وقد ذكرت الحال فيه مشوياً وسليقاً ويبهت علي متبله بذكري (الزيرباج) والمقلي وسبيل ما لم يشد من هذا اللحم أن يصلق صلقة ويهراق ماؤه ثم يطبخ بماء وطيوب، هذا القول على أنه مسلوخ الجلد فيما يطبخ دون ما يشوى، فإن كان سميطاً[٣] أو طبخ فهو يرطب ترطيباً ذا قدر وينبغي أن يؤكل برغوة الخردل وبالصناب، وأكره ثريده إلا فيمن يريد أن يسمن بدنه، أو من هو نحيف فإني أرى أن يأكل ثريده، ولا يخلط لحمه بشيء من الخردل ونحوه وإن كان قد سمط وطبخ مقطعاً مسله[٤] في السلقة الأولى إن نفس[٥] الجلد عنه ثم نصب عليه ويتبع بالطيوب فإن لم يفعل به ذلك فالحكم فيه مثل الحكم في المسموط الذي لم يقطع وما حررت منه كان أحمد من المشوي ليحلل ما يتحلل منه وملابسه جرمة الهواء وعملت منه برداً ومشوياً أو حررت كان أخف من جميع ما تقدم وأسرع هضماً، واحتمل أكله أن يستكثر منه وما قيل عن هذه الوجوه من الصنعة // [٨٨و] يستولي على مزاجه كان الحكم لها دونه وكان هو بمنزلة الهيولى[٦] تحكمنّ على شيء منه لشيء مما يحكم به على الخروف فافهم ذلك.

---

(١) طعام من بيض وبصل ولحم. انظر الألفاظ الفارسية المعربة ص١١١.

(٢) الترمس: نبات له حب مفرطح مضلع محزز له نقرة في الوسط مر الطعم يؤكل بعد المعالجة في الماء. انظر الألفاظ الفارسية المعربة ص٣٥.

(٣) السميط: هو المنظف بالماء الحار من الصوف أو الشعر.

(٤) السليل: لحم المتن.

(٥) النفس: لها معان متعددة منها الشعر، ودبغ الجلد.

(٦) الهيولى: يقال هيولى لكل شي من شأنه أن يقبل كمالاً ما وأمراً ليس فيه. انظر الحدود لابن سينا ص٢٤٥.

(القول في الخروف الفطيم)

إذا فطم الخروف من أمه وحصل على الاغتذاء كان لحمه أغذى من لحم الرضيع وأقل رطوبة وكان يسخن بدن الإنسان المعتدل ويرطبه، لأن بدن الإنسان واسطة بين التضاد، وكل ما هو من جنسه خارج عن الاعتدال إلا أن بعض ما عن جنسه إليه من بعض مما قرب منه كان أسرع انفعالاً وما بعد كان أبطأ انفعالاً، وكما إن الرضيع من أولاد الضأن بمنزلة الطفل من أولاد الناس كذلك العظيم من أولاد الضأن بمنزلة الغلام قبل بلوغه، ولو نزلنا أنه اغتذى بغذاء شابهه بكل وجه وسبب حتى يكون ذلك مثلاً لجسم إنسان في سنة ومزاجه ذكراً لذكر وأنثى لأنثى لما حفظ ذلك حياته، ولكان سبباً مؤدياً إلى هلاكه لأن حرارة الإنسان التي هو بها حي تفسد أبدانها للتحلل ومباشرة الهواء المحيط بها، وإنما يحفظ بقاء هاتين[١] بمدها بمادة تولد حرارة أقوى منها حتى يكون مقدار ما يفسده الهواء المحيط منها[٢] بمقدار ما يمدها به[٣] وهذا لا يكون في مادة هي الأولى بعينها، لأن المتولد عن تلك المادة كان يفسد كيفيته البتة، وهذا معنى حفظ الشكل بالشكل لأن الشكل كَيْف[٤] والحرارة كَيْف إلا أن هذه المادة التي تحفظ حرارة الإنسان ليس إنما يقع حراً قاتلاً، إنما ينبغي أن يكون بحسب السن والبلد والزمان، حتى يكون إدراك مقاومة لما يتحلل ومخلفة مكانه أن يولد سخونة مكان ما تأدت من السخونة بالبرد ولولا هذا // [٨٨ط] بعينة ما قال جالينوس في (حيلة البرء)[٥]: إن من ترك أكل الثوم في بلد بارد أضر بنفسه

---

(١) في الأصل هاتان.

(٢) الضمير: يعود إلى الأبدان.

(٣) الضمير: يعود إلى الهواء.

(٤) الكيف: إحدى المقولات العشر وهي من مقولات العرض مثل الألوان والهيئات وغيرهما.

(٥) وهو أحد كتب جالينوس نقله إلى العربية حبيش الأعسم توجد منه نسخة في الإسكوريال برقم (٧٩٨) ويمثل المقالة الرابعة في المخطوط.

أرأيت لو كان إنساناً اغتذى في بلد بارد في شتاء بغذاء مزاجه مزاج جسمه أليس كنت تحكم بأنه قاتل نفسه، وإنْ تغذى جهله حتى لا يغيره هواه بالنار لثقل إمكانيته في تبريد جسمه، أليس كان قد استعمل القتل لنفسه وكذا الحكم في الجسم المعتدل في البلد الحار والزمن الحار هل يجربه أن يغتذي بما يشابهه بكل وجه وسبب، وكان محتاجاً إلى غذاء يبرد جسمه تبريداً بإزاء ما اكتسبه من الأمر العرضي(١)، كذا فافهم الحال في كل الأغذية أننا إنما نغتذي منها مما يخلف مكان الحار والبارد، والبارد والرطب واليابس إلى هذه الكيفيات وتارة زائدة عليه إذا أردنا خصب البدن، وتارة منقصاً له إذا أردنا تهزيله وتقليله هذه فيه، وتارة تغذوه بما ينمي به الكيفية فقط دون الجوهر، واعلم أنا إذا قلنا غذاءً حاراً أو لحماً(٢) حاراً، ونحن نتدرج في هذا القول في الإنسان المعتدل فإنما يعني أنه يحدث عنه في البدن جسم حار(٣) بالفعل كيفيته تبعد عن كيفية(٤) الاعتدال بمقدار درجة مثلاً وإلا فهل يقدر ذو فطنة سوية أن يقول إن للأفريون(٥) فضلاً عن غيره، وهو حار بالقوة أحر من بدن الإنسان وهو حار بالفعل، إلا على هذا الوجه، وإلا كان بمنزلة من يقول إن الحر دل أحر من النار وقد اجتمع مما قلنا وقدمنا أن جميع ما تغتذي به أبداننا ليس ينبغي أن يكون سببها بها بكل وجهٍ وسبب؛ لأن الهواء المحيط بها ليس هو سببها بها بكل وجه وسبب ولا جواهرها فيه واثقة حافظة لنفسها بكل وجه وسبب، وكل هذا قدمته لتعلم أن الذي تغتذي به أبداننا أشياء أعتبرها بغيرها القوة // [٨٩و] الطبيعية إلى أن تغيرها أجسامنا، وأحمدها ما سهل انتقالها وقلّ كدّ الطبيعة وآلات الطبيعة في تغيرها، ونذكر السمع والسيرة التي

---

(١) يقصد ما اكتسبه من الجو المحيط به.

(٢) في الأصل لحم.

(٣) في الأصل جسماً حاراً.

(٤) الكلام ملخص عن حيلة البرء. انظر ٨-١٢.

(٥) الأفرة: الحر وزعم أدي شير أنها فارسية وأنها توافق اللفظة إنكليزية أو جرمانية أو أرمينية والذي نراه إنها عربية وقد وردت في لغة العرب. انظر اللسان مادة (أفر).

قالها جالينوس من أنه مع تأثيرها في السمع تأثيراً ظاهراً، وقد يؤثر السمع فيها تأثيراً خفياً يجتمع فيه على طول الزمان ما ينزله قدراً، وكذا حكم المعدة والكبد والعروق والأعضاء مع أنها قد تؤثر في الأغذية ويحيلها ويفعل فيها قدر ينفعل على طول الزمان حتى يُفسد منها كما أفسدتها فتميز الأغذية ما كان أقلها نكاية في آلات الغذاء، وهو السريع الذي يتشبه بالأعضاء في أقرب مدة فإن الغذاء مادام بالقوة ولم يتم ويفرع فهو مفسد للعضو حتى يتم منه الهضم ويفسد(١) بالعضو فعند ذلك ينتفع به العضو وإذ قد قدمت ما وجب أن أقدمه فأنا راجع إلى قولي في لحم الخروف مشوياً أسخنه في أول درجة صغيرة وهي واحدة من اثنا عشرة وكان ترطيبه قريباً من النصف منها، وإن أكله سليقاً أعني (إسفيندباجاً) بيضاء هي القدم ذكرها أسخنه في أول درجة صغيرة ورطبة في أول درجة ثانية صغيرة وكان في نهاية الموافقة لمادة الروح الحيواني التي في البطين الأيسر من القلب والسر بيّن، واعلم أن اللحم اللطيف مصنوع صنعة لطيفة، والشراب اللطيف بالمزاج(٢) من الماء المحمود يغذو الروح الحيواني والقلب أكثر مما يغذو الأعضاء والروح الطبيعي، واللحم الغليظ والشراب الغليظ يغذو الأعضاء والنفس الطبيعية [...](٣) والقلب والروح الحيواني، ومعلوم أنه ماعدا الروح الحيواني غذاء الروح النفساني لأنه يستمد من الحيواني وقد // [٨٩ط] بينا كيف هذا في المقالة الأولى من كتابنا هذا وإن صنع شيء من الطيوب كان النظر فيه وفيهما نظراً مستأنفاً(٤) فإنه ليس حكم هذا اللحم متى طبخ بإسفاناخ(٥) هو

(١) يقصد بالفساد التحلل الذي يفيد العضو منه مثل تحول الغذاء إلى طاقة حرارية أو حركية.

(٢) أي الممزوج بالماء.

(٣) كلمة مضروب عليها.

(٤) أي أنه غير مُسلّم به.

(٥) الإسفاناخ: نبات معروف وهو مُعرّب ومن خواصه أنه فيه قوة جالية غسالة ينفع الصدر والظهر وهو ملين. انظر تاج العروس (سفنخ).

متى طبخ بعدس[١] غير مقشور وإن في هذا الحيوان في هذا السن غذاء للأبدان المترفة غاية الترف التي ذكرنا أن الرضيع من أولاد الضأن موافق لها وهم الذين رياضتهم في حركات النفس الناطقة أكثر من رياضتهم للأجسام بالأعمال[٢]، وبين أبدان المحاربة وذوي البأس والنجدة وهؤلاء كالتجار والكتاب والجهابذة، ونحوهم ممن لم يلحق في هذه الحال بطبقة المترفين، فأما من ألحقته حاله بأولئك فهم منهم، والأنثى أبرد من مزاج الذكر وأرطب لأنها في هذه السن ليس الفرق بينهما له قدر بيّن وينبغي لمدبري الصحة أن يميلوا طبع هذا اللحم بصنوف الطيوب، وأن يختاروا أنثى على ذكر وذكراً على أنثى بحسب خروج الأبدان المخالفة للمزاج المعتدل فإن أرسطوطاليس يقول: إن حروف المعجم التي يؤلف منها الشعر الذي يمدح به هي بعينها الحروف التي يؤلف منها الشعر الذي يهجا به، كذا هذا اللحم تميل رطوبته إلى النفع والضرر وأما الذي نخصه في نفسه فسرعة الهضم وسهولة الانفعال، وإن الانتقاء منه في البدن بقية رديئة لا يقوى البدن على تغيرها فيتولد منه بلية وأنه يغذو النفس الحيوانية والطبيعية والناطقة وينمي به جوهر النفس والجسم ويحفظ معاً، كل ذلك بسهولة وأنه يسخنه ويرطبه على طريق أنه ينقله إلى حرارة ورطوبة غريبة قلت أو كثرت فتفهّم قولي هذا وعيه فإنه هو القول بالاغتذاء بهذا اللحم على الحقيقة وليس قولي هذا تبجحاً[٣] وإعجاباً وإنه تنبيه. وَلَدَي.

(القول في لحم الجذع من أولاد الضأن)

إن لحم الرضيع من أولاد الضأن سببه وطبيعة لبن الضأن // [٩٠و] وكأنه شيء وسط بين اللبن واللحم، لم يبلغ أن يكون لحماً على الكمال، وقد فارق اللبن إلى

---

(١) أي أن الحكم مختلف في الحالتين.

(٢) يقصد بها مجموع الأعمال التي تحتاج إلى جهد فكري بخلاف الأعمال التي تحتاج إلى جهد عضلي.

(٣) التبجح: الفخر والإعجاب.

ما هو أحمد منه كالحال في الطلعة[١] التي فارقت مزاج الجماد مفارقة ما إلى حال أحمد منها ولم يبلغ أن يكون بلحاً[٢] ولذاذة الجماد فيها ومنفعة البلح كذا الأمر في لحم الرضيع لذاذة اللبن الحليب فيه ومنفعة اللحم، وأما الفطيم فلحمه كمادة اللحم الذي قد تم وفرغ وهو بمنزلة الجمار[٣] وقلوب النبات ألذ كثيراً من القضبان ولحم الجذع من أولاد الضأن هو الذي قد شارف الكمال والتمام وتحرك فيه حركة ذات عَرض ما ولم يبلغ النصف من العرض وما بعد عن اللذة والفضاضة وسهولة الهضم بُعداً ذا قدر وقد خالط الكمال مخالطة ما فهو يغذو أعضاء البدن والأنفس الثلاث غذاءً واحداً ولا يبقى منه بقية بعجز البدن عن هضمها، وإنما أقول في الشيء إنه لا يبقى فيه بقية بعجز البدن عن هضمها في كل شيء هو ألطف من مزاج الإنسان فاجعل هذا لك أصلاً مما كان أغلظ من بدن الإنسان فنفسه في بدن الإنسان بحسب بعده في غلظ جوهره عن جوهر الإنسان، أيرى أحد ضر بالنار أنها تبقي من دهن التلبسان والنفط الأسود بقية كما يبقى من الخشب أو يبقى من خشب الصنوبر والدفران ما تبقيه من شجر الجوز والبلوط؟ هذا بعينه تفهمه عني في ما يغتذي به الإنسان من لحوم الحيوان والنبات، أن بينها أسباباً لا تكاد أن[٤] تبقى لها بقية وإن بقيت فيسيرة منها أسباب بقاياها أكثر مما يحظى به البدن منها كالعدس واللوبيا والبلوط والجوز ومن اللحوم كلحم الجاموس وفتيان الإبل والتيوس ونحو ذلك، ومنه بين بين وما كان من الأغذية لطيفاً كان غذاؤه للروح الحيواني كثيراً والنفس الطبيعية والأعضاء قليلاً، وما كان من الأغذية غليظاً كان // [٩٠ط] غذاؤه الروح الحيواني قليلاً والروح الطبيعي والأعضاء كثيراً وكان كده لآلات الغذاء كذا شديداً، وأذاها أذاً

---

(١) الطلع: أول التمر.

(٢) البلح: وهو إحدى مراحل نضج التمر (الطلع، البلح، البسر، الرطب، التمر).

(٣) الجمار: وهو شحم النخل يكون أبيض اللون وله طعم حلو وهو معروف في البلاد التي يوجد فيها النخيل.

(٤) الصحيح عدم دخول أن.

كثيراً وما كان بين ذلك كان الأمر بحسبه، وهذا قانون ينبغي أن نجعله لك أبداً في جميع الأغذية، ولحم الجذع أحر من لحم الفطيم وأيبس، وكأنه في إسخان بدن الإنسان في نصف الدرجة الأولى من الدرج الصغار [١] أو أكثر قليلاً، وفي الترطيب في أولها إن أكله مشوياً ويكون معتدلاً في اليبس والرطوبة، فإن أكله سليقاً رطّبه لا محالة في نصف الدرجة الأولى أو بين النصف وأولها، وهذا غذاء محمود لمن يعمل الأعمال غير الشاقة وللصنفين من الناس الذين يصلح لهما الرضيع والفطيم ففي قوة المعتدل هضمه وتغييره بتغير شراب وأرى أن يشرب الشراب على هذا قريباً من أكله وقبل تمام هضم المعدة وعلى ذينك اللحمين بعد نفوذهما من المعدة لئلا يدفع بهما الشراب ويسخن المعدة فيعرض مع لطافتها الحشا الدخاني، وقد ينبغي أن يميل في الأبدان غير المعتدلة بالطيوب والصنعة وكذلك عند الاختلاف والأهمية والأزمان والبلدان والأنثى أخف لحماً وأرطب ويجب أن تجعل وسطاً بين لحم الذكر من الجذع وبين لحم الفطيم وكذا قربت الأنثى من الفطيم بين الفطيم، والرضيع ويقل أحفالك[٢] بالأنثى والذكر في الرضيع وليس بين لحم الفحل والخصي في هذا السن فرق ما لم يسفد[٣] الفحل، فإن سفد الفحل فقد وقع الفرق وأما في الثني والرباع فالبون بينهما واحد.

(القول في الأنثى من أولاد الضأن)

إن لحم الأنثى من أولاد الضأن لحم قد تم ولم يفرع وكماله مزاجه بعض الكمال ولو تم وفرغ لما انتقل إلى سن أعلى من سنه سائراً نحو الكمال // [٩١و] وهو أحر من الجذع وأيبس وهو أحر في الدرجة الأولى في الحرارة بين الدرج الصغار وهو

---

(١) وهو يقصد ما يسمى في الوقت الحاضر بالسعرات الحرارية للأغذية.

(٢) يريد أنه ليس هناك من فرق كبير بين لحم الأنثى ولحم الذكر في سن الفطام وكذلك ليس هناك فرق بين الفحل والخصي في سن الفطام أيضاً.

(٣) السفاد في الحيوان يساوي الجماع عند الإنسان.

معتدل في الترطيب واليبس متى أكله المعتدل من الناس مشوياً، ومتى أكله صليقاً رطبهُ لا محالة وغذاء الأعضاء أكثر من غذائه النفس الحيوانية والنفسانية قليلاً[١] وهو صالح لأهل البأس والشدة والمحاربة أتم صلاح وأما المتوسطين[٢] في الرفاهة والدعة فيسلمهم أن يصنعونه بالتوابل الملطفة له ولا يسلقوا لحمه لئلا ييبس وأن يصنع منه في الصيف ما ذبح قبل ذلك بست ساعات، وفي الشتاء بأثنى عشرة ساعة ويتجنب صنعة ما ذبح لوقته ويستقصي بنفسه، ولا يؤكل منه مشوياً ولا صليقاً إلا مسلوخاً، عليه جلده من الغلظ ويشرب الشراب مع أكله أو قبل نفوذه من المعدة وليكن اخذ من الشراب بمقدار ما يكفي في بَلّ الغذاء لا غير لا بَلْ بمقدار ما يسر النفس وليكن معتدلاً في صرافة المزاج وليس اختار هذا الصنف من اللحم للمترفين إلا في السكباج[٣] والهريسة [...][٤] واختاره لأهل الناس كيف شاؤه ولا أحب أن يطبخ باللبن والكشك[٥] والمصل[٦] ونحوها البتة [مراحل صيرورة اللحم].

// وهذا اللحم لونه أحمر ولون الرضيع أبيض ثم لا يزال يتحرك حتى يصير في الفطيم مورد توريداً خفيفاً // ثم يتحرك حتى يصير في سن الجذع مورداً على الحقيقة.

// ثم يتحرك حتى يصير سن الثني مورداً مسبغ التوريد وهو الأحمر الخفيف الحمرة.

---

(١) أي أنه يقيد في بناء أعضاء الجسم وفائدته أكثر فيها من فائدته في النفس الحيوانية والنفسانية.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) مرق يعمل من اللحم والخل، مر شرحه سابقاً.

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٥) الكشك: ماء الشعير. انظر اللسان مادة (كشك).

(٦) المصل: ماء الأقط حين يطبخ ثم يعصر مغصارة الأقط هي المصل. انظر اللسان مادة (مصل).

// ثم يتحرك حتى يصير قاني الحمرة في سن الرباع أحمر حقيقي الحمرة// ثم يتحرك حتى يصير دون القاني // ثم يتحرك حتى إذا تجاوز سني الرباع أسود ولا خير في ذلك، ولا ينبغي أن يضاف إلى الأغذية لأن سائر اللحم إلى ذاك يصير مزاجه سوداوياً أرضياً ترابياً[١] أو يصير اللحم لا يقبل النضج من النار // [٩١ط] ولا الهضم في البدن فيولد في بدن آكله خلطاً نياً، وينبغي أن يجعل مزاج الأنثى من الثني وسطاً بين الثني والجذع هذا على مذهب القول في الغذاء إن كانت الأنثى لم تحمل ولم تسفد، فإن كانت قد خلت فلا خير فيها لأن لدونة جسمها ولذاذة لحمها تنصرف إلى ولدها مثل النبات الذي له بزر صار جميع ما في سوقه من اللدونة واللذاذة في البزر وبقي في سوقه حر الأرض والحشيشية وصار عاسياً وسبيل من اضطر إلى أكل هذان يلقي في طبخه اللوز المربى[٢] المقشر من قشريه والسمسم المدقوق والخشخاش[٣] وأن يصب عليه الزيت العذب[٤].

(القول في لحم الرباع من الضأن)

لحم الرباع من الضأن قد تم وفرغ على مذهب القول في الاغتذاء بلحم هذا الحيوان وذلك أنه ليس ينتقل إلى حال أخرى يصلح معها لحمه للغذاء لأنه بعد هذه السن من لدونته فيصير الحيوان منعوتاً بالشدة واليبس وليس لصاحب الغذاء فيه نظر، ولحم الرباع يُسخّن بدن الإنسان المعتدل متى أكله مشوياً ويجففه إما إسخانه ففي نحو الدرجتين من الدرج الصغار وإما يبسه ففي آخر درجة كبيرة ويولد كيموساً[٥]

---

(١) هذه الأوصاف بناء على العناصر الأربعة.

(٢) أي كامل النضج.

(٣) الخشخاش نبت معروف وهو أربعة أصناف (البستاني، والمنثور، والمقرَّن، والزبدي). انظر الأدوية والأدواء ص٣٢.

(٤) أي الزيت الصافي.

(٥) الكيموس: هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن يتصرف منها. انظر اللسان مادة (كمس).

غليظاً ولكن ليس بالنيئ بل كيموسه يقبل من الهضم في البدن بحسب ما يقبل اللحم من النضج من النار فإن أكله صليقاً رطب رطوبة ذا قدر وإن كان معلوفاً[١] كان أحمد لأنه يكون أرطب وهذا متى لم يسفد، وبعيد ما يوجد الفحل في هذا السن لم يسفد، ولكن نقول فيه حتى تكمل القول في الغذاء فإذا سفد فقد فسد لحمه لأن لدونته ولذاذته قد انصرفت إلى الولد مثل النبات الذي قد بزّر وصار جميع ما في سوته // [٩٢و] من اللدونة واللذاذة في البزور حراً والحشيشية والأرضية، وصار عاسياً جاسياً، وأيضاً فإن أخلاق هذا الحيوان تتغير وتعروه قوة الغضب والوثوب على الناس والنكاية في الحيوانات، ومن الضرورية على مذهب النظر في الغذاء أن من أكل لحماً لنفسه خلق فأدمنه أكسبه ذلك اللحم ذلك الخلق[٢]، ويكون مع هذا السن شيقاً حريصاً على السفاد غضوباً راغباً في النكاح، وقد تحركت نفسه من القرب من النبات وبعدت وقرب من طبيعة الحيوان الغضوب[٣] وكل هذا يوجب ألا نغتذي بلحمه والأنثى من هذا السن لا خير فيه[٤] البتة، إلا أن تعلف فيكسب من العلف لحماً وشحماً غير الذي أخلق بالولادة والرضاع، وفسدت لذاذته لأنه يكون قد اكتسب لحماً غير ذلك إلا أنه على ذلك الأصل ينبت وينبغي أن يجعلها في مرتبة من القول بين الثني والرباع، فأما متى لم تكن معلوفة فهي شر من الفحل لأن لحمها يفسد بالولد وبالرضاع، ولحم الفحل يفسد بالسفاد فقط ولكن فعل لحم الذكر في الأخلاط شر من فعل لحم الأنثى وكيموس الأنثى شر من كيموس الذكر وسبيل هذه اللحمان أن تصلح بالخل النقيف[٥] والتوابل والبقول الملطفة.

---

(١) أي قدم له العلف.

(٢) أي إن من المعلومات الأولية عند علماء الغذاء أن من أدام أكل لحم حيوان له خُلُق معين فإن الآكل سيكتسب ذلك الخلق.

(٣) أي أنه ابتعد عن الطبيعة النباتية التي لا تسفد واقترب من الطبيعة الحيوانية التي تسفد.

(٤) الضمير يعود إلى اللحم.

(٥) النقيف: والمنقوف المبزول من الشراب. انظر اللسان مادة (نقف).

(القول في لحم الخصي من الجذع والثني من الضأن)

لحم الخصي من الجذع وإن كان قد مر لخصاه شهر وبين زيادة في بدنه على بدنه قبل الخصي فألحقه بالرخل[1] الجذعة وإن كان قريب عهد ولم يكسبه الخصي سمناً فالحكم فيه كالحكم في الفحل، لحم الخصي من الثنيان أحمد من لحم الرخال // [٩٢ط] لعفة نفسه عن السفاد لم تبق فيه من الحركة الطبيعية إلا الحركة الغريزية وقرب من طبيعة النبات الذي يدبره العقل والطبيعة وبعد من طبيعة الحيوان لضعف حركة النفس الحيوانية فيه ومعلوم أن النفس النفسانية في الحيوان غير الناطق مطيعة جاذبة للنفس الحيوانية لا غير، والخصي من الحيوان الذي هذه حاله ليس فيه حركة غير حركة التغذي فمزاجه لذلك أرطب ولحمه ألذ؛ لأن نفسه لا تستأثر من غذائه شيء وينبغي أن يجعل أحمد من لحم الجذع فضلاً عن الثني وأن مرتبته متى أكل مشوياً من إسخانه بدن الإنسان في النصف من الدرجة الأولى من الدرج الصغار أو مطيفاً بالنصف ومن الترطيب في أكثر من نصفها، كذا، وأقل من تمامها وينبغي أن تعرف فضيلة هذا اللحم بما أقوله لك وهو أنه أحمد من لحم الجذع بأنه بمنزلة ثمرة قد أدركت وقربت من الإدراك قرباً شديداً وزالت النهوة[2] منها والفجاجة ودبرها الإنسان تدبيراً أكسبها الصلاح زيادة على ما في طبعها كالبسر[3] المدبر بالغلي فإنه تزول عنه نهوته ويكسب لذاذة وتزول عنه أكثر شدته وكالتمر الذي يشمس ويترك قشره ويرد عليه الكمون ويكسر كذا فافهم الحال في لحم الخصي من الثنيان ولحم الخصي من الرضعان وألحقه من الحرارة والرطوبة بمرتبته بين الجذع والثني، وهو لحم فاضل كثير الغذاء محمود الكيموس إلا أنه يغذو الأعضاء أكثر من تغذيته الروح الحيواني

---

(١) الرخل: الأنثى من أولاد الضأن. انظر اللسان مادة (رخل).

(٢) لا توجد النهوة، والنهية هي غاية كل شيء وربما قصد المؤلف زال ما ينهي عن أكلها.

(٣) البسر مرحلة من مراحل نضج التمر، وعندما يسقط من النخل أو يقطف فإنه يغلى على النار فيلين ويصبح طيب المذاق.

ويكسب الروح الحيواني شدة وقساوة وفضل حركة وثبات على الأحقاد والمنازعات بمنزلة نار في مادة // [٩٣و] صلبة وينبغي أن يدبر فضل تدبير متى طبخ بالتوابل والطيوب ولا يؤكل إلا طبيخاً ويصنع كبيساً وسكباجاً وهريسة ويتجنب منه الشواء والطباهج[١] وماعدا هذا السن من لحم الفحل والخصي فلا خير فيه ويذكر حال الخصي من الناس بعد سن الشبيبة، واعلم أن مثل تلك الحال يؤول إليه أمركم هذا الحيوان وينبغي أن تستخرج من قولي ما هو فيه بالقوة ويقاس عليه نظائر معاني قصدت في كتابي هذا من أوله إلى الإيجاز وتحديث الأفهام فافهم ذلك إن شاء الله.

(الباب الثاني)

(القول في لحم المعز)

ان للمعز اصنافاً كأصناف الضأن من الرضيع والفطيم والجدي والثني والرباع إلا أن الحكم في هذه الاسنان مخالف للحكم في اسنان الضأن فنحن نبتدئ بالقول من اوله فأقول: ان الرضيع من اولاد المعز احر وايبس من الرضيع من اولاد الضأن وكذلك هو ايبس منه وأقل فضلاً، وضَعْ الفرخ من اولاد الحمام مثالا على ولد الضأن// [٩٣ط] والفروج مثالاً على ولد المعز فالفروج وان كانت ايامه متساوية لايام الفرخ فكأنه حيوان قد ادرك وكل فرخ لم يكمل[٢] هو بمادة الحيوان اشبه منه بالحيوان ولذلك هو اذكى فافهم الامر في الجدي الرضيع لان لحمه اعدل من لحم الخروف الرضيع وانه من الحرارة في اكثر من نصف درجة صغيرة وانه من الترطيب في اولها وان لحمه المنازل[٣] بعد الفطيم من اولاد الضأن وقبل الجذع فهو لذلك سليم من الفضول والنهوة وهذا متى اكل مشويا، فان عمل سليقاً كان من الاسخان حيث ذكرنا

---

(١) بحسب وصف د. إبراهيم السامرائي في كتابه التكملة للمعاجم فإنها تقابل المخلمة في وقتنا الحاضر ص٥٣.

(٢) الفروج الفتي من اولاد الدجاجة والفرخ ولد الطائر انظر: اللسان مادة (قرخ).

(٣) أي هو في منزلة بعد منزلة الفطيم.

ورطب ترطيباً في نصف الدرجة من الدرج الصغار وان طبخ باللبن لم يسخن البتة ورطب في اخر الدرجة الاولى وان عمل بالخل برد تبريداً بيناً وكان من الترطيب بحيث كان من السواوان سوي على رطوبة كان احر منه مشوياً على جمر فاما ولد الضأن فشيه على الجمر في التنور والكرذباج[1] احمد من شيه على الرطوبات والفطيم من اولاد المعز الذي قد بقي في جوفه من اللبن معتدل في الترطيب واليبس وهو قريب من اخر الدرجة الاولى من الدرج الصغار في الاسخان وهو احمد من الرضيع في قوة الفضول وهو اشبه شيء في هذه الحال بلحم الجذع من اولاد الضأن ويكاد يكون[2] عندي احمد لحوم ذوات الاربع لانه فتغذي الاعضاء والانفس غذاً محموداً مناسباً ولا يميل في الجهات فيغدد البدن اكثر من النفس او النفس اكثر من البدن بل فعله في ذلك فعلاً واحداً ويكاد ايضاً ان لاتفضل في البدن فضله قليلة ولا كثيرة ولا يمكن اللدان[3] يسهلهما بنفسه وقد يميل بالصنعة والطيوب ولحم الجذع منها لا خير فيه إلا أن يكون خصياً فان لم يكن خصياً فالحكم في لحمه كالحكم في لحم الرباع الفحل من الضأن وشر من ذلك، فان كان خصياً فلحمه لاحق بفصيلة لحم الضأن//[٩٤و] الخصي من بنات الضأن والحكم فيه ذلك الحكم به ولا فرق بين الانثى والذكر في الوضع لانهما بين طبيعة اللبن واللحم لا لبن صرف ولا لحم صرف فلحمهما متوسط بين بين فبهذا السبب لم يستحق ان انظر في ذكره وانثاه واما الانثى من الفطيم فاجعلها بين الرضيع والفطيم ولحم الانثى من الجذع فاجعله بين الجذع والفطيم ان كانت لم تحمل فان كانت ولدت فلا خير في لحمها البتة وينبغي ان يحفظ عني بهذا القول في الغنم والمعز وهو ان هذين الحيوانين من النبات[4] الذي يدبره العقل والطبيعة، وبين الحيوان الذي يدبره العقل والطبيعة وليس بحيوان صرف ولا

---

(١) اناء للشبي يضع من الطين (فارسية).

(٢) في الاصل ويكاد ان يكون وما اثبتناه هو الصحيح.

(٣) اللدن: اللبن.

(٤) قال لانه يذهب الى ان فيه قوتين نباتية وحيوانية على ما سيوضح ذلك.

نبات ولذلك استجزنا قتله واكله ولنفسه قوتان لا غير احدهما قوة نباتية تفي بتغذية جمسه ونحوه ولذلك صار الحيوان الذي يؤكل ينمي ويقبل التغذي اكثر من سائر الحيوان لان فعل نفسه وقوتها فاذا تحرك للنسل ومسفده بعد عن طبيعة النبات وقرب من الحيوان وزالت لذاذة لحمه كما يزول عن قضبان النبات اللذاذة عند البزر وبضد اللذاذة في البزر بسبب اكل لحمه من الخلق المولد فيه، وهو الشبق فتحدث لأكله رغبة في ذلك وحرصاً عليه وعداوة على هذه ومخاصمة قوم بسببها، واما لحم الثني من المعز اذا كان خصياً فالحقه بلحم الرباع من الضأن، واما الفحل منه فيحدث لاكله الحمو(١) مع مافي لحمه من رداءه الكيموس ولا أرى اكل ما عدا هذا [....](٢) ولا اتكلم فيه على جهة الغذاء ان وجد اكل سبيلاً الى اكله.

(الباب الثالث)

(في القول في لحم الخنزير) //[٤٩ط]

والله الذي لا إله الا هو ولا خالق سواه ولا قادر الا بقدرته ان كنت متكلماً في لحم الخنزير بما انا قائلة لعصبيه مني لقومي ولا نصراً لملتي التي انعم الله بها علي، وانما قولي بطريق الحق وايثار الواجب وسلوك القياس الواجب فاستمع الان بعدما تقدم ما انا قائله، كل حيوان اغتذى غذاء خبيثاً فلحمه خبيث كالنسر والغراب والذئب وما اشبه هذا من الطائر والماشي والسابح او ليس قد كرهتم معاشر الفلاسفة الدجاج الراعي وابيتم ان يأكله الناس الا بعد حبسه في البيوت واكله الشعير فهل يقدر احد ان يزكي غذاء الخنزير او يحمده وهل اكله إلا كأكل لحم النسر والغراب والذئب وفيه سره لايرفع رأسه من الأرض وفيه كثرة وثوب على الناس، وقتل للحيوان وهو غضوب(٣)،

---

(١) أي ارتفاع في درجة حرارة الجسم.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) انظر: مباهج الفكر ٣/٢٠٧.

وهو على القول الطبيعي مركب من بقرة وذئب[1] واكل لحمه يحدث الشرة والنهم وقوة الغضب والتوثب على الناس هذا فعل لحم الكبير فان كان احد يمكنه ان يطيب اكله وعقله ويستجيز اكله فليرجع الى قول جالينوس فيه فلا خبرة لي به ولا شيء عندي غير النهي كما ساعيده من ذكره عند ذكري الحيوانات محضورة الاكل في التي لا مالك ولا مملوك فاني هناك اتكلم فيه كلاماً وافياً يعلم منه ان الشرائع حرمته لامر واجب لازم كما حرمت الميتة لامر واجب لازم في الطبع وابين ان صناعة الطب لا تكتفي ان نطلق سبباً من ذلك وان من اكل من هذه الاشياء لا ينبغي ان نتأسى به ولا نقتفي اثره.

(الباب الرابع)

(في القول في اللبن)

حكم اللبن في تولده في ثدي كل حيوان حكم ذلك الحيوان// [٩٥و] ونفسه وكما ان كل عين جرارة[2] في ارض تؤدي جوهر تلك الارض ان كانت كبريتيه كان الماء كذلك وان كانت شبية[3]، كان الماء كذلك وان كانت مالحة سبخة كان الماء كذلك وان كانت عذبة طيبة كان الماء كذلك وان كانت عذبة الا انها عفنة مسقمة كان الماء غفناً مسقماً كما المزج مثلاً، كذا الحال في البان كل حيوان انما هي ينابيع تتولد في ابدانها من مواد الابدان وبالقوى الطبيعية التي في كل بدن، لا ترى ريق بعض الحيوان سم، ولولا ان ذلك كذلك لم يكن لبن الانسان مادة لنمو الطفل منه حتى يكون منه جسم مثل جسم امه وترى الاولاد ينقلون اخلاق المرضعات وسجاياهم وكذلك الحكم في كل حيوان، واذا كان هذا قد وضح فليس ينبغي ان يغتذى لبن

---

(١) قيل عنه انه مشترك بين البهيمية والسبعية انظر مباهج الفكر ٢٠٦/٣.

(٢) أي كل عين جارية.

(٣) والشب حجارة يتخذ منها الزاج انظر اللسان مادة (شب).

حيوان غير الحيوان الذي يؤكل لحمه لئلا يعرض لنا من اللبن في ابداننا واخلاقنا ما يعرض لنا من لم ذلك الحيوان لو تقدمنا على اكله ولا ينبغي ان ترضع طفل لنا لبن ضأن ولا معز ولا جمل ولا ثور(١) فان ذلك مع اضراره بمن يرتضعه من الاطفال يفسد مزاجه وخلقه لانه ليس في بدن الطفل من القوة المغيرة لجوهر البدن الذي سقيناه من غير البان الناس مافي بدن الكثرة من القوة المغيرة للحم الحيوان الذي يأكل الناس لحمه واذا كان في بدن الكثير من الناس قوة على تغيير لين ما يؤكل لحمه، فكما لحري ان فيه قوة على تغيير لبن ما يؤكل لحمه ولان كل البن الناس ينبغي ان ترتضعها كل الاطفال، فاني اكره البان الدايات(٢) متى كان من اهل الافراطات كالصقالبة والسودان//[٩٥ط] واستحب ان تكون الداية لمن يراد منه ويقدر فيه الفلسفة والحكمة والنظر والقياس والفقه والعلم والشعر والكتابة والتدبير وسياسة الجيوش والقضاء والكتابة وما أشبه ذلك داية من اولاد العجم وبيوت السياسة والرياسة ممن قد انتقلت الدول منهم وبقيت فيهم هيئة الملك ابهته واخلاق ارباب النعم ودماثتهم وما اشبه ذلك فان هذه ليست تتنقل عند فقد النعمة بسرعة عن ذويها فان تعذر ذلك فمن اولاد اليسار من ساكني الاعتدال ومن قدم الملوك او من الروم والذين يجلبون من المدن الكبار التي فيها الرئاسة والسياسة واليسار فان اعوز فمن اللان(٣) والسريرية(٤)، فان اعوز فمن اماء عبيد العرب واما السودان والسند والترك والصقالية وما جرى مجرى هؤلاء، فلا احب ان يسترضعن لان اللبن ينقل اخلاق ذلك الحيوان الى المولود وكذلك احب الحواضن من الرجال والنساء ان يكونوا فضلاء، قد قلت في اللبن بحسب

---

(١) كان من المفروض ان يقول لبن ناقة او بقرة، ولكن العرب كانت تقول اللبن للفحل أي ان الانثى لا لبن لها لولا مجامعة الفحل لها وبهذا اخذ فقهاء الشريعة في تحريم الرضاع.

(٢) الداية: المرضعة التي تستأجر وتسمى الضئر.

(٣) اللان وهو منطقة تمتد الى آخر حدود ارمينية انظر معجم البلدان ٤/٣٠٦، ٥/٨.

(٤) السريرية وهي ضمن منطقة اللان انظر معجم البلدان ١/٢٤٥.

السبب الفاعل[١] وقد ينبغي ان نتبع ذلك القول بحسب المادة المنفعلة فاقول ان كل لبن يؤدي قوة غذاء الحيوان الذي يجتلب ذلك اللبن منه مثلاً بمثل، وانما يخالفه في الصورة النوعية فقط وكذلك متى اردنا سقي المخيض او ما ماإلخس وحليب الاتن[٢] دبرنا هذه الحيوانات تدبيراً يحيل البانها عما لها بالطبع الى الحال التي تقصد لها بما يعلفها وإذا كان اللبن ينظر في امره بطريق جهة السبب الفاعل ونظر من جهة السبب الذي هو المادة فليس ينبغي ان يغتذى بكل لبن انما يغتذى بلبن الحيوان الذي يؤكل لحمه لان هذا الحيوان قد اجتمع فيه امران يوجبان اكل لحمه احدهما السبب الفاعل والآخر//[٩٦و] السبب الذي هو المادة، اما السبب الفاعل فالابدان الذي يأكلها وتفتذي بها وهي ملائمة لنا مناسبة تجري مجرى ما انبتته الارض لنا منا يدبره العقل والطبيعة وليست كالحيوانات ذوات الاخلاق التي جعلت اجسامها الات لتلك الانفس ذوات الاخلاق بل هذه ذوات انفس يديرها التغذي بها وذلك ان حركة نفس كل حيوان نمو علته التمامية في هذه الحيوانات ان يؤكل لحمها، وان السبب الآخر وهو ان ابداننا تستمد ما تستمد منه ابداننا من النبات وانها لا تعدوا ذلك الى غداء ولو اغتدينا به افسد ابداننا واذا كان هذا قد وضح وبان فقد ينبغي ان نتبعه بالقول في مواد الالبان لانها ليست ابداً في كل وقت من السنه شيئاً واحداً بل يختلف بحسب اختلاف جواهر المرعى فاقول ان اللبن كله من جميع الحيوانات التي يغتذي بالبانها في ايام الربيع مائية رطبة فهي ابراد وارطب منها في سائر اوقات السنة هذا متى بقيت ابدان الحيوان من اللبن[٣] وفيها ذلك غسل للاجواف واسهال لطبائع المعتدلين من الناس فكل ما يحرك النبات نحو البلوغ قَلّتْ مائية اللبن وقلّتْ رطوبته وكثر فيه السمن وزادت حرارته الا أنه حرارة هوائية لدِنة ولذلك يكون الزبد اكثر منه في اوائل الربيع فاذا يبس النبت صار كثير الجبن والجر الحار اليابس فيه والجر الهوائي، فتصير

(١) وهو العناصر المغذية في اللبن.

(٢) وهي انواع من الحليب لم تستعمل في الوقت الحاضرة ولم يبق منها الا (المخيض).

(٣) اللبن: الميعة.

لذلك اغذاء لاكله وشاربه يكون سخن البدن المعتدل اسخاناً في النصف من الدرجة الاولى من الدرج الصغار ويرطبه في اولها ويغذوه غداء حسناً الا ان نفوذه عن دورته يكون بنطوٍ[١] فتحتاج ان //[٩٦ط] تصلح عما ينفذه مثل السكر والعسل او يتبع بشرب الشراب ويكون اسخان اللبن في اول الربيع لهذا البدن في اول الدرجة من الدرج الصغار وترطيبه قريباً من اخرها وتكون حالة في الوقت الوسط متوسطة بين الامرين في الحرارة والرطوبة حتى تعرد[٢] الحلوبات، وما كان من البان الغنم المربوطة على المداود[٣] التي جرت العادة لاهل العراق بعلفها كسب البزر والنوى في سائر اوقات السنة، والبان هذا امر من البان السائحة وارطب كثيراً وينبغي ان يجعل في الحرارة قريباً من اخر الدرجة الاولى من الدرج الصغار وفي الرطوبة في درجة ونصف وسبب زيادة الرطوبة في هذا اللبن هدؤ الشاة وقراها في موضع لان حركة الغنم في الرعي يكسب البانها يبوسة وسبب زيادة الحرارة لا تملا فيها الكسب والقت والنخالة واذا ارتعت الحيوانات بارض بها شج او قيسوم او حرمل او أي ضرب من ضروب الحشائش فانسب قوة اللبن الى المراعي ولا يخلف بشيء مما يخص اللبن في نفسه واعلم.

ان شرب الحيوانات بعضها البان بعض في وقت الرضاع ولكسب المرتضع خلق الضئر[٤] فان البادية تسقى المهر البان الابل تارة والبان الغنم تارة فما سقي لبن الناقة احدث في الفرس الحقد والعض وما شرب البان المعز خرج ساقط النفس محتال الاسفاد كثير التحصن ونظائر هذه الاشياء فقس عليها مالم اذكره واذا قد ذكرت القول الكلي في اللبن فقد ينبغي ازاء ذكر القول في كل نوع من انواعه، فاقول ان كل اللبن فهو مركب من ثلاثة جواهر احدها الجوهر الجبني والثاني الجوهر المائي والثالث

---

(١) النطو: البعد والمشقة.

(٢) عرد: غلط. ويريد حتى يشتد لبن الحلوبات.

(٣) المعالف الطويلة.

(٤) انظر: المرضع.

الجوهر الزبدي// [٩٧و] السمين وهذا الجوهر الزبدي الدسم تجده كثيراً في البان البقر ومنه نجد السمن البقري وقوة هذا السمن على سبيل الغذاء انه يسخن البدن ويرطبه اسخاناً في النصف من الدرجة الاولى من الدرج الصغار وترطيبه في اكثر من درجة من الدرج الكبار، ويغذو الروح الحيواني غذاء كثيراً ويغذو الاعضاء غذاً قليلاً ويسهل نفوذ الابقال، ويرخي المعدة والات الغذاء واذا خلط بالحلواء كان محموداً لفعل جيد الغذاء وغذاء النفس الحيوانية والاعضاء غذاء حسناً وكذا اذا خلط بالطعام من غير الحلواء كان احسن الغذاء وزال اضراره بالمعدة والات الغذاء ورطب البدن وحسنه ونعمه.

(القول في الجوهر الثاني من اللبن)

الجوهر الثاني من اللبن ما دام حلواً فهو حار في اول الدرجة الاولى من الدرج الصغار مرطب في اخر الدرجة الاولى من الدرج الكبار وفيه هضم للاغذية وتنفيذ لها ويغذو غذاء يسيراً للاعضاء وللروح الحيواني واكثر ما يستعمل هذا شراباً ومن شربه بعد طعامه يُعد غذاءه، ولا اعلم احداً يصنع منه صنيعاً في الاغذية واذا نظر فيه على جهة الدواء هو المسمى ماء الجبن فقوته قوة مجلو ومن اجل ذلك صار الناس يشربونه ليطلق بطونهم ويستعملونه ايضاً في الحقن لانه يغسل ويجلو المواد الحارة اللذاعة التي تكون في الامعاء من غير ان يلذع وان غسل انسان به ايضاً الجراحات التي يكون فيها حديد حار بدل الماء فهو في فعله ذلك محسن وحتى غسل بماء الجبن الجلد الذي قد احتقن عنه دم ميت او سواد حادث من ضربة كان اجود من غسلها بالماء وعلى هذا الطريق في مداواة الكلف[١] وفي مداواة الطرفة[٢] بعد ان يخلط مع الادوية التي تصلح لهذه العلل وينبغي ان نستعمل ماء الجبن في

(١) الكلف وهو طبقة ادكن من لون البشرة تنتشر على الوجه ولا سيما الحامل من النساء.

(٢) الطرقة نقطة حمراء من الدم تحدث في العين من قرية وغيرها انظر اللسان مادة (طرف).

وقت الربيع من السنة لانه الوقت// [٩٧ط] الذي تكثر فيه مائية اللبن وهو دواء مسهل للمرة الصفراء الحادة ويسهل المرة السوداء المحترقة التي يحدث عنها اضطراب العقل واذا حُمض هذا الماء واستخرج حامضاً وهو الذي قد جرت العادة بان سمي دوغا وثرد فيه الخبر وطيب بالزيت والبقول او بدهن اللوز والشيرج برد البدن وغذاه غذاء بارداً رطباً ونفع المحرورين وكذا ان القي عليه الملح او استعمل في البوارد، وان سُلق القرع وعمل به او سلق القثاء او الخيار كان مبرداً مرطباً، وان طبخ به كشك الشعير كان اقوى فعلاً من ذلك وبرده ورطبه في اكثر من درجتين من الدرج الصغار متى شرب شرباً ومتى مثل بالضعة زاد ذلك فيه ونقص، وان طبخ به لحم الحمل كان ما يصنع منه صنعاً بارداً رطباً فان طبخ به لحم كثير كان ذلك المصنوع يولد كيموساً غليظاً ومن طبخ به لحم بقر كان المصنوع به يولد كيموساً غليظاً نياً لزجاً، فان شرب وحده كان مقدار ما يغتذي به البدن يسيراً فهذا ما تقوله فيه على جهة الغذاء واذا نظر فيه على جهة الدواء، والمخيض الحامض اذا شرب قمع الصفراء وبرد الاحشاء والمعدة وشفا من اللدغ الحادث وان القي فيه الثلج او برد كان اقوى نفعاً، والمخيض كله يسمن ويبرد البدن واذا شرب بكعك[١] السميد[٢] سمن البدن وبخاصة ان كان مخيض البقر وهذا يصلح لمن كان نحيف البدن شديد الحرارة لا تترك مزاج روحه الحيواني ان يخصب بدنه، ولمن كانت نفسه الحيوانية تستحد بالكثر مما يغتذيه جسمه وقد ذكر حنين[٣] عمله في مقالة افردها في اللبن فان رأيت ان البدن شديد الحرارة فاطبخ بالمخيض شعيراً منقاً كما يطبخ الشعير واعط منه نصف رطل فاتركه ساعتين ثم اسفه في ثلاث دفعات نحو الرطل مخيضاً صرفاً// [٩٨و] فاذا فعلت ذلك ثلاثة ايام او سبعة ايام او تسعة ايام او احد عشر يوماً او اربعة عشر يوما فاقطع واتبع ذلك بالتدبير المسمن ولست ارى ان تستعمل شيئاً من ذلك في المجسمين

---

(١) الكعك هو الخبز اليابس.

(٢) السميد وهو طحين خشن معروف في العراق.

(٣) وهو حنين بن اسحاق وهو طبيب مشهور.

والمترفين وملوك الاعتدال الا من كان طارئاً الى الاعتدال وقد جرت عادته في بلده بذلك وسنة قد تناهت فاما من كان دون التناهي ومزاجه ينتقل فلا ارى له اخده لما اذكره فيهم الفروج ان يغتذوا به ممن كانت مسلمة عندك سبيل من تغذية في حمايات حادة بالفروج فلا يمتنع فيه من اعطائه المخيض كيف اقتضت حاله واوجب التدبير ان يأخذه فهذا ما نقوله في مائية اللبن.

(القول في الجبن)

قد كنا قدمنا القول بان اللبن ثلاثة جواهر جوهر مائي وجوهر جبني وهو مافي اللبن من طبيعة الارض وجوهر دهني بمنزلة الزيت وهو السمن وهو مائي اللبن من طبيعة الهواء فاذا أجمد اللبن نصب عنه الجوهر بالتدبير العقلي كما يجمد بتدبير العقل وبقي فيه الجوهران اعني الهوائي والارضي كان من ذلك جنا رطباً طريا وهو ان يبقى الجوهر الارضي والهوائي وبقية كبيرة من الجزء المائي فما دام فيه طعم الحلاوة وهو رطب فمزاجه بارد رطب غليظ نيء لانه قد فارق مزاج اللبن ولم يفارقه بكل وجه وسبب، وهو متحرك من البرد والرطوبة الى الحرارة واليبوسة التي هي مزاج الجبن العتيق الحريف[١] الدسم وتبريده البدن في اكثر من ثلث درج من الدرج الصغار وترطيبه في درجتين الا انه ترطيب برطوبة غليظ فيه فاذا اكل بالتمر او بالسكر او بالعسل صار الكيموس المتولد عنه ليس //[٩٨ط] بالغليظ وان ملح وكبس حتى يوجد طعم الملح فيه قبل تبريده وصار يبرد في درجة وما اطاف بها اقل واكثر من الدرج الصغار وامتحانك لذلك لقلة المائية فيه ويبس اجزائه وظهور طعم الملح فيه وترطيبه يكون قليلاً والكيموس المتولد عنه يكون غليظاً ولكن لا يكون نياً بسبب الملح وبمقدار ما ينقص من مائيته يظهر من دهاننه ويبسه وذلك ان البارد والرطب والحار واليابس يتعاقبان فيه وحر الارض حافظ نفسه فاذا بلغ ان تجتمع اجزاؤه ويصلب ويحتاج في

---

(١) الحريف هو المُعامل والحريف ايضاً هو الذي فيه حرارة انظر اللسان مادة (حرف).

قطعة الى غير اليد فظهرت الدهانة فيه بحس البصر واللمس ولم يبلغ ان يكون حريفاً فهو ذاك حار في درجتين من الدرج الصغار وما اضاف بهما وفيما بين هذه المنزلة وبين المملوح منازل ينزلها عقل الطيب الحاذق الاريب وفيما بين المملوح وما لم يملح منازل كذلك وما لم يملح ايضاً فله عرض بمقدار كثرة المائية فيه وقرب عمله وبعده هذا الجبن الذي قد احتيج في قطعة الى غير اليد ويبس من نحو من ثلاث درج صغار، وعامل الطبيعة، فان شوي حتى تتبدد مائية بالشي او القلي كان شديد العقل للطبيعة فاذا تجاوز هذه المنزلة حتى يصلب فلا نقطة الا بالحديد فقد كاد ان يعدم المائية واذا كاد ان يعدمها فقد كاد الا يبقى فيه الا جوهر الارض والهواء خالصين، ولا تتكرن تولي كاد وقولي نحو من كذا لانـي اقول قولاً طيباً وهو قول فيه الحدس والتقريب وعلم عامي وليس بعلم خاصي، واذا كاد ان يعدم المائية وان يخلص له الهوائية والارضية فهو اذ ذاك حار في خمس درج من الدرج الصغار واكثر واقل// [٩٩و] بحسب قوة الحرافة فيه وظهور الدهنية، وصلابته بعدم الرطوبة وميله من البياض الى الحمرة وهي في اليبس في اخر الدرجة السادسة، والكيموس المتولد منه كيموس فيه هذه وحرافة مائل الى طبيعة المرة الصفراء المحترقة وفيه يقطتع لغلظ الافلاط وعون على الهضم ونفوذ الاغذية ومتى اكل مفرداً وبالخبز حتى يشبع به كان رديئاً وان خلط باغذية اصلحها وانم القي في الطبيخ اصلح اللحم كما في الاسفيدتاج وكما يلقي في العدس غير القشور وهذا الحريف فليس ادري انا انه ان سوي او قلي عقل الطبيعة من اجل ان الملطف لا يكون عائلاً البتة وكيف وهو قد بلغ الى حد ما يلين الصلابات ويفجر الخراجات وسنقول في ذلك فيما بعد ويحب ان ننظر في الجبن نظراً اخر وهو ينبغي ان نفتقد الجبن هل هو جبن يعمل من لبن معز او من لبن ضأن او من لبن بقر او من اثنين منها او من جميعها فان عمل من لبن المعز كان ابيض يتفرك هشاً يكاد ان يكون عظيم الدهانة والمائية وجزء الارض فيه اكثر وما كان من لبن بقر وحده كان حريفاً احمر سميناً لدنا قليل المائية فيه شبه من السمن حريفاً حرافه يكاد اللسان ان لا يتحملها صرفة وحدها ورائحة حادة ينبئ عن طبعه وما

كان من لبن الضأن كان اصغر لدناً معتدلاً بالسمن والمائية متوسط الطعم في الحرافة وهو احمد الاحيان، وما خلط فَنَزّلةُ منزلة الاخلاط فان من عزت البسائط من الامور لم يجهل تراكيبها فهذا ما نقول في الجبن على جهة النظر في الغذاء، وان النظر فيه على جهة الداو، فما اذكره عن جالينوس، قال وقد جاء في بعض الاوقات جبن من جبن البقرة فلما شممته/ [٩٩ط] حدست عليه من رائحته انه حريف فرميت به وظننت ان مما (ليلي) قد اكلوه الا ان خادمي المتولي كان لمثل هذا اخرجه الي بعد زمان طويل من الخرافة وجعل يسألني ما تأمر في هذا الجبن فلما رأيته لا يؤكل بسبب حدته وحرافته جرب بيني وبينه في ذلك مسنه على طريق المزاج، ان كيف ان نصرفه في وجه ينتفع به فنحن نتجاوز في هذا اذ اوتي برجل محمول في مجفةٍ[1] به وجع المفاصل قد تولدت في مفاصله صلابات متحجرة فخطر ببالي ان اعمد الى اكارع الخنازير مملوحة، وكانت عندنا ملقاة في الخزانة فاطبخها ثم اعجن هذا الجبن بمرقته بالدق في الهاون نعماً واضعه على تلك الصلابات ففعلت ذلك وانتفع الرجل العليل بهذا الدواء منفعة عظيمة وذلك ان جلدة الموضع انتفعت واتسعت من تلقاء نفسها من غير ان يسبق تحديد وجعل يخرج منه في كل يوم من تلك الصلابات المتجمرة خروجاً لا يؤذي فلما فني جميع ذلك الجبن الذي كان عندي جعل ذلك العليل يشتري لنفسه جنباً مثل ذلك الجبن ويخزنه عنده حتى يكون له اذا عتق عده عند حاجته ثم استعمله على تلك الصفة فوجدته قد نفعه فمكث بعد ذلك مدة طويلة يستعمله في كل وقت وجعل يعلم اصدقاءه من كانت تصيبهم مثل هذه العلة ان يفعلوا مثل ذلك، فهذا شيء استخرجناه عن الفكر والقياس وقد وضح بالتجربة. قال جالينوس: اما الجبن الحديث فمزاجه خلاف مزاج العتيق وقد وضعت منه في بعض الاوقات على جراحه ليست بالعظيمة جداً وقعت برجل في القرية بعد ان سمقته سمقاً شديداً ووضعت من فوقه من خارج ورق الحماض وقد تمكن متى لم يوجد هذا الورق ان يضع الانسان مكانه

---

(١) فرش مصنوع من جلد الابل.

ورق الكرم وورق الدلب او سلق او خس واندملت الجراحة بهذا الجبن// [١٠٠و] الحديث الذي قوته قوة بسيطة مفردة، قال احمد معنى قوله بسيطة مفردة ليس يريد انه بارد فقط او رطب فقط وانما يريد به انه جوهر واحد فقط قد تحصلت عند المائية التي ترطب الجرح ونفي جوهر الارض ولم يحدث فيه الحرافة الدالة على الحرارة ولا ظهرت فيه الدهانة لان الدهانة فيه كأنها بالقوة في شيء يتولد ويحدث ويخرج من القوة الى الفعل قوته اذا باردة رادعة وقد ذكر هو نفسه هذا في اخر الباب فقال كل جبن لبن قريب العهد بالجمود فقوته قوة ما بعد رادعه لانه يبرد تبريداً معتدلاً فكأنه يريد انه يبرد ويردع من غير ايضاح البتة والعتيق الحؤيف يتضح من غير ردع البتة وانما انبت بقول جالينوس على جهة الدواء لان هذا شيء لم استعمله الى وقتي هذا قط فرويت ذلك رواية فهذا ما اقوله في الجبن.

(القول في المصل)

ان جالينوس يسمى المصل جبناً حامضاً فلله درّه من رجل يعلم ما يأتي به وما يذر، فاقول ان المصل يعمل من لبن قد استخرج زبده ولم تبق فيه من الحرارة شيء البتة واعني بقولي هذا انه لم يبق فيه شيء يسخن بدن الانسان ثم يحمد بعد ذلك ويستخرج ما فيه كما تستخرج مائية الجبن فيتسلخ منه الجوهر المائي والدهني ويبقي الجوهر الارضي خالصاً فقوته اذاً باردة يابسة بفاضلة في الحموضة وبفاضلة اليبس بحسب صلابته وميله من البياض الى الحمرة الا اني لست اسلبه الماء سوى الدهانة بكل وجه ولسببٍ وانا امثل هذين على النظر الطبي والاخمن سبيله ان يكون رملاً لو سلبته المائية والدهانة بكل وجه وسبب، وينبغي ان يجعل من البرد في اربع درج صغار وان اليبس في اقل من ثلاث درج صغار ومتى اكله الانسان// [١٠٠ط] بخبز او اكله وحده برد مزاجه ونفسه في هذه الدرج المقدم ذكرها، وولد كيموساً سوداوياً نياً غليظاً بحسب عدامة الجزء المائي والجزء الدهني ويخلص الجزء الارضي فيه وهو وخيم في المعدة والامعاء كوخامة كسب السمسم ولو خامته وقلة قيل البذر

منه صار من اكثر منه خرج (بلطاً او خاماً)[1] وهو به في نفسه ان يعقل الطبيعة وبخاصة ان يسوى وليس فيه مع حموضته للمرة الصفراء ولذلك آكله يجد في قيه مرارة. واما اذا اطبخ باللحم والبصل والسلق والكمون ودارصيني، وما شابه هذه التوابل اكتسب من اللحم دهانة ومن الامراق مائية ولم يبعد عن طبيعة اللبن الحامض متى طبخ باللحم، وينبغي ان يظن به انه يبرد اذ ذاك في درجتين من الدرج الصفار وان ترطب في نحوها وان البدن يفتدي منه كما يغتذى في البان الحامضة وارى ان يقاوم المرار الاصفر وتفشي الخمار واذا فشى الخمار فمعلوم انه صالح الهضم بعض الصلاح الا ان له ولما طبخ به خيره في الهضم ويطرق وبخاصة متى لم يعرف اكله الات الغذاء على هضمه نبيذاً او بعسل مأكول أو مشروب وان طبخ به بعض اللحمان الجاسية كلحم المعز ولحم الاراوي، والظباء، فلا يجوز فيه ولا في شيء مما صنع منه لانه يعمل كيموساً يولد الجذم والجرب والدمامل والسلع[2] ويعظم الطحال، فهذا ما نقوله في المصل على سبيل الغاذء، واما النظر فيه على جهة الدواء فانا آتي فيه بقول جالينوس بلفظه وهو هذا، واما الجنس الاخر الذي يسمى عندنا (في مد عامس وفي مرسيا التي فوقنا او ليسوعا لا وطيس)[3] وهو الجبن المتخذ من لبن حامض فقد اوملت به جراجة عظيمة وقعت برجل من اهل القرى كما وضعته عليها كمثل ما فعلت بالجبن الاخر الحديث والسبب في ذلك ان كل لبن قريب العهد بالجمود فقوته مانعة//[١٠١و] رادعة لانه يبرد تبريداً معتدلاً، واما الجبن المتخذ من لبن حامض ففيه مع هذا قوة اخرى تحلل تحليلاً يسيراً.

---

(١) البلط: الصلب، او خاماً جمع وخم.

(٢) السلع: البرص.

(٣) القول لجالينوس: والنوع الآخر من الجبن (على نوعين عامس وطيس).

(القول في الزبد والسمن)

ان جالينوس لم يعلم ان السمن يتخذ من البان المعز والبان الضأن وانما تلكم فيه على انه معمول من لبن البقر لا غير وقد ينبغي ان نقول نحن فيه على انه متخذ من لبن المعز والضأن والبقر والجواميس، وان نذكر الحال في كل صنف منه وسائر البان الحيوان مثل الجمل والفرس والحمار فليس يوجد البتة من هذا الجزء شيء له قدره يمكن ان يجمع منه الزبدة والزبد كله ابرد من السمن وارطب لما فيه من الجزء المائي لان الزبد كالقيروطي حتى تفارقه المائية عاد دهناً كذا الزبد اذ غلي او فارقته المائية صار سميناً دهناً بمنزلة سائر الادهان فقد يجتمع في الزبد تبريد لمكان المائية وتسكين حدة الاخلاط وتحليل وتعشية وترطيب والكيموس المتولد عنه كيموس محمود وهو يغذو الاعضاء والنفس الحيوانية غذاء حسنا وهو بارد في اخر الدرجة الاولى من الدرج الصغار رطب في اخر الثانية منها هذا اذا اكل وحده وبخبز فقط، واذا اكل بالسكر والعسل كان جيداً شديد التحليل سريع التنفيذ بمنزلة قيروطي قد القي فيه الخل الا انه يكون قد مال الى الحرارة وبقي فيه اليسير من الترطيب وصار هذا الحال لا يرخي المعدة والات والمعدة والات الغذاء ولا بديل بدن مدمنة فان اكل بالتمر كانت رطوبتة باقية عليه واعتدل في الحر والبرد وغدا غداء كثيراً وان خلط بالاطعمة كما يخلط بالارز واللبن كان غذاء حسناً بالفعل في الابدان محمود الكيموس، وان خلط بالحلواء كان جيداً ايضاً وكسر من حرارة العسل// [١٠١ط] او السكر وعدل يبسهما ومنع من سرعة استحالتهما الى الفساد وكان كثير الغذاء للبدن والنفس.

والسمن كله في ارجح من درجتين من الدرج الصغار رطب في درجة من الدرج الصغار وحرارته بلدونة حرارة هوائية ولذلك هو محلل يستعمل في اورام بعض الابدان ورطوبته وخيمة دهنية هلاّكه[1] اذا اكل وحده او بالخبز فان اكل بالسكر او بالعسل كان حاراً في خمس درج صغار وصار ترطيبه بغير وخامة وحسن نفوذه عن

---

(١) يريد انه مهلك.

المعدة والذي يتولد عنه كيموس جيد وغذاؤه كبير يرطب البدن ويسخنه، وان عمل منه حلواء من العسل او من السكر او منهما كان الامر فيه كذلك الا ان النار والصنعة تجعله وما خلط به شيئاً، غير كل واحد من الاشياء المجموعة، وجملته تولد كيموساً جيداً ويغذو غذاء كبيراً ويسخن اذ ذاك البدن ويسمنه بغير ترهل والقريب العهد بالصنعة الطري فهو اكثر حرارة ورطوبة من القديم العهد، ولذلك الاطباء اذا ارادوا ادمال جرح الزموه السمن العتيق واذا طال مكثه فاخذ يسود جمع فيه امران انه يمنع الجرح ان يفتح لشغله مجاري الفتح بدهانته كما يفعل الزيت الاخضر الصافي فانه اذا الزم جرحاً منه اول حدوثه قبل ان يظهر فيه الفتح لم يفتح البته وظهر فيه نبات اللحم كالخردل حتى يدمل من غير ان يرطب ولا احصي كم مرة فعلت هذا وذلك ان الزيت الاخضر الصافي فانه اذا الزم جرحاً منه اول حدوته قبل ان يظهر فيه الفتح لم يفتح البتة وظهر فيه نبات اللحم كالخردل حتى يندمل من غير ان يرطب ولا احصي كم مرة فعلت هذا وذلك ان الزيت الاخضر الصافي من العكر يجري في مسالك الغذاء فيشغلها من ان يجري فيها غذاء الى القرحة والغذاء اذا ورد الى القرحة والى ما اطاف بها مما هو عليل بها ضعفت القوة عن ان نسبة الغذاء بالعضو فان كانت القرحة لم تأخذ في الصلاح حدث من الغذاء سواد وفساد وشيء شبيه بالدم والصديد وعرض فيه النتن //[١٠٢و] وربما داد[١] الجرح، وان كان الجرح قد اخذ في الصلاح وتحركت الطبيعة ان تأسوه[٢] حدث في مواده النضج هو المدة[٣] البيضاء المتشابهة الاجزاء او نفته الدافعة عنه فعلى هذا السبيل تراها تبرأ بالمدة والسمن العتيق يمنع من جريه الغذاء فاذا منع من ذلك صار الجرح بمنزلة بدن عليل قد لزم الحمية فقلت مواده فسعلت على الطبيعة ان تبريه، ولان في السمن العتيق وفي الزيت قوة مجففة تجفيفاً

---

(١) داد الطعام يداد دوداً أي اصبح فيه الدود. انظر اللسان مادة دود.

(٢) الأسا المداواة والعلاج ويقصد (ان علاجه حدث).

(٣) والمدة ما يجتمع في الجرح من دم وقيح وغيرهما. ينظر شرح الفصيح لابن هشام اللخي ص٨٨.

معتدلاً مما يندمل ذلك الجرح[١] ويختم والفرق بين الزيت الاخضر والسمن العتيق: ان الزيت انما يعالج به على الدم الطري والسمن على الدم الطري وعلى القيح النصح[٢]، واما اذا كان القيح غير نصح فينبغي ان يلزم السمن الطري والزبد أي ذلك اقتضت الحال الحاضرة والسمن اذا تقادم فلا خير للغذاء فيه لانه يعرض اليبوسة وفساد الطعم وتزول لذته فلست متكلماً فيه فانا منذ الان اخذ في انواع الزبد والسمن بحسب كل حيوان يعمل ذلك من لبنه.

(القول في الزبد والسمن بحسب الحيوان)
(الذي يعمل ذلك من لبنه)

اول مراتب اللبن في الفضيلة البان الناس ثم بعده عندي لبن الفرس ثم بعده لبن اليحمور[٣] ثم لبن الحمير وكل هذه مشابهة للبن الناس ولا ارى ان يستعمله الناس على طريق الغذاء الا ان يكون غذاء لطفل مرضع متى اضطررنا الى ذلك فارجع الى قولي في السبب الذي لا ينبغي ان نغتذي بلحم الناس وافهمه من ثم، وتالي هذا في الفضلة لبن المعز لان في المعز كَيس شبيه كيس الانسان ومتى عمل شيئاً مما يليق بمثله يعمله وشعره حسن ففضل بدنه قليل وهو اشعر والانسان اشعر، وليس بوبر ولا بذي //[١٠٢ط] صوف وافهم ان الصوف واسطة بين الشعر والوبر فلنجعل الان لبن المعز في المرتبة الاولى من مراتب اللبن المفتذى به وله زبد، فزبده المرتبة الاولى وزبد البقر في الاخير وزبد الضأن متوسطاً ومن زبد البقر زبد الجواميس طرفاً بعد البقر في الاخيرة والترتيب في السمن كترتيب الزبد، فاقول ان زبد البقر معتدل في الحر والبرد ومعتدل في الدماثة والمائية سريع الانهضام في المعدة متقدم على سائر

---

(١) اراد فيندمل ذلك الجرح بسببه.

(٢) أي القابل للشفاء.

(٣) وهو من انواع البقر الوحشية. انظر مباهج الفكر ٣/٢٤٠.

الزبود، وهذا اذا اكل بالخبز فقط واذا خلط بالسكر والعسل كان صالحاً الا انه مبرد في درجتين صغار اعني زبد المعز ومرطب ايضاً في ثلاث درج صفار وسمنه ضعيف لطيف كأنه دهن اللوز في الادهان وهو ابيض وزبد البقر قليل المائية كثير الدهانة جوهره بالاضافة الى زبد البقر غليظ وهو الحر من زبد المعز الا انه متخم وهو بارد في الدرجة الاولى من الدرج الصفار، ويرطب في درجتين الا انه خير من زبده لان النار قد اصلحته وهو اثبت على النار اذا عمل به الحلوى من زبد المعز وبذلك على غلظ جوهره تحبنه وانه يجمد بالبرد قبل كل زبد وما دام سمن البقر طرياً ففيه تخليل شديد للاورام فاذا قدم قل ذلك فيه وزبد الضأن وسط بين هذين الزبدين والسمنين وهو محمود جداً واجعل نسبته الى سمن المعز كنسبة الشيرج(١) الى دهن اللوز، وزبد الجواميس ولحمها بعيد عن مزاج سمن البقر وهو غليظ وخيم الا انه حسن الغذاء بعيد من الفساد، بعيد منم الفساد في المعدة.

القول في الماست(٢):

الماست يعمل على وجهين احدهما ان نصب الحليب على الزيت // [١٠٣و] يتجبن ويقوى ويحمض وهذا مزاجه بارد في خمس درج صغار مرطب في درجتين كبار وترطيبه بتغليظ لان الكيموس المتولد عنه فيه نهوة، واذا طبخ باللحم المحود والبصل والفودنج(٣) كان صالح الكيموس الا انه بارد في دون الثلاث درج الصفار ومرطب في نحو ذلك ويقل ويكثر بحسب ما يلقى فيه من الاشياء التي تلطفه كالزنجبيل والخولنجان والدارصيني والفودنج والنعناع ويغلظ متى وقع فيه الكمأة ونحوها والنوع الاخر يجمد بالانفحة ويحمض وهو اقل برداً من هذا واشد ترطيباً واقل عفونة لانه مناسب للجبن الرطب مناسبة ما ويبعد عنه بمقدار قوة الحموضة فيه.

---

(١) الشيرج: دهن السمسم.

(٢) انظر الجامع لمفردات الادوية والاغذية ١٠١/٤.

(٣) وهو الصعتر انظر المصدر السابق ١٧٠/٣.

الباب الخامس

في الدجاج

قد نقدم القول في ما يؤكل من ذوات الاربع فقط وقد ينبغي ان نتبع ذلك بالقول فيما يؤكل من ذوات الجناح من الحيوان المملوك فانا ابتدى في هذا الباب بالقول في الدجاجة منه فأقول الدجاج دجاجان البنطي الذي يتوالد في القرى ويرتعي بزور الحشائش مما تدبره الطبيعة فقط ويرتعي البزور التي يدبرها العقل والطبيعة معاً ويرتعي مع ذلك الاخباث والدبيب وله على وجه الارض حركة سريعة دائمة ويفزعه الحر والبرد، والاخر يجرى مجرى الغنم العرابية المربوطة في البيوت التي تأكل علفاً واحداً صيفاً وربيعاً وخريفاً او قد ذكرت الحال فيها في القول في البانها وهو الدجاج الذي يسمى الهندي والقبرصي والهمداني والقلطي والدينوري وهذه تأوى المدن وتصان من الحركة وتعلف بكسب البذور ونخالة البر والشعير في الاوقات والسنبل ونقاوة الحنطة لا //[١٠٣ط] غير ولها خلق عظيمة وهي توقى شدة الحر والبرد وتطعم البقول في اوقاتها كالقثاء والخيار وجوف القرع وحب البطيخ واشباه هذا والاوراق التي تؤكل من البقول، فاما الدجاج النبطي الذي يفرخ في القرى فهو احر وايبس من الدجاج الهندي ويدل على ذلك خفة حركته وسرعتها وهذا اصل في جنس جميع الحي وبهذا السبب صرنا نجد فيه بورقية مسهلة وصار لحمه خفيفاً سريع الهضم متى اكل مشوياًَ وصليقاً على اصلنا في باب لحوم ذوات الاربع المأكولة ومتى قيل بالتوبل مال بحسب ذلك واذا سلق واهريق ماؤه ثم طبخ بماء ثاني مالت عنه البورقية والاسهال واللطانة تكاد ان تستولي عليه الطيوب المصنوع بها وهو يسخن بدن الانسان المعتدل في الدرجة الاولى من الدرج الصفار ولا اقول ان لطبخه مرطب الا ان تكسبه الصنعة ترطيباً كما من عادتنا ان نلقي في الزبرتاج اللوز المقشر من قشرية المربا بالدق او الخشخاش فانه ذا ذاك يكون مرطباً ويكاد لحم هذا الا يكون احسن لبته الا ان يكتسب ذلك من سوء مرعاه فان حبس في البيوت اسبوعياً او اسبوعين او

ثلاثة اسابيع وعلف الشعير والحنطة ويسقى الماء العذب كان في نهاية جودة الكيموس وصلاحه والمتولد عنه دم حسن الاعتدال مشرق واللون صاف ينفذ بأجمعه عن العروق الى الاعضاء ويسر بها ويستولي عليه ويغدو الروح الحيواني والاعضاء إذا حسنا وان احتجت ان يميل لحمه الى السخونة علفته الشهدانج[١] وبزر الكتان والجود والحبة الخضراء او القرطم[٢] الابيض البري والقت معه ذلك له الكمون وما اشبه هذه الحبوب فان لحمه اذ ذاك يكون مسخناً وشحمه محللاً شديداً التحليل وينتفع به اصحاب //[١٠٤و] الامراض الباردة والابدان الصحيحة الا ان صحتها تقتضي التدبير المسخن وان اردت ان تيبس لحومها علفتها الارز بقشرة الاحمر والدخن والذرة والجاورس واما ماعلف منه عجين البر عشرين يوماً بغير زيت وعشرين يوماً بزيت واكره على الاكل تلقيماً فلحمه لا محالة حلو لذيذ رطب وشحمه كذلك الا ان فيها نهواً وفي كيموسه فضله تبقى في العروق يسيره ومتى لم يصلح تدبيره بالصنعة نفتها العروق الى الاطراف وكانت واحداً من اسباب النقرس وذلك له من اجل انه مكره على الاعتداء محبوس ممنوع من الحركة وكما يعرض لهذا الحيوان اذا علف ونقل وكنز الشحم في بدنه ان تفسد مفاصله فيلتوى جناجاه او احدهما او رجلاه او احدهما او تمتلئ مفاصل رجليه وجناحيه رطوبة غليظة تعونه عن الحركة ويمنعه عن النهضة حتى يؤثر الجلوس مثل ذلك يعرض لاكله اذا ادمنه واستكثر منه ولم يصلحه بالضعة ويصلح مافي عروقه بالجوارشتات[٣] الهاضمة الملطفة واذا اكمل هذا مشوياً فانه يسخن بدن الانسان في اكثر من درجة صغيرة ويرطبه في نحوها فاما جوا ذيب هذا الدجاج بالحلو ويغير الحلوا فيرطب في نحو من ثلاث درج صغار وليست وخيمة ولا يولد كيموساً عظيماً غليظاً وهو خبر من جميع الجواذيب المعمولة تحت سائر الحيوانات ولها عرض ينبغي ان ينظر فيه وما علف من هذا العجين غير مكره من

---

(١) الشهدانج: ويسمى سلطان الحب وهو حب القنب انظر التاج مادة (شهدنج).

(٢) القرطم: العصفر ينظر الجامع لمفردات الادوية ١٥/٤.

(٣) الجوارش: اخلاط تمزج وتخلط ويعمل منها دواء انظر التكملة ص١٦.

صنع له ورمى به اليه لنا كله بحسب ارادته وقدر شهوته وكان متحركاً في سعة نظيفة لا تحدتها جبناً ولا دهناً كان احمد مما علف مكرهاً ولم يكن في لحمه فضل البتة بفضل عما يغتذي به بدن الانسان ونفسه وان كان //[١٠٤ط] فقليل [وتح) بقوى الطبيعة على اصلاحه في مدة وان كان في الحرارة مثل الاول وفي الترطيب اقل منه وان اردت ان يكون لحمه مبرداً مرطباً علفته الشعير المقشور والخشماش ولباب القرع وحبة وورق الحمقاء وبزرها وبزر عنب الثعلب والكاكنج[١] والنورا وحب اللفاح[٢] واصوله وذلك بحسب الحال الحاضرة وينبغي ان نعنى بالماء الذي تشربه في عذوبته وصفائه وبرده وليكن مسافته حافتين واسعة بكثرة الماء هي لا يؤثر في الماء بشيء يسيران وقع فيه شيء من الاوساخ وينبغي ان يغسل في كل يوم فاذا ظهر فيها اللزوجة استبدل بها فهذا القول الكلي فيه، واما الجزء الفروج من هذا الجنس حي حتى تنبغي عنه البيضة وتيبس حرارة قلبه في سائر جسده وهذا هو الوقت الذي اذا اخرج فيه عن البيضة لصق بامه حتى يسخن منها وانما يفعل ذلك لانه ليس له بعد من قلبه حرارة ذات قدر فاذا اصحته بحضانتها عليه اثارت حرارة قلبه واخرجتها من القوة الى الفعل فعند انتشار الحرارة من قلبه في سائر جسمه، يسعى ويدرج وانما يدرج ويسعى لقلة رطوبة بدنه وانه ليس فيه فضل قد حُبيَ واعد ليكون به سريع النمو شديد الحركة نحو المنهى كما ترى ذلك في الفرخ من الحمام ونحوه والفروج لتمام انقلاب الغذاء فيه وتمام الاته الطبيعية ما تلتمس الغذاء لنفسه ويتغذى هو وليس هو كالذي يزق او يلقم ولان مادة بدنه بحسب وقفه ليس فيها فضل صار نموه بطئاً بالاضافة الى نمو ما يزق وما يلقم لان الفروج يبلغ منتهى كماله في سنه وما يزق ويلقم فمن عشرين يوماً الى اربعين الى شهرين حتى ينفصل عن ابويه وذلك له نظير ما يورد عليه من المادة وسرعة حركة //[١٠٥و] القوة النامية فيه والدجاج لان مادته منه

---

(١) عنب الثعلب والكاكنج قال عنهما ابن البيطار: هما شيء واحد ينظر ١٣٥/٣، ثم قال عن الكاكنج وهو الذي يعرفه اهل المغرب باسم حب اللهو ينظر ٤٥/٤.

(٢) اللفاح: وهو المعروف بالشمام ينظر الجامع لمفردات الادوية ١١٠/٤.

صغيرة، ومتى صار عمره اقصر من اعمار ما يزن ويلقم لان الهرم يسرع اليه من جهة انه لانه ليس في بدنه ما يفضل عن مادة وفيه، وهذا اصل ينبغي ان يبنى الامر عليه في جميع ما سبيله سبيل الفروج وصغيره وكبيرة قليل الفضل وكبيره ارطب من صغيره وهذا عكس الامر في جميع الحيوان كبيره ايبس من صغيره، والفروج في لحمه حرارة في الدرجة الاولى من الدرج الصغار وهو معتدل في الكيفيتين الباقيتين، ومالم يبيض من الاناث وقد قارب السنة وهي التي من عادتنا ان يسمنها فهي معتدلة بين الفروج وما باض، والديك اذا سفد جميع دجاجه فلا خير في اكله على جهة الغذاء بل على جهة الدواء فان امراقه حادة تسهل اصحاب القولنج[١] ولذلك ليست عادته ولا في لحمه كثير غذاء لحدته الان ان يختلط بغيره وما خصي من الديوك صغيراً فحكمه حكم الحوافي في الفضيلة وما خصي كبيراً فحكمه حكم الفحل فهذا ما نقوله في الدجاج النبطي، والدجاج الهندي ابرد من الدجاج النبطي وارطب واغلظ منه جوهراً، وهو يغذو البن غذاء احسن من غذاء النبطي والدليل على انه ابرد واطيب من الدجاج النبطي ثقل حركته وومطؤ سعيه، وانه لا يروم النهوض البته والنبطي قد يروم ان ينهض وكأنه وسط بين الواثب والناهض، والدجاج الهندي واثب فقط واذا كان ابرد وارطب من النبطي فلتحصل اسخانه لبدن الانسان متى كان مشوياً في اول الدرجة الاولى من الدرج الصفار وترطيبه في اخرها وحال لحمه عند لحم النبطي كحال لحم الضأن عند المعز والبقر عند الضأن وغذاء //[١٠٥ط] لحمه مهذب لتهذيب غذائه وطيب عيشه في اخلاق النفس احمد من فعل النبطي لانه اقل ذعراً من النبطي واكثر الفاً للناس ونسبته الى هذه الحال كنسبة ساكني القرى الى ساكني المدن فهذا ما ينبغي ان نذكره في امر الدجاج الهندي وما سوى هذا فهو مشابه النبطي في جميع ما تقدم القول فيه، واما الفيرسي والقلطي والهمداني وما اشبهها فاجعلها وسطاً بين هذين الدجاجين والحقها بعيش اهل المدن في جودة اللحم ونهوته، وجميع لحم الدجاج

---

(١) القولنج مرض يصيب الامعاء ينظر تكملة المعاجم العربية (دوزي) ٤١٥/٨ الهامش.

محمود الغذاء قليل الفضل والاذى متى صنع صنعاً جيداً اذا اضيف اليه التوابل المصلحة القريبة من بدن الانسان وبهذا السبب صار متى صنع صنعاً رديئاً مال الى الفساد غير انه احمد اللحمان.

(الباب السادس)

(في الحمام الاهلي)

الحمام الاهلي حمامان احدهما ناهض والاخر طائر[1] وكل حيوان حسن لباسه فالحمه، وما لان لباسه رطب لحمه لان اللباس السائر برطوبة بدنه في وقت يكون ذلك اللباس من الشيه والشعرة والريشة بعد ان يبلغ منتهاها في العظم يخف اصلها فلا ينمي ولا يبعد او يبقى في اربها الى الوقت الذي يكتسي فيه الحيوان فلذلك كل ذي ريش فهو قليل فضول البدن ناشفة فما ركب منه الارض فنهض، ولم يعلُ كان لذيذ اللحم رطبه كالدجاج والدراج والقبج والتدرج وما يجاوز النهوض وعلا الجو كان يابس اللحم عاسيه، جوهر جسمه كجوهر النار لان العلو للطائر انما هو مع الالة التي خلقت له اعني الجناح طبيعة ذلك الجسم الذي له بالطبع ان يعلو وسنقول فيما يعلو لا مفرداً ان شاء الله، والذي يغتذي به من هذين النوعين الفراخ ما دام ريشه رطباً مملوءاً دماً فاذا يبس ريشه عدمت لذاذته ورطوبة جسمه //[١٠٦و] ونشف بدنه وخف وجف ووجدت زبله اقل ويصير جسمه الة لتلك النفس الطائرة ويصير جوهره حاراً يابساً وينتقل بالجملة عن مزاج الفرخ وينبغي ان تمثيله بالجمارة[2] وهو غذاء الذيذ ومزاجها البرد والرطوبة واذا بلغت منتهاها صار ما ذكرنا ليفاً وسعفاً وخوصاً وكل هذا خشب وليس يغذو وطبيعته ارضية والجمارة مائية وكذا الحال في الحمام وفروخها، وذلك ان فروخها حارة رطبة يسخن الانسان في اربع درج من الدرج الصغار

---

(١) سوف يوضح الفرق بينهما في ١٠٧ و.

(٢) يقصد جمارة النخيل.

وترطيبه في دون الثلاث درج والحمام حار يابس وما كان منها من فراخ الحمام الشامي فهو ابرد الفراخ كلها واشدها رطوبة ولذلك هي اسمن الفراخ وارطبها لان السمن انما يكثر في الابدان الباردة ولحومها بيض لدنه، وفراخ الحمام الطورانية والفواخيت سود اللحوم يابسة ترابية يكاد[1] يلحق بلحوم القطا والقنابر ولبرد فراج الحمام الشامي يوجد ثقيل الحركة على الارض فتخلخل البدن كذي النفس لا تستطيع النهوض الا بكد ولوجد في فراخها استرخاء الجناحين والياؤها وعظم الحسب وترهل الابدان وثقل الحركة وهذا الفرخ اذا اكل مشوياً سخن البدن في ثلاث درج ورطب في درجتين، واذا عمل منه اسفيدباج سخن في درجتين ورطب في اربع من الدرج الصغار واذا عمل منه المصوص اسخن في درجة وبعض الاخرى ان كان بسذاب وكرنس ورطب في درجتين وان خشي فيه الابراد الرطب كان اسخانه في درجة ورطب في اكثر من درجتين ومن عادتنا في بغداد ان تغلف هذا الحمام القرطم ولباب البر فحكمي عليه على هذا الغذاء وان علف خبطاً وشهدانج وشعير مقشور مرضوض او دخن فينبغي ان تترك الام فيه //[١٠٦ط] في هذه المنازل لان كلامنا في الغذاء ليس كلامنا في الادوية المفردة وكذا ينبغي ان يحكم على هذا الفرخ متى طبخ مصيره كان الحكم عليه غير الحكم اذا طجن واما الراعبية[2] فهو من الحيوان الناهض وقد آن لي ان اذكر الفرق بين مزاج الناهض والطائر، فاقول ان الناهض كله مزاجه هوائي حار رطب فبسبب الحرارة نهض وبالرطوبة لم يطر كما ان للهواء مقداراً مافي العلو وللنار مقداراً علانية، فالهواء ارتفع بالحرارة ووقف عند مقدار ما دون النار بالرطوبة ولم يلحق بعالم النار والنار ارتفعت بالحرارة وجفت باليبوسة، وكل بارد رطب ثقيل وكل بارد يابس ثقيل وكل حار رطب وحار يابس خفيفان، والحرارة واليبوسة اخف من الحرارة والرطوبة لان هذا مزاج يوجب الخفة والتخلخل والحرارة والرطوبة توجب التلذذ

---

(١) في الاصل يكاد ان والصحيح ما اثبتناه.

(٢) من انواع الطير.

ودون رتبه الحار اليابس في الخفة وكذا البرد واليبس اثقل من البرد والرطوبة لان البرد واليبس يوجب التلذذ والرطوبة والبرد يوجب اللدونة ومعلوم ان اللدن فيه هواء ما وانما صار الهواء والماء متوسطان في المكان بين النار والارض لاشتراكهما في الرطوبة التي قصرت الهواء عن عالم النار وجعلت الماء فوق الارض وهذا موضع ليس ينبغي ان نستقصي فيه القول لان القول فيه غير القول في الحيوان وعرضي للقول في الحيوان، فانا منذ الان عائد الى قولي من حيث قطعت فاقول ان الناهض طبيعته الحرارة والرطوبة والطائر طبيعته الحرارة واليبوسة وما افرخ على الارض ولم يركب الاغصان وان كان طائراً فهو ارضي ترابي يجري مجرى المنجر في مجره بالارض وما اوى الماء وطبيعته باردة رطبة فانواع طبائع الطير اربعة انواع //[١٠٧و] وطباع العالي في طيرانه انه حار يابس والناهض حار رطب والدراج بارد ارضي ترابي والطافي والسابح والغانص بارد رطب وينبغي ان نبني الامر في جميع ما نتكلم فيه من طبائع ذوات الريش على هذه الاصول فأقول ان الحمام الراعبي احر وايبس من الحمام الشامي، ولذلك هو اخف منه حركة واشد بصراً الا ان بينهم اجزاء درجة صغيرة(١) والشامي والراعبي رطبان ولذلك يعرض له الصرع دون الحمام ويعرض له التواء الرأس الى الخلف وهو مرض يعرف بالرويحة بين اصحاب الحمام ولا نعرف هذه الامراض في شيء من الحمام، والشامي رطب دقيق الرطوبة ولذلك يعرف له استرخاء جناحيه والتواؤهما، ولم ينق فرخه مقعداً ولا يوجد ريشه منضوداً بل سائباً واما الحمام المعروف بالخسان وهي الاسكافية، والبلبيات، والقمريات، وكل هذين النوعين اشخاصهما مخلصات، والعمريات والقطويات والعقعقيات والحداديات والعنايات الزرق وغير الزرق والدراجيات والرمليات العشاريات والتساعيات وغير ذلك من الحمام التي يتخذها الناس لحسنها والنظر اليها وكلها ناهضة وهي قريبة في طبائعها من الراعبيات، لانها لا تعلو في طيرانها ولا تقطع مسافة وعلفها كعلف

---

(١) أي في درج الاسخان الصغير.

الراعبيات، وعيشها طيب، وكأنها في الحمام لضروب من الانوار التي حلقت لزينة البصر ويعمل منها ثمار يلتذ بها الآكل وكذلك فراخها تؤكل وهذه الانواع معروفة عند من يتخذها وليس غرضي ان اغلب اللعب بالجملة وانعت كل صنف منها وذلك اني بها عارف وانما خمنت ان اتكلم في الحيوان بحسب الانتفاع به //[١٠٧ط] وان كان للنظر منفعة وللنفس سرور متى شغل الناظر ينظر الاشياء المستحسنة فغرضي في هذا الكتاب اشرف من هذا فجميع لحمان فراخ هذه احر من الراعبيات وايبس، متى يكون اسخانها لبدن الانسان متى اكلت مشوية في اول الدرجة الرابعة من الدرج الصغار وترطيبها في اول الدرجة الاولى ولمزاجها عرض فيما بين انواعها وبحسب علفها ينبغي ان يفهم من خارج الكتاب جميع ذلك ويتلو هذه في المرتبة الحمام السراع وهي المعروفة بالمدانيات وهي حمام سريعة الطيران قصيرة المدى لا تطير في مدنها والناس يتخذونها ليباهلوا في سبقها هي في الحمام كالعتاق في الخيل وفراخها لذيذة الا انها حارة شديدة الحرارة تسخن بدن الانسان في اخر الرابعة من الدرج الصغار وترطب في الاولى وما يستفرخ منها في بلدنا يغذي القرطم وحده وما يطير يلعف الشيلم وحده وهذا التدبير بحسب ما تقتضيه الحاجة الى سرعتها ولما يراه اللاعبون بها فان الفرخ الذي قد علف القرطم احر وارطب والذ من الذي قد علف الشيلم وما علف الشيلم ابرد وايبس وبعد هذه في المرتبة فراخ الحمام الهيتي، وهذه حمامات تقطع مسافات طويلة وتأكل الحبوب التي تدبرها العقل والطبيعة فلحمها عاس جاس وهي احر والحمام وايبسها وفراخ هذه ان كانت امهاتها واباؤها محبوسات في البيوت وعلفها القرطم والحنطة وينبغي ان تلحق بفراخ الحسان من الطيور وما يجرى مجراها وان كانت امهاتها واباؤها طائرة فينبغي ان تحلق بفراخ الطيور البرية، وهي الطورانية وهذه احر الفراخ وايبسها واقل لذاذة ولا اقول انها ترطب بدن الانسان متى اكلها مشوية اللهم الا ان تغيرها بالصنعة //[١٠٨و] وجميعها تسخن بدن الانسان في

الدرجة الخامسة في اولها ويكاد يلحق بلحوم العصافير واما المواشيق والمراعبة والقلابة، وهي التي يلعب بها على الهوادي والمواشيق[١] منها باردة يابسة ولذلك هي ركود ثقيلة الحركة باليبس، يوجد لاجنحتها ذلك الصوت ومزاجها ابرد مزاجاً مما تقدم من الفراخ وايبس الا انها تسخن بدن الانسان اسخاناً يسيراً وترطبه ترطيباً يسيراً هذا ان شويت والمواعيش احر وايبس من جميع الحمام الاهلية وطبيعة النار تكاد يوجد فيها خالصة وذلك ان طيرانها ابداً نحو العلو حتى تغيب عن الابصار ولا يوجد لها غير الصعود والنزول وانما ينزل للاعياء او لشدة حر الشمس ففراخ هذه احر الفراخ وايبسها وهي تيبس بدن الانسان في اول صغيره وتسخنه في درجة خامسة صغيرة واما القلابات فهي عندي حمام اذا نهضت او طارت عرض النشج[٢] لها فما انقلب وتخلص كان مقدار النشح فيه يسيرا فاذا زال عنه عاد الى طيرانه وما انفلت ولم يتخلص كان مقدار النشج فيه طويل وفيها ما يقلب على الازار ولا يمكنه ان يعلق وذلك انه اذا طرح على الازار كان صحيحاً فاذا اذعن ليطير عرض له النشج حين ينهض وقلب ان يطير فيسقط على الازار بغير ارادة وانما يبسط له الازار ليلاً [....][٣] الارض فيهلك، واعلم ان نشج هذا في نخاعه دون دماغه ونشج الراعبي في دماغه فليس حيوان ينشج من نخاعه غير هذا النوع[٤] من الحمام الا ان ارى فما استأنف مالم اكره قط فيما سلف وفراخ هذه وما علمت ان احداً من ذوي الافهام اكله ولا آمن على من يأكله ان يحدث به مثل هذا المرض اما من مرة واما من اكثر //[١٠٨ط] منها لان قبول الابدان للافات قبول لها عرض فهذا ما نقوله في الحمام الاهلي.

---

(١) ينظر الفصل الذي عقده صاحب مباهج الفكر ٤١٢/٣.

(٢) النشج وهو صوت يخرج من الفم على خلاف الخنين الذي يخرج من الانف. ينظر اللسان (نشج).

(٣) فراخ في الاصل بمقدار كله.

(٤) في الاصل البوم.

(الباب السابع)

(في القول في البط الاهلي)

البط الاهلي نوعان احدهما الكسكري[(١)] والاخر الريني[(٢)] ويشبه البط الريني وهذا البط وليس[(٣)] ينبغي ان نحكم عليه بحكم طير الماء لانه ليس يأدبه دائماً ولا يقوم فيه ولا يأكل السمك في كل غذائه وانما هو اكثر زمانه ماشٍ على الارض واكله النبات والبزور وهو وان كان ذا جناح فيه من الريش القوادم والخوافي فليس بناهض لانه لا يمكنه ان ينهض بجناحه من وجه الارض الى علو البتة وان كان في نهاية الدنو وانما انتفاعه بجناحه ان يكون متى حدره الماء الجاري الى مكان لا يختاره طار مصعداً مسفاً على وجه الماء في البخار الرطب فيه فيسمى ناهضاً على الماء فاما على الارض فلا ينهض وان يكون متى سقط من شهق الى اسفل تخلص به من ان يصل الى الارض وهو يطير نازلاً الى الماء واما مرتفعاً منه الى الارض فليس ذلك في قدرته وطاقته وكأنه حيوان مركب من السابح الطافي والماشي، وكذلك جعلت اصابع رجليه ملتحية وجعلت فيه قوة تجذف به كجذف الملاح وجعلت له نصبه على الماء ينزل صدره ويرتفع ذنبه وليكون ذلك وايداً في سرعة مروره على الماء والماشي الدراج الذي يأوي على وجه الارض ويفرخ في الحوضات من التراب والطائر الناهض وقد عرفتم حكمي في ان السابح الطافي بارد رطب والناهض حار رطب والفراخ بارد يابس الا ان هذا التركيب ليس على تساوٍ بل على المقدار الذي يعلم تحرير القول فيه تارة ومخالفته ولكني اقول فيه قولاً طيباً أي قول يدخل عليه الحدس //[١٠٩و] والتقريب وهو ان لحم البط كسكريه اذا اكل مشوياً لم يسخن بدن الانسان المعتدل ولم

---

(١) نسبة الى مدينة كسكر.

(٢) نسبة الى مدينة الري.

(٣) أي حمير.

يبرده، وغذاؤه غذاء معتدلاً في هاتين الكيفتين الا انه يرطب ترطيباً في الدرجة الثانية من الدرج الصغار وهو اذيب(١) هذه الطيور ترطب اكثر اللحم ويكاد ان يكون ترطيبها في الدرجة الثالثة من الدرج الصغار وغذاء اللحم والجوذابه غذاء محمود جيد والفرق بين لحم الريني والكسكري ان الريبي الطف لحماً واخف واسرع حركة الى قبول الهضم، فان صنع منه صنيعاً غير الشوي فينبغي ان يبول فيقال فيه انه متى طبخ اسفذباج انه يرطب اكثر، واذا طبخ باللبن انه يبرد ويرطب، واذا عمل منه الهرايس انه يرطب اكثر منه مشوياً، ويسخن اقل ويكون كيموسة اغلظ ويكون البدن اغذى، وهذا اذا القم دقيق الحنطة والزيت كان شحمه وسميته اكثر من لحمه وكما يؤخذ ذلك في الضأن وفي سمن البقر وذلك في هذه الحيوانات لزيادة الرطوبة وقلة الحرارة وينبغي ان يجعل ما اقوله اصلاً وهو قول تعلمناه من جالينوس في كتاب المزاج وهو ان الابدان التي قد اعتدل فيها الحر والبرد، والرطوبة فيها اغلب تكون معتدلة متى سمنت وكثر اللحم والشحم وما غلب عليه البرد كان السمين والشحم فيه اكثر وما غلب عليه الحر، كان اللحم عليه اكثر ويمنع ان يكون خصب البدن الا مع غلبة من الرطوبة فبسبب هذا ان هذا الحيوان ارطب من ذوات الريش الاهلية وابرد مزاجاً في نفسه وليس على سبيل القول في الغذاء فقط بل على سبيل الطبائع صار سميناً اكثر منن جميعها ويوجد السمين وطيفاً //[١٠٩ط] ببدنه كله كما يسمن الضأن ويوجد الشحم على قانخته ويكثر فيه اللحم ويزداد لحمه لذاذة ورطوبة ولبرد قلبه ليس يوجد في ذكوره القتال كما يوجد ذلك في الديوك وهو حيوان راكد ثقيل الحركة انس بالناس فاتر النفس ليس بذي خلق ونفسه [نعاسة] يشبه ما ينبت على الشط والزرع الذي ينمى بالماء الكثير في الارض اللينة الورعة اللبقة ويبرد مزاج هذا الحيوان ولرطوبته فروثه ثلط(٢) ابداً كما ان البقر لما غلب على مزاجها البرد والرطوبة صارت احشاوها رطبة

---

(١) الحذية من اللحم ما قطع طولاً، ينظر اللسان مادة (حذا).

(٢) يقال ثلط الثور اذا سلح والمراد بالثلط البراز.

والابل لما غلب على مزاجها الحر واليبس صارت تبعر بعراً صلباً مبدداً فاما كيف ذلك فقد قلناه في كتابنا في القولنج ومداواته وسنقول فيه اذا تكلمنا في الابل والبقر ان شاء الله، هذا الحيوان له في عنفه حلقومان اسنان مفترس يشتركان في شبه الكرة غضروفية ثم ينضمان كهيئة لدوبان وهما بالاضافة الى مقدار جسمه دقيقان واحسب ان ذلك جعل له كما لنظيره من الطائر الذي ياؤي الماء وانما جعل ذلك للطائر الذي يأدي سطح الماء كما جعل للسمك الذي هو عائص في الماء لابث فيه حياته، كما جعل للسمك الاضلاع المتحركة لئلا يجتمع في قلبه ولا اقل القليل من البخار الدخاني، ولثقل حركته وان رجليه الة للسباحة والمشي معاً ليس فيها قدرة على المسك كما ترى ذلك في الدجاج وجعل له زب طويل يخرج من دبره يسفد به وهو يبرز عند الانعاظ.

(الباب الثامن)

(في الكلى والرئة والريش من ذوي الريش)

وما يتصل بذلك من المنافع التي لهذين العضوين والعلة في ان ذا الريش لا يبول: ذو الريش من الطير كله لا يبول للحاجة الداعية الى مائية دمه ورطوبته //[١١٠و] ليكون ذلك مادة للباسه الطبيعي اعني الريش يستخدمها وما كان من ذي الريش ثوباً كان له ريش واحد فقط وما كان منه مائياً كان له ريشان اثنان، ريش شبيه بالريش الذي على الحيوان الارضي وريش ناعم في اصول ذلك على بدنه كمله متى نتف عنه الريش الظاهر بقي ذلك قائماً بنفسه وهذا اشبه شيء بما عليه ويجد المرعزي[١] نائباً على جلده ورغمة لتدفئه وصار هذا يرى في الشتاء دون الصيف، لانه لا حاجة به اليه في الصيف فاما طير الماء فلما كان لازماً للماء شتاء وصيفاً كان ذلك موجوداً في سائر فصول السنة وللطائر كله عضوان يقومان مقام الكلي في المنافع التي يحتاج جسمه اليها ان شئت ان تسميها كلوتين او غير ذلك تسمى البعبعة وهي مركوزتان في ظهره في اذنين لهما تحت الكلى معلقة في غير ذي الريش وكذا رئه ذي الريش ملصقة بضلوعه في اواري لتكون رئته تنفخ، فتحيز الهواء وينبسط انبساط ضلوعه وينقبض بانقباض ضلوعه ولا يكون بمنزلة رئه الناس، والخيل وما اشبهها من الحيوان غير ذي ريش وذلك ان الطائر يستعمل ادخان الهواء ضروره زيادة على ما يوجبه حاله اذا مشى على الارض او كان ماراً هادياً عليها وذلك انه يجتر الى فضاء صورة منه مقداراً كثيراً قبل نهضته ليرفعه ذلك في الهواء وهذا شبيه بما يفعله السابح منها اذا سبح في الماء ان يجتر الى رئته هواء كثيراً يكون عدة له يرفعه على سطح الماء ويقوم له مقام شكوه يشدها السابح على ظهره ويكون ما يحركه من الهواء ابداً اقل ومن شاء امكن ذلك فليرسل نفسه وليَرمْ ان يركب //[١١٠ظ]

(١) يقصد به الريش الناعم.

سطح الماء فأنه لا يقدر على ذلك ويعوض لوقته وهذه عله كل سابح يسبح من غير حيوان الماء فاما حيوان الماء فنحن نأتي بعلته اذا تكلمنا في السمك ان شاء الله.

ينبغي ان اعود الى كلى الطير فقد خرج بي الاشتراك بالقول الى ان تكلمت في الرئة فأقول: هذا العضو قد جرت العادة بان يسمى بعبعة فكيف شئت سمه، فاما منفعته فانه يُنْقى فضول الاخلاط من دم الطير غير الفضل المائي ويخرجه كذا الى مستقيمه فيحمى ويغلظ هناك ولذلك يوجد مع ذرف الطير رطوبات ممتازة[١] عن ذرقه مخاطية او لعابية بيض وخضر، وذوات الوان مختلفة فهذا العضو من الطير يفعل فعل جميع الكلى لاجتذابه مائية الدم، فاذا اردت معرفة ذلك فاعرفه من تشريحك ذوات الجثث العظيمة من الطير، فالريش مع انه يشوه طبيعة الحيوان ليس له كسوة عقلية، ففيه منافع اخرى منها انه كسوة طبيعية وجنة من الحر والبرد ولذلك نجده في اخر الصيف يسقط ويقل وينبت بدله فينتفع الحيوان بقلته وتستجد منه كسوة تكون له عدة للشتاء الا ان عن الطبيعة لا عن العقل ومنها انه زينة ولذلك هو منضود ومختلف الاشكال والمقادير، ومنها ان منه الة للطيران كالقوادم من الجناح ومنها زينة ولباس معاً كالخوافي، ومنها زينة ومنفعة في الطيران والسفاد كالذنب والريش والوان حسنة عند النظر.

(١) أي محتلفة.

(القول في لحم الخروف المعلوف)

كل حيوان ربط وأعلف علفاً محموداً، علاه شحم ولحم محمود قريب من طبيعة ذلك العلف ومناسب له واكتسب رطوبة بين الربط والوقوف وينبغي أن يكون المعلوف في هواء أطيب ومسكن طيب ومشرب صاف فإن ذلك يهذب لحمه ويحسنه إلا أن كل لحم معلوف ففيه نهوة بمقدار ما يفوت الحيوان من الرياضة وبمقدار تلك النهوة فيه لذاذة وامتحانك له في هضمه ينبغي أن تستخرجها من قبول النضج في صنعته بالنار، فإن كل ما قبل النضج بسرعة أسرع هضمه لأن الهضم ليس هو غير طبخ.

الباب التاسع

(في الاغتذاء ببيض الحيوانات الأهلية)

الحال في البيض شبيه بالحال في اللبن لأن البيض يحدث في الحيوان البيوض كما يحدث اللبن في الحيوان ذي اللبن // [١١١و] وكما إن اللبن يوجد فيه حالان أحدهما له مزاج ذلك الحيوان والآخر له من غذائه الذي هو مادة اللبن كذا الحال في البيض، واعلم أن ذا الريش لما كان يغتذي بغذاء أكثر مما يغتذي به من ذي الصوف والشعر تلطف الباري تعالى براً فيه علينا في أن صيّر ما يخلفه لنا من ذوات الريش أكثر عدداً من ذي الصوف والشعر فجعله يبيض ليكون ما يفرخه في الزمان المستقبل.

والبيضة ففيها بياض وفيها صفرة، وعليها قشر رقيق يسمى قيضاً[١] وهو بمنزلة الجلد وقشر يعلوه صلب فالبياض رطوبة غليظة لزجة متشابهة الأجزاء وهي بمنزلة المني، والصفرة رطوبة سلسة ناعمة أشبه شيء بدم قد جمد وهي للفروج مادة يغتذي

(١) القيض قشر البيضة. انظر اللسان مادة: (قيض).

بها من سرته، والبيضة بالطبع كرية ما رطوباتها كرية وأسفلها في وسطها[١] ولما حصل له الشكل الصنوبري صار لها رأسان فالرأس الأعظم منها وهو قاعدة الصنوبري هو الذي يتكون فيه من الرطوبة البيضاء عين الفرخ ثم دماغه ثم جملة رأسه ثم ينحاز البياض في لفافةٍ واحدة وهي جارة الفرخ وتتحاز الصفرة في غشاء واحد وهي سرة الفرخ ثم يحولان دماً عبيطاً[٢] فيكون الفرخ من الرطوبة البيضاء وتصير الصفرة دماً يغتذي بها من سرته بمنزلة ما يغتذي الجنين من سرته بدم الحيض[٣]، وقد ذكرت في المقالة الأولى كيف يكون الفرخ في البيضة وأبنت بالعلة فيه فبياض البيض مادة للعظام والغضاريف والأعصاب والربط والوترات والعروق غير الضوارب، والأغشية وصفرة البيضة مادة لما يغتذيه الفروج وينمي به الأعضاء ويتولد عنه اللحم المنفرد والشحم والسمين وكما أن اللحم والشحم والسمين ألذ من جميع هذه الأعضاء كذا صفرة البيضة // [١١١ط] ألذ وأحمد من بياضها، والصفرة أحر من البياض وأيبس، والبياض أبرد منها وأرطب إلا أن رطوبته مع غلظ جوهره ويبس الصفرة مع لطافة ولا أحمد الكيموس المتولد من بياض البيض لأنه مادة الأعضاء غير المستلذة ولا حميدة الغذاء، وإذا سلق البيض بالماء أو شوي فإنه يبرد بدن الإنسان المعتدل تبريداً في درجتين من الدرج الصغار وترطبه في أكثر من ثلاث درج صغار ويكون الكيموس المتولد عنه فجائياً وإن كان هذا البياض في ؟؟؟ إسفيذباج بلحم لطيف أصلح بالتوابل ؟؟؟ كما ترى ذلك فإن البيضة تتفقأ في القدر فيبقى البياض جامداً حول الصفرة والصفرة جامدة دون البياض ممتازة عنه، والصفرة إذا

---

(١) يقصد أن الشكل البيضوي قاعدته ورأسه يتشابهان ووسطه يصلح أن يكون قاعدة لكل مقطع من جزئيه.

(٢) أي دماً مختلطاً.

(٣) هذا بحسب رأي العلماء القدامى أما في الواقع فلا علاقة بين دم الحيض وغذاء الطفل الذي يصله عن طريق دم الأم من غير أن يختلط دمه بدم أمه حيث تحصل التغذية عن طريق المشيمة.

أكلت مشوية أو سليقة في القشر أسخنت في الدرجة الأولى من الدرج الصغار ورطبته فيها، فإن أكلت في الإسفيذباج عدت غذاءً معتدلاً في صنفي التضاد أو قريب من الاعتدال إلا أن الكيموس المتولد عنها وإن كان محموداً لطيفاً مما يغتذي منه البدن، فهو غذاء ليس يشد البدن إلا في الأبدان المترفة فإذا خلط البياض والصفرة وعملت منه العجة[1] التي تعمل بدهن اللون أو الزيت العذب أو الشيرج أو بعض الشحوم اللطاف كان مسمناً ومرطباً في درجة من الدرج الصغار فإن خلط باللحم المدقوق زاد في إسخانه وترطيبه بحسب ذلك اللحم ولطف جوهره وغلظه وبرد وسخن بحسب الصنعة وما يضاف إليه فإن العجة المعمولة بلحم مدقوق وفلفل ودارصيني غير المعمولة بالباقلاء الطرية كالكمأة، وأما من قال من المتقدمين في البيض إنه معتدل ولم يقرن به الصنعة منقولة فيه بالأدوية أشبه من قوله فيه بالأغذية وإلا فمن المغتذي بالبيض منا هذه ومن المفتقد لهذا ممن اعتداه فإن لم يكن هذا استخرج بطريق التجربة // [١١٢و] لا بطريق القياس فمن الذي يقول إن البيض المصنوع صنيعاً مختلفاً قوته واحدة وليس هذا بأعجب من قولهم الحنطة حارة على سبيل الغذاء والشعير بارد ويلزمهم في هذا القول كما يلزمهم في البيض، ولما كان الذي يؤكل أصنافاً منها بيض الدجاج الهندي ومنها بيض الحمام ومنها بيض البط الكسكري، ومنها بيض البط الريي وجب أن نذكر الفرق بينهما بحسب الفروق بين هذه الحيوانات وكما إن اللبن قد يختلف مزاجه في حيوان واحد بحسب علف ذلك الحيوان فقد ينبغي أن ينظر في البيض بحسب اختلاف غلف الحيوان فأقول إن أحر البيض كله وأرطبه وألطفه جوهراً وألذه طعماً وأنعمه جرماً هو بيض الحمام الذي يعلف في البيوت القرطم والحنطة والذرة والدخن ولباب البر، وما رعي من الحمام واعتلف من بزور الصحراء كان أيبس من هذا إلا أن إسخانه وترطيبه ينبغي أن يجعل في النصف من درجة صغيرة وبعد هذا في المرتبة بيض الدجاج النبطي متى كان علفه هذا العلف والنخالة والكسب

---

(١) ضرب من المعجنات. انظر اللسان مادة (عجج).

والبقول وما تعلفه الدجاج التي في المدن دون ما في القرى فإنه دون بيض الحمام في الحرارة وهو في الرطوبة واليبس معتدل وجوهره لطيف إلا أنه في اللطافة دون بيض الحمام وهذا أغذى من بيض الحمام وأنا أفضل غذاء هذا على ذلك من أجل أن الغذاء ليس ينبغي أن يكون مسرف اللطافة لئلا يرخي الأبدان وكذا أيضاً وإن كان الغليظ يشد الأبدان فليس ينبغي أن يكون مسرف الغلظ لئلا يكد الآلات ويفسدها، وقضية كلية كل غذاءٍ لطيفٍ فهو قليل الأضرار بآلات الغذاء تقهره الطبيعة بسهولة وفعله في البدن فعلاً قوياً فمن هذا لا أحمد بيض الحمام للبدن المعتدل في صحته وما كان من هذا الدجاج يأكل الأخباث ويرعى المزابل فلا خير في بيضه ولا أقول // [١١٢ط] فيه بل أنفيه وأرذله، وأعود وأرد إلى لحم الخنزير بعد لهذا في المرتبة بيض الدجاج القرشي هو أبرد وأيبس من بيض الدجاج النبطي في النمو من تلين درجة صغيرة في الإسخان والترطيب وأرى أن ترطيبه أكثر من إسخانه وهو أكثر صفرة وأقل بياضاً وكذلك في كل البيض أنه كلما عظمت البيضة كانت صفرتها أكثر وبياضها أقل ولهذا سبب وهو إن الصفرة تكون في وعاء شبيه بالرحم معلق بظهر الحيوان الذي يبيض فتكون فيه الصفرة على مقادير فما كان من الحيوان يري فرخه الأنثى فقط اجتمع في هذا المكان منه غذاءً كثيراً جداً فمنه مثل الخردل فصاعداً إلى مثل الحمص والبندق فصاعداً إلى مقدار صفرة البيض التي تليق بذلك الحيوان أن يتولد ذلك من نفس العروق التي تلي ذلك الموضع كما يلي هذه العروق ما يلد إلا أن القوة التي فيما يبيض تكون بيضاء والقوة التي فيما يلد تكون أطفالاً فإذا كثرت هذه الصفرة في أخوات الأناثي التي يربي فوجدها دون الذكارة تعرضت للذكارة وشقت وهاجت هيجاناً شديداً بحسب كثرة الصفرة في أجوافها، حتى أن الدجاجة يختارها الإنسان والكلب، فيلصق بالأرض ابتغاء السفاد وهذا النوع من البيض تهيج منه الأنثى والذكر ويقع أي ذكر اتفق على أنثى صادف وتطاوع أي أنثى كانت أي ذكر لقيت حتى أنه إن رام السفاد منها حيوان من غير نوعها طاوعته ولقلة زيادة الشبق فيها لا تتزاوج تزاوج الحمام، لأن التزاوج إنما يكون فيه قوة على السفاد دائماً في كل

أوقات السنة ولا يوجد فيه في وقت دون وقت وذلك أن قوة السفاد فيه معتدلة ففكره خير من فكر من يتسلط عليه الشبق ويكون مع محبته الشبق يؤثر الذكر والمسكن // [١١٣و] ويدبر أفراخه ويربيها ويمكنه أن يقتصر على أنثاه وأنثاه تقتصر على ذكرها فتتزاوج، وعلة هذا أن كل حيوان غلبت عليه علة الشبق والمحبة والتودد والمصافاة والدماثة وإيثار الجميل لقوة الشبق والغلظة وتسلط النفس بزواج وربى الأبوان فراخهما وأوكرا وقدرا على السفاد باعتدال دائماً ولم يعترض له أن يهيج وكل من قوي عليه الشبق وهاج ولم يكتف بأنثاه واحدة ويطلب إناثاً بغير نهاية لم يعشق ولم يربِ أولاده، وكذا ينبغي أن يحمل الأمر في الناس فإن العفيف هو الودود الحفوظ الذي يقتصر على حرمه ويؤثرهم ويكره ما سواهم مما لا يمكنه أن يمسه ويعف عنهم فيكون ذلك سبباً لتخليه المحارم وإيثاره في حرم غيره ما يؤثره في حرم نفسه وبعده إلى سواه ورأى أن هذا الأمر له بغير نهاية ولا فيه خير واستحسن أن يجمع هو وغيره على بابه ولا يمكن أن يجري أمر الناس على أمر البهائم فإنه بهذا الوجه أسوة بأرسطوطاليس بالأخلاق والسجايا فهذه العلة قد ذكرناها، وأما الدجاج ونحو من القبح والدراج والقطا وما أشبه ذلك فجميع إناثها مادامت الصفرة كثيرة في أجوافها يؤثر السفاد ولا يفكر في الفرخ ويرمي بالبيض ولا يحضن عليه متى يقل في أجوافها وتضعف حركة الشبق ويستقر الفكر منها للجنين على فراخها فيصنع أفحوصةُ يجمع فيها البيض ويراعي منها ذلك المكان فإذا بقيت مما كان اجتمع هناك ضربت الذكر وكرهته وحصنت ورتب فراخها دون ذكرها وسنقول في سائر صنوف الحيوانات في مواضعها وهذا النوع يسفده واحدة من الذكر يلقح منه من البيض عدة، وأنا على ذلك برهان، وهو أن الدجاجة التي تكون في جملة دجاج مع ديك فقد تبيض أبداً وجميع // [١١٣ط] بيضها فيجب وليس يسفدها في كل يوم وربما كانت ممن يسفدها في أيام ويدمن سفاد غيرها ويرى البيض في النجابة واحد، وقد رأينا من يأخذ دجاجة فيطرحها مع ديك غريب عنها يوماً أو اثنين ابتغاء لجودة نسله ثم يردها إلى محبس ليس فيه ديك فتبيض بيضاً عدة ينجب كله ويظهر سر ذلك الديك في الفراريج وهذا الحيوان

فهو شبيه بالنبات الذي يدبره العقل والطبيعة ومنه النحل وله مثل الحيوان ولذلك تحتاج أن لقح ولقاحه أن الشيء اليسير من الذكر ينتفع به الكثير من حمل الأنثى وينجب به وفي النبات نظائر لهذا كثيرة سنذكرها في كتابنا في النبات[1]، وقد يرى الحمام والعصفور وأشباههما يسفد سفاداً كثيراً في أيام حتى يبيض الحمام اثنين والعصفور أربعاً، ورأينا الإنسان والفرس ينجب في مرة واحدة والجمل يسفد دفعة واحدة ويترك في تلك السفدة الواحدة مراراً كثيرة يجبى من جميعها ولد واحد وليس بعجب أن يجيء من جميعها ولد واحد أو أولاداً كثيرة، كما يرى ذلك في المعز فإنه يسفد سفدة يولد أربع، و؟؟؟ يحيى من منيّه بميّها في دفعات كثيرة ولد واحد فتصور أن حال الديك في سفده حال المعز وأنه يولد أربع إن للعنز أربعة أرحام وكذا إن الديك إذا سفد سفدة واحدة وصادف منيه عدة من البيض قد تم فيها بياض وصفرة أن يلقح جميعها ثم كان عددها لأن كل واحدة يجتر إليها ما يجتره دواماً الرحم من العنز أو المرأة أو نحوهما مما يولد أولاداً كثيرة فهذا ما عنينا به وشاهدناه وأنت تقدر على أن تفحص عن هذا كما فحصنا وما أزوج فقد يجتمع في العضو الشبيه بالرحم من الصفرة شيء كثير في وقت // [١١٤و] من السنة ويبقى ذلك بمقدار لا يكف ويعظم إلا في الوقت الذي يسفد فيه الذكر وقد باضت عندنا في الأقفاص إناثاً قماري ودبابيسي من غير ذكور فحملت ذلك على قوة الرحم في هذا الحيوان.

---

(١) لم تذكره المصادر التي ترجمت له.

الجملــة الثــالثـــة

(في الحيوان الذي يركب ويؤكل معاً)

(في القول في الجمال)

كل حيوان يؤكل لحمه ويستعمل فإنه قد يؤخذ في خلقه آلة المنفعتين والجمل بين الحيوان الذي يستعمل ويؤكل فأما خلقته الدالة على أنه يركب ويحمل عليه فهو أن صلبة أحدب وذاك دليل على أنه يحمل أكثر مما يحتمل الممتد الصلب كما ترى ذلك في خلق البغال والحمير وأن له كركرة وهي قوس خامس ملصق على قصبة يعتمد عليه إذا برك لئلا يميل يميناً وشمالاً كما ترى ذلك يعرض لغيره من دواب الأربع فإنه ليس فيها ما يسوي نصبته إذا ربض إلا الجمل وخلقت له هذه ليحل عليه ويركب وهو بارك لما كانت قامته تفوق مقدار الإنسان وما يحمل عليه باركاً جعل له عنق طويل منتصب يجدب به بدنه وتذكر ما قلناه في القوس من القوة التي في الدماغ فافهم ذلك هاهنا وجعلت له قوائم ليس لتحمله فقط، بل خلقت من الشدة والوثاقة على حال تحمله وتحمل ما حمل، ونفسه غضوبة وليست بذات أنفة تثور بالأثقال وتصير على طول الأسفار، وأما خلقته الدالة على أنه يؤكل فالشحمة المخلوقة فوق صلبه وهي السنام فإن سبيلها فيه سبيل الألية من الكبش منفعتها لنا دونه وإنه ذو كرش يجتر غذاءه ويمضغه كما نرى ذلك في الضأن // [١١٤ط] والمعز اللذان يؤكلان فقط من ذوات الأربع وقد ينبغي أن نذكر المنفعة التي خلق الفك الأعلى من ذوي الكرش عديم الأسنان القواطع وجعلت في الفك الأسفل فقط لأن ذا الكرش كله سائم فهو لذلك يريد أنه يتناول بها الحشيش وجميع نبات الأرض فجعل في مشافر بعضه قوة يتناول بها النبات من الأرض ويجمعه كالكف الذي يجمع بها الإنسان النبات ثم يلحضه وجعل في لسان بعضه هذه القوة، ومنها ما جعلت هذه القوة في مشافره ولسانه معاً كالجمال فإنها تأخذ بألسنتها ومشافرها وشق منه المشفر

لتكون شفته شبيهة بكف ذات أصبعين فبهذا السبب لم تخلق له أنياب عليا ولا رباعيات ولا العوارج وخلقت من أسفل فقط لأنه لو كانت له أسنان عليا لعض لسانه إذا جمع به النبات، ولما استوى لم يأخذ شفتيه أن تلقي ذلك بلسانه وجعلت له أسنان من نحت ليقطع بها ما لا يمكنه أن يلمظه[1] تلمظاً [...] وأما الكرش من ذي الكرش فجعلت لأنه حيوان سائم جميعه يأكل مما دبرته الطبيعة فقط ومما دبره العقل والطبيعة فهو لذلك يحتاج أن تكون لحيماً شحيماً فأعدت الكرش له آلة كالخزانة يجمع فيها علفه نهاره فإذا اجتمعت كفايته أخرجه إذ ذاك ومضغه ثم بلعه عند البلع إلى جهة أخرى فيكون في الكرش عُدّة له في الليل إذ لم يمكنه أن يرعى وليكن خزنه الغذاء دائماً لا ينقطع فيكون ما يرد بدنه أكثر مما يتحلل لأن هذا الحيوان يحتاج منه أن تكثر أخلاطه ولولا الكرش لاحتاج أن يأكل الليل أجمع كما تأكل الخيل إلا أن الخيل لها من يعلفها بالليل ويكفيها ذلك ليتوفر على الانتفاع بها وجعلت // [١١٥و] مشابهة بخلق الأنساب لأنها آلة من آلات بدنه يركض بها ولأن الحيوان الذي ليس بذي كرش أوثق منه من ذي الكرش والكرش من ذوات الأربع أشبه شيء بموصلة ذي الريش يجتمع فيها غذاؤه كالخزانة ثم تنفذه الطبيعة أولاً إلى القانصة فأما ذو الكرش فإنه يخرجه بالإرادة فيمضه فإذا بلعه عدلت به الطبيعة عن المواضع الذي منها خرج بالإرادة فيمضغه فإذا بلعه عدلت به الطبيعة عن المواضع وهو الكرش إلى آلة غيرها حالها في ذي الكرش حال المعدة عند ذوي المعدة وهي المسماة رمانة[2] ولها خمل كخمل المعدة والتحاف على الغذاء كالتحافها[3] وبهذا السبب جعل للكرش باب واحد يدخل منه ما يؤكل ومنه يخرج لأنه بمنزلة الجراب الذي له باب منه يوعى[4] فيه ومنه يستخرج، ولو كان من آلات الغذاء على الحقيقة لكان له منفذان كسائر آلات

---

(١) التلمظ: أخذ الأكل باللسان. ينظر لسان العرب مادة (لمظ).

(٢) الرمانة مكان العلف. ينظر اللسان مادة (رمن).

(٣) أي كالتحاف المعدة.

(٤) من أوعى إذا وضع الشيء في وعاء.

الغذاء واحد يرد منه وآخر يخرج منه ومن أجل الكرش جعل في فم ذلك الحيوان آلة جميع المأكول فجعل بغير أسنان عليا وإن [كنت][1] قد قلت في هذين ما وجب أن أقوله، وأنا راجع إلى حيث خرج بي الاشتراك وهو أن بينت أن للجمل خلقة تدل على أنه يركب ويحمل عليه، وخلقة تدل على أنه مأكول وقد ينبغي أن أذكر طبيعة لحمه فأقول: إن قوة لحم الجمل أيضاً ينبغي أن نذكره بحسب أسنانه، والجمل منه رضيع ومنه فطيم وهو الفصيل ومنه البكر الذي يحمل عليه، فأما الرضيع، فلحمه حار في درجتين في الدرج الصغار وهو مع ذلك مرطب في بعض درجة أولا من الدرج الصغار وسبب قلة ترطيبه وقوة حرارة أن كل رضيع فجسمه مركب من لحم ذلك الحيوان ومن // [١١٥ط] طبيعة لبنه ولبن الجمال يكاد يكون خالياً من الدهانة، حتى إنه لا يوجد له زبد البتة وإن أكل مشوياً أو مقلياً بالزيت كان مع أنه في هذا المقدار من الحرارة عديم الترطيب، وأن مُيّل بالصنعة إلى الترطيب متى طبخ باللبن رطب وإن مُيّل إلى اليبس يبس، ولحم الفطيم متى أكل مشوياً أسخن في ثلاث درج صغار ويَبُس بدن آكلهِ يبساً يسيراً وكذلك إن قلي بالزيت فإن طبخ إسفيذباج قلّ يبسه وكان كيموسه محموداً إذ ليس في هذين اللحمين كيموس مذموم لمن اعتاد أكله، فأما من لم يعتد أكله فينبغي أن يصلحه بالتوابل، وفي طبع هذا اللحم أن يزيد في شهوة الجماع وأن يدفع من رداءة الأنعاض[2] وذلك له من غلظه لأن الروح المتولد عنه في العروق الضوارب وغير الضوارب لا يتنفس فينبت بهذا السبب الأنعاظ بعد الإنزال وهو لحم يشد أبدان الناس ويصلبها، والسنام منه شحمه محمود وهي تجري عندي مجرى السمين لا مجرى شحم الكلى والثرب[3]، ولحم البكر حار في خمس درج صغار وأكثر متى أكل مشوياً أو مقلياً، وهو يَبِس يَبْساً في نحو درجة ويولد في البدن

---

(١) في الأصل فراغ بمقدار كلمة والزيادة يقتضيها السياق.

(٢) الأنعاظ: وهو انتشار العضو التناسلي الذكري.

(٣) الثرب: شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء. تكملة المعاجم العربية (دوزي) ٢/٩٥، وفرق أرسطو بين الثرب والشحم. ينظر طباع الحيوان ص١٣٣.

كيموساً صفراوياً ومتى ما أكل إسفيذباج قل يبسه وينبغي أن يلقى في طبيخه اللوز المربى والخشخاش المربى، ودهن اللوز والشيرج ويتجنب شرب النبيذ والحاد عليه ويصلح أن يشرب عليه الأنبذة المرطبة كنبيذ التمر ونبيذ الدبس وما يجاوز هذه السن فقد خرج عن حد ما يغتذي بلحمه فصار في حد ما يحمل عليه إلا أنه إذ ذاك يكون لحمه حاراً يابساً عاسياً جاسياً غليظ الكيموس نيه، يعسر على البدن هضمه ويغيره كما يغير نضجه على النار، وأكله مفسد الأخلاق // [١١٦و] مقو للغضب وقولي هذا إنما هو بحسب الملوك والأفاضل ليس بحسب القوم الذين اعتادوا أكل لحمه من ساكني البوادي فإن أولئك يغتذون الحنظل ولحم الأفاعي فتصلح أخلاطهم وتهذب أبدانهم ويشربون اللبن رائباً فيغسل أجوافهم ويجلو آلات الغذاء منهم وينقى لحوم الأفاعي آفات أبدانهم وأوساخها إلى سطوحها الظاهرة، وهم أهل رياضة، والبرد والحر يمسان أبدانهم فهذا القول الكلي في الجمل، وينبغي أن أتبع ذلك في كل واحد من أنواعه فأقول إن أنواع الجمال ثلاثة منها العرابي ومنها اليماني وهو النجيب ومنها البختي وهو الخراساني، فالجمل الثاني وهو النجيب كالعتيق من الخيل أعني الفرس والجمل العرابي كالبرذون، والبختي كالبغل لأن أبويه ليسا من جنسه فالبختي أشبه شيء بالبغال والجمل العرابي أثقل لحماً، وأغلظ عظماً من النجيب، والنجيب أصلب عظماً من العرابي وأيبس عصباً وأحر مزاجاً منه فلذلك هو خفيف على الأرض متململ وحركة النفس فيه شديدة الاضطراب وليس له خيلاء ولا عجب ولا ذاك في شيء من الجمال بل فيها هوجة ولوثة وقوة غضب يتحرك نحو الانتقام، والفرس يتحرك غضبه نحو الأنفة لأن صاحبه إذا ضربه أنف من الضرب وتحرك نحو مراد صاحبه من غير إضمار سوء له والجمال ليست كذلك إذا ضربت للاستعمال تحركت للعمل درداً[١] وغيظاً وأضمرت الاقتصاص، والنجيب آلة للعدو والركوب، والعرابي والبختي الآلتان لحمل الأثقال والنجيب أحرها وأيبسها، كما إن الفرس أحر من البرذون

---

(١) الدرد: وهو الحقد.

والبغل والحمار أيبس وقدر ما في قلبه وعروقه من كمية الروح الحيواني كثير أكثر من ذلك في الجملين الآخرين وهو شديد العدو وكأنه بين الحيوان الذي // [١١٦ط] يتعب بالجري وبين يتعب بالعدو ومن النجيب هملاج[١] يترهور[٢] كما تترهور البراذين ومنه ما يجمز جمزاً ويرقل إرقالاً والبخت عظيمة الجمز، واسعته صبورة عليه وليست بذوات عدو والعراب ضعيفة الجمز ولها الخطو، والجمز[٣] في الجمال كالنجيب في الخيل، وقد ظهر مما تقدم أن لحم النجيب أحر وأيبس، ولحم البختي أبرد منه وأرطب وأغلظ كيموساً ولحم النجيب أهش، ولحم العراب وسط بينهما وهو أحدها وأقربها من طبيعة الناس وأشبهها بالغذاء، وإني لأكره لحم البختي كما أكره لحم كل حيوان يتولد في الأرض وعلى الأرض لأن جميع ذلك تحدث عن فساد الأرض والهواء وكل شيء حدث عن فساد المادة التي منها يكون، فهو فاسد مفسد، والبغل متولد عن فساد مني الفرس والحمار، والبختي متولد عن فساد مني العرابي فقط فإن مني البختي موت فكأنه قد حصل فيه نصف بلية البغل وكما إن لحمها متولد عن فساد المادة فقد يولد في أبدان الكلية كيموسات غريبة شبيهة بالأركان الأربعة وليست الأركان الأربعة وإذا لم تكن هي الكيموسات الأربعة نقلت أمزجة الأبدان إلى غير المزاج الطبيعي وأحدثت أشياء شبيهة بالأعضاء كالسلع والفيلات والدبابل والسرطانات ويحدث من سوء المزاج الجذام والبرص والبهقان الأبيض والأسود، وفساد الأخلاط إلى الكآبة والحزن وقوة الغضب والأقدام والتهور، وسأقول في هذا قولاً مما قلته هاهنا إذا تكلمت في الحيوان المتولد إن شاء الله به القوة، ولحم جميع الجمال فإنما أرى أن يؤكل قبل أن يظهر الأبدة ويضطلع بالأثقال وتوجد له الأخلاق فإنه إذ ذاك مما ينبغي أن يمتهن ويستعمل ولا يؤكل فاستوص بما ختمت به هذا القول // [١١٧و] فإن كان مما قد امتهن ثم

---

(١) هملاج: وما يتبختر في سيره. انظر اللسان مادة (هملج).

(٢) الرهو: سير خفيف. انظر اللسان مادة (رهو).

(٣) الجمز نوع من السير عند الإبل.

ربط مدة لا يستعمل وأعلف حتى يسمن ويوحد له خلقه وعظم زائد على ما عهد منه فليأكله ذوو البأس والأعمال الشاقة فقط.

الباب الثاني
(في القول في البقر)

إن الحكم على البقر غير الحكم على الجمال وإن كانا معاً مما يؤكلان ويركبان وذلك أن الجمل طبيعته إلى الامتهان أقرب منها إلى الأكل كما إن البغل طبيعته إلى حمل الأثقال أقرب من طبيعته إلى أن يركب بالسرج وإن كان فلا يستعمل في الأمرين، والخيل طبيعتها إلى أن تركب بالسرج أقرب من طبيعتها إلى أن توقف وتحمل الأثقال وإن كانت قد تستعمل في الأمرين فكذا فافهم الحال في الجمال والبقر أن البقر أقرب إلى الأكل منها إلى حمل الأثقال والحمار أقرب إلى حمل الأثقال من الأكل وإذا كانت هذه أحوال البقر فلحمها يؤكل صغاراً كانت أم كباراً إلى أن يبلغ الهرم فيمنع من أكلها كما يمنع من أكل لحم الضأن والمعز والبقر وإن كان يحمل عليها كما ترى ذلك في الأكراد، وبالعراق فإن أهل العراق والأهوار يحملون على بقر كبار أحمالاً ثقالاً وهذا أمر يكاد أن لا يكون لها بالطبع وإنما هي مكلفة له كتكلف الواحد من الخيل وحملنا عليه فأما الأمر الموجود لها بالطبع فهو الحرث، ودوران الدواليب، والأرحاء، وجر الكرود لأن لها بالطبع خلقه وهي تليق بهذه الأعمال وهو أن العنق منها تحت الكتفين والكتفان والسنام مطلات عليه وإنه منكب الرأس نحو الأرض وليس بالمنتصب القامة، والجمل فإنه وإن كان عنقه تحت كتفه فإنه منتصب القامة ورأسه سام عليه مطل وإنما جعل منه تحت كتفه من أجل أنه يحمل باركاً // [١١٧ط] ثم يحدب بدنه بعنقه نحو العلو فيثور ولو كان عنقه مطلاً على كتفه لعرض له ما يعرض للفرس ونحوه إذا أراد أن يقوم وكان يقع ما على ظهره من الوقر على مقدمه فيكبه، والبقر ما لم يمتهن منها فلحمه جيد صالح صغيراً كان أو كبيراً فإذا

امتهنت فلا أحب أكل لحمها إلا بعد أن يعفا عن الامتهان ويعلف النخالة والقت ودقيق التبن وحب القطن والشعير والكسب ونحو ذلك فإن اللحم والشحم الذي يركب أعضائها المتشابهة الأجزاء الأول غير لحم الممهنة في جميع آلاته لأن لحم الممهنة عاس جاس غليظ يتولد عنه كيموس شبيه بالغري لا يقبل الهضم عن البدن كما لا يقبل النضج من النار وهو أشبه شيء بما يغتذي به أبدان الناس من الأعصاب والجلد متى صلق ذلك وأكل، وما يؤكل من اللحم المعلوف فهو يؤدي طبيعة العلف ويحدث فيه من اللدونة والرخص بمقدار الرفاهة والدعة وطيب العيش وما يؤكل من لحم البقر فهو لحم الحسان والإناث والأطفال من العجول التي لم يتحرك للسفاد، ولا أحفظ أني رأيت من أكل لحم العجل منها ولا من امتهنه في عمل البتة إلا قبل تحركه للسفاد، ولحم البقر متى أكل مطبوخاً بالماء والملح والبصل والشبنت والدارصيني والكمون وأكل بالخردل برد بدن الإنسان ورطبه في آخر الدرجة الرابعة من الدرج الصغار ولو لم تكن فيه هذه التوابل ولم يؤكل بالخردل حتى يكون صليقاً بماء فقط أو ماء وحده أو عمل كبيساً على ماء فقط كما تعمل ذلك بالرؤوس كان كيموساً بارداً رطباً في هذه الدرج المذكورة وأزيد قليلاً وكان كيموسه الحادث مع برودة ورطوبة غليظاً لزجاً نياً لأن جميع هذه التوابل كما إنها قد تعمل نضج اللحم على النار قد يفعل به مثل ذلك في العروق والأعصاب وكما إنها رطبة عند اللهوات واللسان كذا هي رطبة // [١١٨و] عند الكبد والعروق ومعلوم أن الشيء إنما يستلذ بأن يتباعد عن الجوهر الغليظ الأرضي ويُدنى من الجوهر الهوائي، وكذلك القول في الناري والمائي فإن صنع هذا اللحم بالخل الثقيف والعسل والزعفران والبصل والكرات والجوز والثوم والدارصيني والخولجان(١)، والقرنفل، والقرفة، والكزبرة كان جوهره لطيفاً مكان أحمد من جميع ما يصنع وكان هذا اللحم مبرداً في نحو من ثلاث درج صغار

---

(١) عروق متشعبة ذات عقد لونها بين السواد والحمرة شبيهة بأصول النوع الكبير من السفد. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ٧٩/٢.

ومرطباً في نحو ذلك لأن الخل يكسبه يبساً وكذا هذه التوابل، والدليل على ذلك أن هذين اللونين لو أسقيهما أفسد الإسفيذباج وحفظت السكباج جوهرها زماناً طويلاً على الدسم في الممقورات[1] فإنها كلها تمقر كاليبس مع البرد كان أم مع الحر كالممقور بالخل ومع الحر كالممخور بالملح والخل أيضاً يكسبه تبريداً لأنه وإن لم يكن أبرد منه جوهراً فإنه ينفذ برده والتوابل فإنها وإن كانت ملطفة لها مقاومة لبرده فإنها لقلة مقاديرها ليس يسلبه البرد كله وإنما يكسر منه وما بقي من البرد والرطوبة بعد ذلك ينفذه إلى الكبد والعروق بسرعة، ويعينه على الهضم ويمنعه من الفساد ويزيل عنه الغلظ واللزوجة والنهوة وما طبخ منه بالخل وحده وهذه صنعة يتخذها قوم من غير ذي النعم من العجم ويأكلون هذا اللحم كباباً وهذا مذموم لأنه بارد غليظ لزج لا تتمكن الأعضاء من تغييره وإنما يأكله هؤلاء كذا ليكسبهم البأس والغلظة والنجدة والصبر على الأعمال الشاقة وركوب عِظام الأمور وبرد بدنهم وشدة حر أجوافهم ينتفعون بما غلظ من الطعام لأن اللطيف يفسد في الأجواف الحارة وبهذا السبب يؤثر الديلم أكل خبز الأرز على الحنطة واللحم الغليظ، والبقر في مزاجها أبرد من الجمال والخيل والبغال والحمير أرطب وقولي هذا فيها وهي أحياء لا من حيث هي مأكولة // [١١٨ط] والدليل على ذلك ثقل حركته وفتور نفسه وركوده والبقر أيضاً أبرد من الإنسان وأرطب والنفس الحيوانية كدرة ضبابية باردة راكدة قليلة الاضطراب والحركة كأنها رطوبة سمنة غليظة بالإضافة إلى ما قدمنا ذكره من أنفس الحيوان ونفسه النفسانية باردة سيالة كأنها أنفس الثلاثة المعتوهين من الناس وبهذا السبب لا يمتحن فحل البتة لأنه يظهر منه خلق مضطرب في الرضيع من أولاد البقر وهو المسمى عجلاً إذ كان قد عُلم من مزاج البقر أنها أبرد وأرطب من مزاج الضأن ومعلوم أن أطفال البقر أبرد وأرطب من أطفال الضأن لأنه أقرب إلى الاعتدال وأقل نهوة ولأنه حيوان واقع بمزاج الاعتدال أو المزاج النافع لنا في طفولته وكان ذلك سبباً عند تحركه

---

(١) الممقور هو المالح إذا نقع بالخل. ينظر التكملة للمعاجم ص٥٥.

في السن إلى الخروج من الاعتدال لأنه بعد أن هو معتدل ويتحرك فليس يتحرك إلا إلى غير المعتدل، ولأن أطفال المعز خير من كبارها، وكبار الضأن خير من أطفالها وبهذا الطريق تكون نسبة كبار البقر إلى الضأن كنسبة الضأن إلى المعز، أطفالها إلى أطفالها وفطمها إلى فطمها وفتيها إلى فتيها وكهلها إلى كهلها وطليها إلى طليها، فرضيع المعز معتدل في صنفي التضاد وطليه حار يابس ورضيع البقر في نهاية البرد والرطوبة وحليله بارد رطب لبق لزج الرطوبة مقابل حليل المعز وأجعل رضيع الضأن وسطاً بين رضيع البقر ورضيع المعز وحليله وسطاً بين حليل البقر والمعز فيجب بما قدمنا أن يكون لحم العجل الرضيع غير فاضل لبعده من مزاج الجدي الذي هو ملائم لأبداننا شبيه بها وأحمد ما أكل من لحم العجل الرضيع الشواء بعد أن يسلخ ولا يسمط لئلا يحفظ الجلد رطوبته فيه ولا يبلغ النار من اجتذاب الفضل من بدنه وتلطيفه // [١١٩و] ما تبقى بعدما اخترته فإنا إنما يشوى أطفال الضأن والمعز في جلودها ونسمطها ولا نسلخها ليكون الجلد جنه لها من النار ووقاية لرطوبتها ولدونتها حتى تبقى محصورة تحت الجلد ونحن نحتاج في نيئ العجل الرضيع إلى ضد هذا الأمر واجباً وإذ أدلى في التنور أن يجعل تحته ما في قدر جديد فيه الدارصيني والخولنجان والفلفل والملح ونحو هذه ويمسح عليه الزيت والملح دفعات وهذه التوابل مدقوقة دقاً نعماً وملتونة بالزيت مراراً مرة بعد مرة وفي المرة الأخيرة ننحي الماء من تحته ونحرك نار التنور ونرش عليه ماء وملحاً ويترك حتى يتورد ثم يخرج عن التنور إذا فارق العظم اللحم أو سهل ارتفاعه بفعل الأصابع وحدها فإني لا أحب لجميع ما يشوى أن يكون مشحماً بالزيت والملح وأن يرش عليه الماء والملح فإن خير الشواء من صغار المعز والضأن ما يسقط جلده ووجدت له هشاشة ويوجد فيه طعم الزيت والملح ظاهران وهذا إنما يكون للجلد عند مفارقته جميع ما يتحلل فيه من الفضل اللزج الذي هو في الجلد بالطبع وقبوله الزيت والملح وغير ذلك يفارق بشرة الجلد أدمته فتسقط البشرة، وأما من طبخ اللحم الرضيع من أولاد البقر بالماء والملح والتوابل كان أشد تبريداً وترطيباً من الشواء فليضع المشوي منه ببرد في أكثر من درجتين ويرطب

في آخر الدرجة الثالثة من الدرج الصغار ويولد كيموساً بارداً لطيفاً غير غليظ إلا أن فيه نهوة ما ومن أكله إسفيذباج برده في أكثر من درجتين ويصف رطبه في آخر الدرجة الرابعة من الدرج الصغار ويولد كيموساً لدناً ألطف من الأول وأكثر نهوة، وإن عمل منه [ملاما] وهو أن تسمط العجل // [١١٩ط] ويقطع ثم يسلق بالخل الثقيف والسذاب والكزبرة اليابسة صحيحة وقطع الدارصيني والخولنجان والقرفة، سلقة خفيفة ثم يترك به عن النار ويجعل في برصيني[١] ويلقى عليه السمسم والشونيز[٢] فإذا أريد أكله فمن الناس من يأكله كهيئته ومنهم من يغليه ويصب عليه الزيت ويبرده ويأكله بارداً ومنهم من يأكله بالزيت كما يعمل ممقور السمك ثم يصب عليه حله على النار ويأكله وهذا أحمد ما أكل عندي وهذا اللحم يبرد في نحو الثلاث درج ويرطب في درجتين وأزيد ويعلم أن هذه الطيوب ليست يؤثر كثير سخونه في اللحم وإنما يؤثر فيه بلطفاً واحلاماً لكيموسه وفي الغلظ واللزوجة عنه ويجعله ينفذ إلى الكبد والعروق والأعضاء بسهولة وينقل كيموسه من غير المحمود إلى المحمود فأما لم يسخنه ويقاوم برده فلأن المقدار الذي يقع فيه يسير بالإضافة إلى كمية اللحم لأن مستعمل التوابل والافاديه[٣] إنما يلقى بمقدار ما تلتذه الأكل لا بمقدار ما تقتضيه مقاومة الكميات فافهم هذا أصلاً لك في كل الأشياء المغتذى بها، وأما من سلقه بالماء وقلاه بالزيت فالحال كالحال فيما يشوى فأرى أن هذا أحمد وليس يصنع من لحم ما في هذا السن إلا هذه الألوان في لحم الفطيم من أولاد البقر أن العجل الذي قد نقي جوفه من اللبن وأكل الحشيش والحب وشحم عليه ولحم فهو أحمد لحماً من الرضيع لأنه أقل منه نهوة وأشبه بطبيعة لحم البقر وهذا إذا أكل لحمه كباباً على الفحم كان مبرداً في أرجح من درجتين الدرج الصغار ودون ما يبرده لحم الرضيع ويرطب في نحو من

---

(١) إناء يستعمل للطهي.

(٢) بزر أسود طيب الرائحة وربما خلط بالعجين والخبز. انظر الجامع لمفردات الأدوية ٧٢/٣.

(٣) تقابل في الوقت الحاضر المطيبات.

ثلاث درج فإن شك في سفود وحررن على جمر العضا ويشقر بالزيت والمري[1] ونثر // [١٢٠و] عليه الكمون والدارصيني والخولنجان والقرنفل كان محموداً جيد الكيموس سريع النفوذ قليل الضرر والأذى وكان في البرد والترطيب مثل الأول إلا أنه أمرى منه وخير كيموس منه فإن طبخ سكباجة كان مبرداً في نحو من ثلاث درج لأن الخل وإن كان ليس بأبرد من هذا اللحم وإذا لم يكن أبرد منه لم يزده برداً فهو يزيد هذا اللحم تبريداً لأنه ينفذه بسرعة إلى الأعضاء قبل أن يطول مكثه ويستولي عليه كما يرى الخل يفعل مع السمك الطري وإن كان الخل يابساً فهو يزيد في ترطيب السمك حتى إذا قضى معه الأطباء أن السمك الطري المطبوخ بالخل أشد تبريداً وترطيباً من السمك المشوي فعلى هذا الوجه يكون لحم البقر سكباجاً أبرد وأرطب منه إسفيذباجاً ومشوياً وهذه المواضع إنما تدرك بالذكاء وجودة القريحة وصحة الفكر لأنها غير مدركة بالحواس وإنما هي مدركة بالأفهام، وقد يستعمل لحم الفطيم في سائر ألوان الطبخ كالهرائس والمضائر فإذا عمل منه هريسة بالحنطة المقشرة المرضوضة والأرز المعاد والسمين والدسم والزيت ودهن الجوز والدارصيني والكمون والملح رأيت أنه من أحمد ما أكل وأنا أرتبه في قرب من الاعتدال في صنفي التضاد لأنه إذ ذاك ليس بلحم فقط بل خالط ومازج الحبوب والطيوب وصارت الهريسة مركبة تركيب الامتزاج والاتحاد والسكباج مركبة تركيب تجاور سوية امتزاج لأن تركيب التجاور فقط تجاور الحنطة والشعير والعدس والحمص في صبه وتركيب الامتزاج هو أن يتركب شيء من أشياء هو غيرها بكل وجه وسبب مع عدم أعيانها كتركيب النبيذ من التمر والماء والدادي والنبيذ ولا واحد منها وتركيب التجاور والممتزج كالسكباج والمغيرة فإن // [١٢٠ط] التجاوز في هذا أكثر من الامتزاج لأن أعيان اللحم والخل والتوابل والبقول موجودة، والهريسة هي مما هو بين التجاوز والامتزاج إلا أن الامتزاج فيه أكثر

---

(١) مادة هي جوهر الطعام وروح البارد والمستظرف وذكرت له فوائدة طبية كثيرة في هضم الأكل وفتح الشهية. ينظر الجامع لمفردات الأدوية ١٤٩/٤-١٥٠.

من التركيب فينبغي أن يكون قولنا أن هذه معتدلة في الحر والبرد مرطبة في درجتين وأرجح من الدرج الصغار، وأن ترطيبها بلدونة وهوائية، وأن عداها البدن والروح الحيواني غذاء حسن إذا سهلت الهضوم وأنها تخصب أبدان آكليها وتحسن ألوانهم واستعملوا الشراب الموافق كل واحد منهم وأما المغيرة فيزيد في تبريد اللحم وترطيبه وبغلظ جوهر اللحم في الصنعة بحسب ما تلطف اللبن في الصنعة وقد يوجد الشحم والسمين في هذه السن من العجل ولا يوجد في الرضيع لأن أماكن السمين فيه وما تطفر به العين منها إنما هي أوعية الشحم واللحم، وبالجملة فكل حيوان كان طفله بعيداً من الاعتدال قصف واحد من الأعضاء البسيطة موجود فيه على التمام أعني التي يتولد عن المسن والصنف الذي ينبت عليها فهو أمر كأنه بعد القوة أو مادة لم تخرج إلى الفعل وما طجن وطبخ من هذا اللحم كان خيراً من شوايه وهو عندي أحمد من الشواء وأنت قادر على أن تستخرج ما لم أذكره وهو في قولي بالقوة.

الجذع من أطلا البقر:-

ولد البقر كلما تحرك في سنه نحو المنتهى تحركت رطوبته نحو الغلظ ومعلوم أن البرد مع الجوهر الغليظ أشد منه تبريداً مع الجوهر اللطيف وكذا فافهم أن لحم المتحرك في السن من البقر كلما ازدادت رطوبته غلظاً زاد لحمه تبريداً لا برداً فإن بين قول القائل زاد لحمه برداً وبين زاد لحمه تبريداً بينٌ بعيد ألا ترى أن الماء الذي على كل عشرة أرطال منه رطل واحد من العسل أسخن من عشرة أرطال ماء قرح فإن الماء والعسل // [١٢١و] أشد تبريداً[١] من الماء القراح وكذا فافهم الحال في لحم البقر إذا تحرك في السن أن حرارة العجل تزيد في سن بعد سن إلى أن يبلغ المنتهى إلا أنه وإن كانت حرارته تزيد فلحمه يزداد تبريداً بحسب تزيد جوهره غلظاً إلا أن الثور لو تناهى في الحرارة حتى يكون أسخن الثيران الأهلية كان مزاجه بالإضافة إلى الإنسان المعتدل في الجنس بارداً رطباً كما إن السبع لو كان في نهاية البرد من

---

(١) أي أنهما إذا خلطا كانا أكثر تبريداً من الماء وحده.

السباع كان أحر من الإنسان وأيبس وكذا الفرس أحر من الإنسان وأيبس فهذا النظر الطبيعي، ولم يرجع إلى النظر الطبي، ولحم الثور زائداً يبرد ويرطب بدن الإنسان في جميع أسنانه وكلما زاد هو في مزاجه بحرارة زاد تبريده لبدن الإنسان فافهم ذلك، ولحم الجذع من أولاد البقر متى أكل كباباً أو مجردنا قد سقي الملح والزيت بَرّد في نحو من ثلاث درج من الدرج الصغار ورطب منها وكان ترطيبه في نحو من ثلاث درج وأنقص، وأن عمل منه هريسة على الصنعة المقدم ذكرها رأيت أنا أنه طعام محمود إلا أن هذه الهريسة قد تبرد في دون الدرجة من الدرج الصغار ويرطب في دون الدرجتين، وإن قلي بالزيت والمري[١] بعد السلق ألحقته بالمجردن وكان أحمد من الكباب، وإن عمل كبيساً في أكثر من ثلاث درج صغار وكان ترطيبه في أكثر من ثلاث درج ونصف صغار هذا قولي في لحمه على أنه خصي أو أبي وأما إن كان فحلاً وقد تحرك للسفاد فلا خير فيه على جهة الغذاء.

(١) سبق تعريفه.

(في سن الكمال من البقر)

(والثني والرباع)

وما يجاوز ذلك من البقر إن كان قد // [١٢١ط] امتهن فلا خير فيه البتة إلا بعد أن يجلس في البيوت ويلزم الراحة والدعة ويعلف العلف الذي يسخن به البقر وتراه قد اكتسب زيادة في شحمه ولحمه وصفاء في شربه ورقة في جلده وبعد زوال آثار المهنة عنه فإنه عند ذلك يكون محمود اللحم والسمين والشحم إلا أن لحم الأسنان الأول[1] خير من هذه وسمين هذه وشحمها خير من سمين تلك وشحمها وإنما صرنا نختار بطون هذه أعني المعلوفة لأنها تجري مجرى السمين بما اكتسب من لدونة الدسم وزال عنها غلظ الغضب ويراها أحمد من لحومها اختلاط رطوبة الأمعاء وبردها بحرارة الشمس وهوائيته فيكون من جميع غذاء ذلك حار رطب معتدل بين اللطافة والغلظ ونرى لحومها دون ذلك في الفضيلة للغلظ الذي فيها من البرد ولحمها السمين محمود عندنا وهو ماعدا الجنب والمتن والرقبة ودونه لحم الكتف والزور والسنام ولا خير فيه والمراف وأطراف الشراسيف هذه والقطاة والفخذ لا أرى أكله إلا في الكبيس والهرايس إذا خلط بالشحم فإنه إذا خلط بالشحم جرى مجرى السمين، وإذا خلط بالحنطة والأرز والتوابل والزيت والطيوب التي يؤكل بها الهريسة صار غذاءً محموداً يبرد في هذه السن في الدرجة الأولى ويرطب في درجتين صغيرتين وأما متى طبخ سكباجة على الدسم في طبخ البقر فإنها تبرد في الدرجة الرابعة ويرطب في دون الرابعة ونحو الثلاث درج ونصف، وإن طبخ منه فغيره كان مردا في ثلاث درج ونصف صغار ونحو ذلك ومرطباً في أكثر من ثلاث درج ونصف في بعض الثلاث درج وإن عمل منه بماء وملح وأكل بالخردل رطب في ثلاث درج وبعض الرابعة وبرد في بعض الثلاث درج وإن أكل [بالصناع] المسمى

---

(١) أي صغيرة السن.

لحشة[1] برد في ثلاث درج ورطب في ثلاث درج من الدرج الصغار ولطف كيموسه وينبغي أن نعلم أن اللحم الغليظ الكيموس // [١٢٢و] مع البرد متى ألقيت فيه طيوباً حارة يابسة تغلبه بسهولة إلى طبيعة المرة السوداء الحادث عن احتراق المرار الأصفر، وذلك أن الغليظ يتحرك إلى اليابس كما يتحرك اللطيف إلى الغليظ فلا تقدرون أن اللحم البارد الغليظ يصلح أبدانها الحار اليابس إلا إذا اتفق أن يكون مع الحار تلطيف إما في طبيعة ذلك الحار، وإما إن تضاف إليه ما يصير على هذه الحال فأنا أبدأ بعمل اللحشة كذا:- جزء من بصل وجزء من لوز مقشر من قشريه مرباً[2] بالماء الحار وجزء من ثوم يلقى عليه من مرق الإسفيذباج بقدر الحاجة ثم تلقى عليه جزءاً من سمن طري فتكون إذ ذاك صالحة مصلحة لغلظ اللحم وينبغي أن يربا اللوز المقشر من قشريه بالماء في الهاون ويصبه على أمراق اللحوم الغليظة كلها وكذا فاجعل الخشخاش ربة حتى يصير ناعماً متحد الأجزاء وصبه على هذه الأمراق مضافاً إلى التوابل فإنك إذ ذاك تكون قد نقلت اللحم من طبيعة الغلظ إلى اللطافة بحرارة التوابل وسفيدها[3] وحدتها ومما ركبته من اللوز المقشر والخشخاش لأنك تجمع من هذا التركيب حاراً هوائياً لطيفاً فاجعل هذا أصلاً لك أبداً وينبغي أن تلقي مخاخ البقر المعلوفة في جميع ما تصنعه من لحومها فإن فيه تحليلاً واختلاجاً لآلات الغذاء وفيه غذاء حسن، وينبغي أن تأخذ اللحم الأحمر من لحم البقر من المواضع المختارة فنشرحه ويجعل في آخره الشريحة سببها بالكبس ثم تبسط على الشريحة مرق البقر ويحشو ذلك الكبس السذاب والكرفس والأبرار والرطب وتذر عليه الدارصيني والخولنجان والقرنفل والقرفة والكسفرة اليابسة والملح ويكون ذلك مقداراً يسيراً لئلا يخرج عن حد التوابل إلى الأدوية واصبب اللوز المربا الغليظ القوام ثم ادرجه واشدده في عدة مواضع بخوص النخل وألقه في // [١٢٢ظ] السكباج فإذا نضج رميت

---

(١) سوف يشرحها بعد قليل.

(٢) ربا صب الماء عليه فانتفخ. ينظر اللسان مادة (ربا).

(٣) حرارتها.

بالخوص وقطعت كل قطعة بقطع مدورة لتختلط اللحم بالشحم والتوابل فإذا جعلت ذلك فقد أصلحت اللحم أتم إصلاح فإن أردت أن يعمل هذه [اللفات] في الإسفيذباج فاعمل الشرائح والثرب على السبيل المقدم ذكرها ثم احشو بالجوز المقشر من قشريه والكمون والصعتر والتوابل المقدم ذكرها وليها واشددها بالخوص وألقها في الإسفيذباج فإن ثبت هذا في التنور كان جيداً.

أكباد البقر لا أحب أن يؤكل شيئاً منها ولا كبد أسود من أي الحيوانات كانت ومتى رأيت كبداً صافية نقية تضرب إلى البياض فتلك تؤكل بعد أن تصنع صنيعاً لطيفاً لأن الكبد في الحيوان بمنزلة مستوقد النار أو كبد تعمل فيه الطبيعة الأخلاط وهي بطبيعة الأخلاط أشبه منها بطبيعة ما يكون عن الأخلاط فهذا ما نقوله في هذا الباب فافهمه.

(الجملــة الرابعة)

(في الحيوان الممتهن وليس بمأكول ولا مركوب)

(في القول في الحيوان الممتهن)

ينقسم إلى قسمين أحدهما في طبيعته في الجو أن يتحرك لما يريده الناس بشوق إلى ذلك الفعل والتذاذ له كحركة العاشق إلى معشوقه من غير أن يحتاج أهله أن يأخذوه بذلك الفعل وأن يحثوه عليه وأن يكون هو مطيعاً لما أحدثه متكلفاً ذلك لهم وهذا كالكلب والهر، والآخر في طبيعة الطاعة والصبر على الكلف والقبول لما يوجد به وذلك الأمر هو بالقوة يخرجونه إليه ويأمرونه به ويعلمونه إياه فينقاد ويطاوع إلا أنه يحتاج أن يقيس على ذلك ويضبط فهذا ؟؟؟ المركوب والمحمول عليه وقد قلنا في هذا فيما سلف والآن فينبغي أن نقول في ما بقي علينا فيه وهو الحي الذي يتحرك بطبعه إلى محاب الناس حركة اشتياق وتبدأ بالقول في:

(الهــر)

فأقول: // [١٢٣و] أن الهر شديد الشبه بصورة السبع وفي الآلات التي له لأن نفسه غضوبة تفترس وتقتل ما في بيوت أربابها وتغري ما يتحرك في بيوتهم حركة ختل منهم واستخفاء منهم وكان الهر ملهم أن يقتل ما يؤذيهم وأن يصيده وأن ينتقم لهم من هذه الحيوانات المؤذية ولذلك إذا افترس سمع له زير وعلم منه قوة غضب وحركة من نفسه إلى الانتقام وليس في طبعه أن يأخذ مما في أيديهم وإنما حرصه على ما في حاجاتهم وبيوتهم وفيه محبة للناس ولذلك يبدو منه غطيط وتحير وحال يعلم منها أنه يرضي أربابه بها وله ألوان مختلفة على تشبهه بألوان الحي المملوك وفي هذا دليل على بعد طبعها من الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك وقرب طبيعته من الحيوان الأهلي ومزاج الهر حار يابس ولذلك يقبل السمن ويخف بدنه في الشتاء والبلد البارد إلا أنه أقل حرارة من السبع وأكثر حرارة من سائر الكلاب ذوات الأربع لأنه يجب أن يأكل اللحم المنقول ولم يلحق بطبيعته السبع لأن السبع إذا افترس حسا الدم والروح وأكل اللحم حاراً وما كانت هذه حاله من الحيوان فهو إما حار ناري صرف خالص أو حيوان ناري أرضي كالسبع وهذا قد بينته في المقالة الثالثة وما كان من الحيوان يأكل ما قتل بعد أن يموت في يده فمنزلته من الحرارة دون هذه فالهر بهذا السبب أقل حرارة من السبع وهي أحر من الكلب لأنها تكره الجيف، والهر ذو نفس غضوبة مسلطة وذات تودد وذات شبق مفرط وفيها مكر وختل وهذا من خلق الذئب ولحمها سهك زفر كلحم الضبع وابن آوى والذئب وما هذه حال لحمه فقد حضر جالينوس من أكل لحمه وذكر بُعْد مزاجه عن أمزجة الناس وسنذكر القول فيما هذه سبيله في المقالة الرابعة، ومن عالج لحمه بالزيت واللبن ليزيل سهوكته وتطييب لأكله أحدث له شبقاً شديداً ووجعاً في مفاصله // [١٢٣ط] وظرباناً[١] ونتن عرقه وزفر

---

(١) الفساء كريه الرائحة.

بدنه وأحدث له غثياً وخصراً[١] في بدنه وكسلاً وخالف الشريعة والطبيعة معاً لأن كل حيوان عدل به عن منفعته التي خلقها بارئها جل وعلا لها إلى أخرى كان بمنزلة من أمره الله سبحانه بأمر فخالفه فهذا ما نقوله في الهر.

(الباب الثاني)

(في القول في الكلب)

الكلب كلبان لكل واحد منهما نفس غير الأخرى وأخلاق وأفعال على حسب تلك النفس وله خلقة وآلات وهيئة تليق بتلك النفس فأحدهما الكلب الصائد وهو السلوقي وله نفس مؤلفة تتناول ما أشده عليه أهله فطلبه والأحصاد خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لأن حرصه على الصيد وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد ويحرض وكما يغضب الجوارح من ذوات الجناح فإنها تغضب وتحرص لنفوسها بالقصد ولنا بالعرض، والأمر في كلب الصيد بالضد لأنه يحرص ويغضب لصاحبه وله بالعرض وهو حار المزاج بالإضافة إلى الكلب الآخر يابسة ونسبته إلى كل الحراسة كنسبة الفرس إلى البرذون والنجيب إلى الجمل العرابي، ولهذه الحال، السلوقي أسرع في اللحوق بما يطلبه، وكلب الحراسة أجلد وأشد على ما يفترسه بأساً وغلظة وبطشاً وبالجملة السلوقي أحر وهذا أشد وهو بالإضافة إلى مزاج الناس بارد يابس ولهذا المزاج صار فيه حفاظ وتودد وألف، ولا يوجد فيه الغدر وهذه أحوال تخص نوعي الكلاب، ومما يخصها اللهث وذلك ليبس قلوبها فإنه متى يبس الهواء لهث. ولم يرطب مزاج قلوبها ما تشربه من الماء واليبس فيها أشد من الحركة يرى في نفوسها الحيوانية والطبيعية ولذلك حيلها شديد وأعضاؤها موثقة وباليبس عزائمها ثابتة ولأن مزاج جميع الكلاب بارد أدمغتها باردة // [١٢٤و] ولكون أدمغتها باردة، نومها

---

(١) الخصر: البرد في أطراف الأصابع.

كثير ولكون أدمغتها يابسة بالإضافة إلى دماغ الإنسان صارت مع كثرة نومها لا تستغرق في النوم كما يستغرق الإنسان حتى يغط ويبخر وينخنق ويعسر تنفسه ويرى أحلام السوء، ولبرد مزاجه صار فيها الوفاء والحفاظ والألف ومعرفته بأهله، وكلب الحراسة موثق غليظ جلد لأن له نفس تذود وتحرص وتحفظ وتبطش، ولذلك جعلت لها الآلات تليق بتنفسه ويبلغ بها أفعالها وجعل ثقيلاً على الأرض لأنه لم يحتج منه إلى العدو، وفيه ذكاء أكثر من السلوقي وإقدام على البائس وسائر الحيوانات التي تؤذي الناس ويحذرونها وهذا غير موجود في السلوقي وما ولد من هذه في البلد البارد كان أزباً كثير الشعر وما ولد في البلد المعتدل كان أجود مصيراً وتسرع إلى جميع الكلاب الأمراض السوداوية كالجرب والكلب والهزال واليبس وحدوث قروح لا تبرأ أو يعسر برؤها وأفواهها كلها طيبة لا يوجد في نكهاتها النتن للبرد واليبس ونذكر القول في الممقورات بالشيء البارد الذي هو الخل، وكذا فتصور أن رطوبة الكلب بردها ويبسها لا يعرض لها النتن، ولهذا السبب صار يؤثر أكل العظام لبرد مزاجها ويبسها وقوم من السودان يأكلون الكلاب وإنهم لمصيبون في ذلك لأنهم مع أنهم يغتذون بها قد تدفع عنهم عفونة أخلاطهم يبس مزاجها.

تمت المقالة الثانية يتلوها المقالة الثالثة من كتاب أبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن الأشعث في الحي الذي لا مالك ولا مملوك.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ولسلم تسليماً ومن يتوكل على الله فهو حسبه // [١٢٤ط].

المقالــة الثالــثة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحمتك

المقالة الثالثة من كتاب أبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن الأشعث وفيها نذكر الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك بإذن الله تعالى

فأقول: قد ذكرت في المقالة الأولى من هذا الكتاب أمر الحيوان المملوك وأنا أذكر في هذه المقالة وهي الثالثة الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك بحسب طبيعة كل جنس من أجناسه وحاله، والأمر الذي نخصه ثم بحسب علته التمامية والأمر الذي خلقه خالقنا تعالى وهي السبيل التي تصديتُ لها في المقالتين السابقتين وفي هذه المقالة إن شاء الله وبه التوفيق.

فأقول: إن هذا الجنس الثالث من أجناس الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك وهو الذي تُدبِّره الطبيعة فقط دون العقل وتنفع وحدها في وجوده وهو بمنزلة شجر البرية، والجبلية، والكلأ وأصناف من النبات كثيرٌ عددها يُدبِّر جميع ذلك الطبيعة فقط وتنفع في وجودها دون العقل حتى أننا تصورنا بعقولنا أن الحيوان الذي يدبره العقل والطبيعة معاً وهو الحي المالك والحي المملوك قد ارتفع من العلم لم يضر شيئاً في وجود الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك كما لو تَصوَّرنا أن الزرَّاع وما يزرعونه من النبات الذي يدبره العقل والطبيعة قد ارتفع من العالم لم يضر ذلك فقط وهذا الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك فَلأن الطبيعة تدبره هو غريب عن العقل هارب مستوحش منه ولذلك سُمّي جميعه وَحْشاً، وإنما استوحش من العقل لأنه بطبعه يخاف حيلة العقل وميزته والقدرة عليه به حتى يملكه غيره وإنما // [١٢٥و] يفعل ذلك العقل ليظفر بمنافعه منه غيره كما مَلَكَ الحيُّ المملوك صلحاً فهذا الحي كذلك خائف بالطبع لا بالعلم والمعرفة، كما يخاف الفروج الصغير الذي لم يُعاين غير أُمه حيواناً، والفرخ الذي هذه

حاله إذا أصيب في جو السماء وغيرها من سائر ضروب الجوارح فيتصور مستتبعه ويهرب منه[1] ويحذرها آباؤها منها ويحدث عليها أناتها وكما تخاف العصافير الحيَّة ويحذر أبناء نوعها منها، ولا تخاف شيئاً من هذه الحيوانات النعامة على عِظَمِها، ولا الطاووس كذا فافهم الأمر في الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك، إنه خائف العقل بالطبع حذراً أن تملكه هارباً منه، وإلا فمما خاف الفيل والسبع من الإنسان أمن[2] قوته وبطشه أم حيلته ومكره حتى تملكه، والعقل أبداً ينصّب حيله لملك هذا الحيوان فيظفر بمنافعه التي خلقت له منه على اختلاف أنواعها عنوة، كما ظفر بها من المملوك بالطاعة فبحق صار ما بين الإنسان وهذا الحيوان شبيه بما بين التعادي من الحيوان غير الناطق[3] إلا أن المتعادي[4] من الحيوان يتعادى بالقدرة والإنسان يعاديها بالمكر والحيلة، ويعاديه الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك بالهرب والذُّعر، فإذا أعرب ذلك عليه استعمل القدرة تقوياً بها منه، ومحاجزة عن أن يملكه فأما محاجره عن مهجته فلا؛ لأنه غير عالم بالموت ولا بأنه يموت، وقد ذكرت في المقالة الأولى العلّة التي من أجلها خلق الإنسان وذكرت في المقالة الثانية أن الحيوان المملوك خُلِق للإنسان خاصة ومن أجله للمنافع التي امتن الله بها علينا، فأما حال هذا الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك فإن منه ما خُلِق للإنسان خاصة ومن أجله ليقوم له بمنافع سنذكرها عند ذكرنا لكل نوع منه، ومنه ما خلق ليرى الإنسان كثرة أصناف القُدرة ويعلم أن الخالق ﷻ لم يمتن على الإنسان // [١٢٥ط] وحده بأن خلقه بل امتن على أنواع كثيرة من الحيوان لغير انتفاع بها وأجرى العناية في الكل حتى زيّن الجرادة وضروباً[5] من الفراش بألوان الزينة وخلق لها آلات البقاء كما خلق ذلك للسَّبعُ ولأن

---

(١) في ب ويهرب ويحذرها.

(٢) في الأصل من وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل وب الغير ناطق وما أثبتناه هو الصحيح.

(٤) في الأصل للمتعادي.

(٥) في الأصل ضروب وما أثبتناه هو الصحيح.

أفعال الرَّبّ تعالى على نهاية التمام والكمال ما لا يترك في المادة شيئاً بالقوة حتى تخرجه أجمع إلى العقل كما ترى الخنفساء وهي منتنة لأنه خلقت(*) من عفونة الأرض وفسادها ومن مادة لم تكن لحي منها شيء غير الخنفساء، ألا ترى أن مادة الحمار لا يحيى منها فرس، وكذا فافهم الحال في العناكب والنمل، وسائر ما يتولَّد ولا يلَد، وما يتوالد ولا يتولَّد وما يتولَّد ويتوالَد، فإن هذه الأمور الثلاثة تلزم الحيوان كله. واعلم أنه وإن كان كون الجسم أقدم من النفس في الزمان والنفس أقدم من الجسم بالطبع والشرف لأنه آلة لها ومخلوق بحسبها فافهم الآن أن الكثير إنما حدث عن امتزاج النفس من الأركان فوجدت لذلك الأنواع ثم ركَّب الجسم من الأركان آلة لتلك النفس فأخرجه إلى الوجود قبلها وهي فيه بالقوة ثم أخرجها من القوة إلى الفعل، وإنما خلق الجسم قبلها لأنه محل لها وهي نبات فيه ومنه كما خلقت البيضة والفروج فيها بالقوة كان الفروج أقدم عند الباري لأن من جراه خلق البيضة، كذا فافهم الأمر أن الكثرة إنما وجدت في النفوس قبل الأجسام ثم في الأجسام من أجل النفوس، وإذ كانت النفوس قد يوجد لبعضها التآلف والتحابب حتى يؤثر الإنسان أن يملك الفرس والنعجة ويؤثر كل واحد منهما أن يملكه الإنسان ويوجد لبعضها التعادي والتباغض، حتى يؤثر نفساً(١) مثل الأخرى ويساق إلى ذلك ويلذه، وكذا فافهم الحال في الأجسام أن بعضها يلائم بعضاً حتى يغتذي بعضها بعضاً وينمي به، وينافر بعضها بعضاً حتى يكون قائله له ومَهْلَكَه لمزاجها وتركيبها // [١٢٦و] ويجب أن نضع الإنسان وسطاً بين طرفين وأن تجعل النعجة وما شابهها في طرف والسبع وما شابهه في طرف، فالإنسان غذاؤه(٢) مركب من غذاء النعجة والسبع، مع تدبير العقل وهذا الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك فمنه غذاء للإنسان وقوته(٣) وهو كالغزال والدراج والسمك ونحوها

(*) خلقُ الخنفساء من عفونة الأرض وفسادها.

(١) في الأصل نفس.

(٢) في الأصل غذاه وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل قوت وما أثبتناه من ب.

ومنه ما لا يأكله وهو لباس له كالسمور [1] والدلق[2] والفنك[3] والنمور وجميع ما أشبهه حتى ما لا ينتفع به الأبكسوته ومنه ما يمتهنه ويستخدمه كضروب من الجوارح، ومنه ما تشاهد منه عياناً مواقع القدرة وجزيل المنة في صغير المخلوقات وكبيرها وضعيفها وقويها وإن الصغيرة لم يدم عليه [وسه] آلات الحياة والبقُّ لصغره وضعف آلته كالحال في البق والفراش والنمل والعناكب وإن الكبير العظيم الخلقة الشديد البطش والحيل لم يورده ثقل أعضائه ولا عِظَمُ آلاته عن القيام له بآلة الحياة وآلة البقاء. والغذاء على كثرة مما يحتاج إليه منه وآلة الحيل والشدة وآلة البطش والنجدة حتى عم الفيل والجمل والجاموس والسبع وما جرى مجرى هذه على عظمها وشدتها أو البقة والنملة على حد واحد وهو أن جميعها حساس متنفس، وأن جميعها يغتذي وينمي ويخلق مكان ما يتحلل ويألف شبهه ويسكن إليه وينافر ما بعد عن شبهه ويهرب منه ويطلب الأكل ويؤثره ويريد السفاد ويحرص عليه، وآلات كل نوع من صغيرة وكبيرة قائمة له بمنافعه التي تخصه وليس مما يجب الكون والفساد[4] حيوان عرف هذا من أفعال خالقه ﷻ غير الإنسان ولذلك كلف دونها، وأمر ونهى ووقع به الثواب والعقاب، ولما كان الإنسان ليس شيئاً واحداً بل أشياء كثيرة وكان إدراكه ما يدرك إنما هو بعقله ويسمعه ويشمه ويذوقه وبحاسة اللمس // [١٢٦ط] منه أراه الخالق ﷻ القدرة وهذه الأشياء الستة، أو حدة المعرفة بها منها ما لم يكن للإنسان سبيل إلى إدراك ربه بالحواس الخمسة فأراه العقل بعدما رآه العقل من القدرة في السماء والعالم وفيما بعد الطبيعة في

---

(١) حيوان بري آكل اللحوم يضرب لونه إلى السمرة اسمه العلمي Mustela Zibelina. ينظر مباهج الفكر ٢١٦/٣.

(٢) حيوان من فصيلة السراعيب أكبر من ابن عرس يقرب من السنور الأهلي في الحجم. ينظر مباهج الفكر ٢١٧/٣.

(٣) حيوان من فصيلة الثعالب وله فرو من أحسن أنواع الفراء واسمه العلمي Fennecus Zerda. ينظر المصدر السابق ٢١٢/٣.

(٤) الكون والفساد من مصطلحات أرسطو في كتاب طباع الحيوان ويعني به الخلق والتحلل.

في السماء والعالم وفيما بعد الطبيعة في هذا الجنس من الأمور الطبيعية تولد ما يتولد من الحيوان على الأركان، أو ما قرب من الأركان أو من مادة ليست خاصة به ليقر العقل ويذعن ويعلم أنه ليس يعزب عليه سبحانه وجود الموجودات من غير المواد التي تخصها متى شاء ذلك لأن الحكم على الحساس المتنفس كله حكم واحد وإنما يعزب ذلك على الطبيعة فقط، ولنر كيف خرجت المواد التي تخص الجواهر من الأركان وتدرجت في الوسائط كتولد الجراد والسمك من لا سمك ولا جراد، وتولد الجراد والسمك من الجراد والسمك فكذا الحال كانت في الناس، وفي غيرهم من جميع المخلوقات، ولنقر بأن الأركان أوجدها من العدم ولتعلمنا أن الطبائع الموجودة الأنواع قواه في الأنواع الأقوى للأنواع من ذاتها وكذا تعلمنا من أرسطوطاليس فيما للأجرام السماوية من الحركة والأفعال، إنما هو من قوة من قواه لا لها من ذات أفقها وذلك مفهوم في مقالة اللام وإذا كان هذا هكذا فكم بالحري أن يلزم مثله في عالمنا أن هذا الأمر الذي ذكرته وإن كان شرعياً فإن أرسطوطاليس قد صرح به حيث ذكر الطوفانات وما يحدث بعدها، وإن هذا غير ممكن إن وقع الإقرار به طابع الطبيعة أن يوجد شيء[١] بي شيئين كل واحد منهما قائم بنفسه غني عن الآخر وليس هذا موضع ينبغي أن نتكلم فيه بأكثر من هذا، وأما حاسة الأبصار فلما لم يكن تدرك شيئاً غير الألوان وتأليفها، أرى البصر ما فعله // [١٢٧و] في الطاووس والدراج والتدرج والدجاج السندي وفي الألوان كثيرة في جميع الستة عشر جنساً من أجناس الحي كما أراه ما فعل في ألوان النبات حتى أقر الإنسان أن هذه أمور صدرت عن الفعل والميزة والمعرفة والتفرقة بين الحسن والقبح واختيار الأفضل وبقي الأرذل، وأن ذلك ليس عن الطبع العمي[٢] التي تتحرك نحو المنتهى ويكتفى راجعه إلى ما منه ابتدأت فأظهر القدر بحاسة البصر كما أظهرها العقل وأما السمع لما يدرك غير الصواب من

---

(١) في الأصل شيئاً والصحيح ما أثبتناه.

(٢) في الأصل العميا.

المصوتات بين السمع ما فعله في القماري[١] واليعابيط[٢] والدباسي[٣] والنواح[٤] وسائر الحجازية والبلابل والتبع[٥] والغداف[٦] والعقعق[٧]، وجميع ما أشبه هذه حتى سمع السمع بالقدرة وأداها إلى العقل كما نظر النظر بالقدرة[٨] وأداها إلى العقل وكذلك أيضاً لذ السمع بتأليف الألحان وتناسب النغم وطيب الترنم وحسن الصوت من الناس حتى أيقن أن هذه موجودة عن الحكمة لا عن أمر وقع جزافاً، وأما الشم، فلما لم يكن يدرك غير كيفية البخار الذي يكسب الرائحة العطرة والمستطابة والكريهة التي يعافها خلق الحيوان الذي يوجد فيه المسك والحيوان المعروف بالزباد[٩]، وروائح النبات العطرة وغير ذلك حتى عرف الإنسان بالشم وعرف روائح سائر ما يصنع من الحيوان وغيره فيكون ذلك داعية إلى شهوته فيأكله للانتفاع به ويعافه للكراهية فيجعل الشم هادياً ودليلاً ومحرراً وصاداً منعهم الشم من حال هذا الحيوان فافهم من أمر سائر الأشياء دونه وألقاه إلى العقل كما ألقى البصر والسمع، وأما الذوق فلما لم يكن يدرك الأبطعم[١٠] اللسان واللهوات ليستأثر ما يستلذه بما هو مشابه للجسم ونافع نموه // [١٢٧ط].

---

(١) من الطيور والعرب تسميه ساق حر حكاية لصوته. ينظر مباهج الفكر ٣/٤١٥.

(٢) من الطيور الحجازية جميلة الصوت. المصدر السابق ٣/٤١٩.

(٣) من الطيور سمي بذلك بسبب لونه. المصدر السابق ٣/٤١٦.

(٤) من الطيور وهو يشبه القمري. المصدر السابق ٣/٤٢٠.

(٥) من الطيور وهو الطيور الحجازية. المصدر السابق ٣/٤٢١.

(٦) من الطيور قيل أنه الزرزور وقيل أنه ضرب من الغراب. ينظر المصدر نفسه ٣/٤٧١.

(٧) من الطيور والعرب كانت تضرب به المثل (اخوف من عقعق). المصدر نفسه ٣/٤٧٥.

(٨) في الأصل قدرة وما أثبتناه من ب.

(٩) حيوان يشبه الهر من فصيلة السنانير اسمها العلمي Viveria يوجد في جسمه رائحة المسك. ينظر مباهج الفكر ٣/٢٢١.

(١٠) في ب يعلم بغير.

(البــاب الأول)

(في طريق يوجد به أجناس الحي الذي لا مالك ولا مملوك)

إنه لما كان الإقرار قد وقع بأن مبادئ العالم أربعة النار والهواء والماء والأرض وإن سائر الكائنات الفاسدات عنها تتكون وإليها تنفسد، وكان الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك من الكائنات الفاسدات، فالحيوان الذي لا مالك ولا مملوك من النار والهواء والماء والأرض وإذا كان منها فإنما صار أقساماً كثيرة بالطبع والعدد لاختلاف تركيبه من هذه الأركان الأربعة وميل مزاج كل صنف إلى ركن واحد وأكثر من واحد والحيوان الذي لا مالك ولا مملوك.

أ. إما ناري، ب. وإما هوائي، جـ. وإما مائي، د. وإما أرضي فهذه الأربعة أبسط الطبائع، ثم تتركب فتكون أ. إما ناري هوائي، ب. وإما هوائي ناري، جـ. وإما ناري مائي، د. وإما مائي ناري، هـ. وإما ناري أرضي، و. وإما أرضي ناري، ز. وإما هوائي مائي، ح. وإما مائي هوائي، ط. وإما هوائي أرضي، ي. وإما أرضي هوائي، ك. وإما مائي أرضي، س. وإما أرضي مائي. فذلك اثنا عشر ازدواجاً[(١)] على التغالب والتفاضل يحدث عنها اثنا عشر طبيعة لاثنى عشر جنساً، فإذا أضيفت إلى الأجساد الأربعة على الأربع العليات[(٢)] البسائط صار جميع ذلك ست عشرة طبيعة من أجناس الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك. وليس عندي أن يظن أنها ستة ازدواجات على الاعتدال من الأركان الأربعة لأن هذا مظنون في الإنسان فقط الذي هو أكيس الحيوان وأعدله بل ينبغي أن نظن أن لهذا التغالب والتزاوج عرضاً وأنه يظن سبباً منه القرب بين الضدين أو من المزدوجين شين منه البعد، فإما اعتدال مع الحقيقة فليس // [١٢٨و] ذلك إلا في الإنسان ونحن نذكر هذا التقارن والتباعد إذا أخذنا في

---

(١) التقسيم قائم على أساس الطبع الناتج عن البسائط الأربعة.

(٢) جمع علة.

القول في نوع نوع، فأما من حيث نحن قائلون في الأمور الكلية فهذا غير مدرك فيها وإذا كان قد صح أن هذه الأجناس ستة عشر جنساً فافهم عني إذا قلت حيوان ناري أو مائي أو هوائي أو أرضي، فإنما أنعته بأغلب الأركان الأربعة فيه لما غلبت عليه من الأمر الذي تحدثه في ذلك الركن لا إلى [...][1] من الأركان الثلاثة الباقية ولا من الأمور التي تحدث عنها لأنه لو لم يكن كذا لكان ذلك الحيوان بسيطاً ولو كان بسيطاً لوجد له فعل ذلك الركن مثل أن يكون حيوان ناري فيكون صاعداً في الجو أبداً ولا يمكنه الحدور إلى [...][2] وهذا غير ممكن لأنه لو كان بسيطاً كان ناراً، وإنما صار منه حيوان لما تركب عن الأربعة متى تركبت تركيب امتزاج واتحاد، حتى حدث عنها شيء مخالف لها في الجنس وذلك أنه ليس واحد من هذه الأركان حيوان، والمتولد حيوان لا حساس[3] ولا ذو لون ولا شيء مما أشبه هذا والمتولد عنها حساس ذو لون وذو أشياء كثيرة نسبة إلى[4] هذه، وافهم عني أيضاً أني إذا قلت ناري مائي فإني أريد به أن النار فيه أكثر من الماء والطبيعة التي تخص هذا الموضع الركن فيه أكثر من الطبيعة التي تخص الماء، وأن الخواص والأعراض اللازمة لطبيعة الماء وكذا يجري الأمر في سائرها، وهذا رأي السلف كلهم، وليس شيء تفردت أنا به، وقد ينبغي أن أوضح ما قلته وأن أخرجه من القوة إلى الفعل بأن أبتدئ القول من أول هذه الأجناس فأذكرها جنساً جنساً، وأذكر من الأنواع التي تحت كل جنس ما يكون هادياً إلى العلم به والإقرار بصحة هذا القول، وأن هذه القسمة الطبيعية قد وجدت // [١٢٨ط] بالفعل، وأنه ليس منها شيء غير موجود، وابتدئ القول من البسائط فأقول الحيوان الناري هو جارح الطير وهو الذي طبيعته حارة يابسة غضوب حقود منهضم غاصب قاتل يغتذي بالروح واللحم ويطير في جو السماء، ويتجاوز في طيرانه البخار والهواء

---

(١) فراغ في الأصل وهو غير موجود في ب.

(٢) فراغ في الأصل وهو غير موجود في ب.

(٣) في الأصل ولا حساس.

(٤) ساقطة من الأصل.

الذي هو حار رطب ويعلوه إلى هواء هو حار يابس لم يلحق بطبيعة النار وإنما يتم لهذا الحيوان أن يعلو إلى هذا المزاج من الجولان له نفس مزاجها هذا المزاج فهي تتحرك بمزاجها إلى هذا المكان كما تتحرك النار ولها جسم له آلات بحركة نحو هذا المكان ولا تقصر به عنه، وآلات بحسب أخلاقه وأفعال نفسه من النسر والمخاليب والرجل الذي قد أعطيت فيه قوة الإمساك والجلب[١] كما أعطيت كف السبع ذلك وأعطي نظراً حديداً يرى من مكانه ما يدب على الأرض ومأواه شوامخ الجبال والعادي من الشجر الطوال، وذلك أنه بطبيعة اليبس الناري كما أن العلو له بطبيعة الحرارة وليس بذي مشي ولا لبث في الصحاري، ولا في الشطوط لبعده من المزاج الرطب، ولا هو مما يتجاوز خيطاً حيطاً[٢] كما يطير بعض الطيور وهو يتزاوج عند الشبق وتفارق الذكور الإناث بعد هذا والشبق للشهوة الذي في كل واحد منهما ومحبة كل واحد أن يستأثر بطعم دون أبناء جنسه والغضب الذي يحدث له عند الفريسة، وهذا الحيوان يؤثر الأكل على نفسه ويسمح بها من أجله حتى إذا أخذناه وملكناه عنوة ورأى ما له عندنا من وجود فريسته واعتادها من جهتها سلم نفسه إلينا ونجح بها على أفضل ما نجد ذلك في الحيوان المملوك قصداً واستخدمناه وانتفعنا به وكان كاداً كاسباً وذلك يتم لنا منه بشرهه أيضاً وقوة غضبه يفترس // [١٢٩و] بعضه بعضاً ويأكل بعضه بعضاً ويقل ألف بعضه لبعض ولوقفته نصبة يسمو فيها برأسه نحو السماء وينتصب انتصاباً ينفرد به من سائر الطير بحرارة نفسه وحسه وفيه ذكاء وسرعة وحركة لغلبة المزاج الناري على طبعه وحيله وقلة وفاء ولشرهه ما لا يزوج عندنا ولا يألف الروح، وأنواعه كثيرة وهي العقاب والزمج الأرضي والبازي والزرق والباشق والعقصي[٣] والتنسك، ويطايرها الشاهين والكرك، والصقر، والكونج واليؤيؤ مما أشبه ذلك، مما

---

(١) الجلب: الشدة في الإمساك.

(٢) الحيط: الطيران جماعة والمجاورة.

(٣) في الأصل القصصي وما أثبتناه من ب.

لعلي لا أعرفه، وأشياء تلحق بهذه كالحدأة وضروب كثيرة سأذكر ما أعرف منها عند ذكري أنواعها نوعاً نوعاً، وكلامي على طبيعة كل واحد منها إن شاء الله.

والحيوان الهوائي هو الذي نسميه الناهض وهو كل ما طار في بخار الأرض ولم يعلهُ عنه، وكان وراه في الطيران قصيراً ولذلك طيرانه في بلده وليس ينتقل منه ويقطع منه الزمان وكأنه بين الطائر والسابح لأن طيرانه كالسباحة وذلك أن جناحه يحمله في حرم البحر، وغلطه ومسقطه، ومأواه الأجام والأوعال والغياض، حيث[1] الحشيش ومطرد المياه والأنهار الجارية؛ فهو لذلك حار المزاج رطبه رطوبة بلطافة ولدونة وهذا المزاج له في نفسه وجسمه ومرعاه البزور والخضر فلذلك طبعه قريب منا ملائم لنا ولحمه قليل الفضول لحرارة مزاجه مهذب، وكونه أبيض؛ لاعتدال حرارته وذلك أن الحرارة في الهوائية حرارة ممتزجة بين حر النار وبرد الماء لأن الحرارة في الهواء ليست الركن الغالب، وإنما الرطوبة فيه الركن الغالب، وهو رخص اللحم للرطوبة التي فيه من طبعه ومسكنه واعتدال غذائه، وأنه حيوان لا يشقى بطول الطيران وبعد المسافات // [١٢٩ط] ولا تحتفه[2] الجوارح لالتفاف مسكنه وهو غذاء محمود عندنا، وأنواعه التدرج والدراج والقيح والسمان والتدارج والصفارد، وإن عرفتم حيواناً هذه حاله فألحقوه بطبيعة هذا الجنس فإني لست أعرف كل الحيوان في كل الأرض ولذلك ما آتي بقوانين يمكنك أن تظفر فيها بطبيعة ما إذا رأيته وبحثت عن حاله، وإن كان مما لم أذكره، والحيوان المائي كسائر أنواع السمك، وكل حيوان إذا فارق الماء مات مما نعرفه ولا نعرفه، فإنه بارد رطب غليظ الكيموس لزجه وله في هذا المزاج عرض بحسب أنواعه ومزاجه، وسنقول في مزاج كل نوع من ذلك وعرض بحسب طبيعة الماء الذي هو فيه فإن مزاج الشطوط فيما دجله ليس كمزاجه في البطائح ولا مزاجه في نهر أجمة مقلتانا وهو أكثر نتناً[3] ولا لمزاجه في ماء مالح،

---

(١) في الأصل وحيث.

(٢) الحتف الموت.

(٣) في الأصل وهو ما أكثر نتن.

وأما اختلاف مزاجه بحسب أنواعه، وأنا أفيدك قانوناً تدرك به اختلاف أمزجة، وهو أن ما كان أملس الجسم ليس بذي فلس فهو أبرده وأرطبه وأغلظه مزاجاً، ولذلك هو أسمنه وهو كالجريت، والمرماهي والكنعب والكودنح وما أشبهه وما كان عظيم الفلوس كثيرها حسنها، فهو أحر وأيبس كالساطر والوحر وما أشبه ذلك، وما كان عظيم الفلس لينه قليل الكمية سبط سهل الحركة سريعها، له وثوب وطفر، وظهره إلى السواد ولون فلسه كذلك فهو أحرها وأرطبها كالشبوط والسروع والهازنا والبني، وما كان صغير الفلس أبيضه أبيض الجلد فهو أبردها، وأيبسها وذلك مثل السلور والسمك المنقط بالسواد[1]، وما أشبهه ذلك، وأما الحيوان الذي منها في الصنف فأبرد منها أجمع وأغلظ وألزج ولذلك ما تولدت عليه القشرة الصدفية وأكله مدمناً يحدث الجذام لأنه يفعل في بدن آكله مثل الذي يفعله على نفسه من القشرة الباردة اليابسة وكل // [١٣٠و] هذا الحيوان يأوي الماء ويستنشق الماء كما نستنشق نحن الهواء إلا أنا نستنشقه نحن وما يجري مجرانا من الحيوان بأنوفها وينفذ الحنك ثم إلى قصبة الرئة، والسمك يستنشقه بأصداغه فيقوم له في الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه وبقي الفضل الشبيه بالدخان فنتأوله لشهرته به فقط، وإذا كان تم به الروائح فمعلوم أن دماغه منه يتنفس التنفس الذي لنا بالشباك لأن للنفس فينا طريقان بعد دخول الهواء[2] في مارن الأنف طريق يأخذ منحدراً إلى الرئة وطريق يمر فيما صلب من الأنف صاعداً إلى الشباك في أصل الأنف ثم إلى الحوض وهو مكان خالٍ من وراء الجبهة قدام البطن الأول من بطون الدماغ يجتمع فيه البخار ويمكث فيه [...][3] الدماغ بمجاورته البخار له بالروائح، والحال في السمك غير هذا لأن أنفه يؤدي الروائح إلى دماغه في نفس جوهر الماء وذلك أنه إذا صار الماء من الرائحة على حال وأجبره السمك بأنفه فماس البخار أدفعتنا أحسن بالروائح من الماء كما يمس بالروائح من

(١) ينظر أنواع السمك في طباع الحيوان ص٧٦-٨٠.

(٢) ساقط من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٣) فراغ في الأصل وهو غير موجود في ب.

البخار حتى صار البخار بحال ما من طيب الرائحة وحسها وإذا كنت ذاكراً لما قدمت في المقالة الأولى في حدوث النفس الحيوانية فينا عن النفس الطبيعية والنفس النفسانية عن النفس الحيوانية كيف ذلك فافهم أن حال الماء عند السمك كحال الهواء عندنا وأنه إذا ارتقى من كبده الدم إلى البطن الأيمن من قلبه ثم إلى الأيسر، واستنشق الماء وترك في رئته ووصل إلى بطن قلبه الأيمن تولد فيه روح حيوانية في السمك من غير هذا حتى تكون النفس الحيوانية قينا دم وهو أدخل بالتنفس، وما دخل في قصبة الرئة وصنع بطن القلب منه روحاً حيوانية وفي السمك دماً وماء فقط هو الروح الحيوانية من غير هواء وإنما استغنى // [١٣٠ط] عن الهواء في إقاتة الحياة ولم نستغني وما أشبهنا عنه من الحيوان لأنه في عالم الماء والأرض دون عالم الهواء، وأحر منا نحن إلى الأرض والماء والهواء لكوننا في عالم الأرض والماء والهواء، ولذلك أبداننا تغتذي بالبزور، والقصب، والحيوان، (وهذا جوهر الأرض وتشرب الماء وتستنشق الهواء وفي مثل هذا القول أقوله في نفس السمك أنه يرتفع من قلبه إلى دماغه روح حيوانية ويدخل بتنفسه ماء فيعمل في بطون دماغه روحاً نفسانية تخصه كما تعمل في أدمغتنا من الروح الحيوانية وما استنشقناه من الهواء روحاً نفسانية)[١] ومتى أخذت سمكة فعلقتها بدمها في الماء وأدخلت في الماء منها الرأس والأصداغ لم تمت وكان حالها كحالنا إذا أدخل أحدنا في الماء وغاص سائر بدنه وأخرج أنفه وفي هذا دليل على صدق قولي وبطلان ما ذكره شيخنا الكندي في مقالته في السمك من أن في تضاعف الماء هو أميز من الماء أما ترى أنا إذا أخذنا في أكفنا ماء ثم استنشقناه فانه يدخل والهواء معاً، وليس مذهبي القدح في أحد، وإنما نبهت على هذا القول لئلا يغتر به مغتر إحرازاً لكم نشهد الله من آراء السوء ولي من سوء ظلم بي.

---

(١) ساقطة من ب.

والسمك كله شره كثير الأكل؛ لأمرين أحدهما برد مزاج معدته والآخر قربها من فمه، ونذكر هذين الأصلين لجالينوس فإنه يقطع أن كل حيوان قريب المعدة من فمه شره، ويذكر السمك ولأنه ليس له عنق ولا قصبة رئة طويلة فليس له آلة صوت[١] ولأنه ليس يدخل إلى رئته هواء البتة فليس له مادة للصوت، ولو كان الأمر كما قال الكندي لقد كان يوجد للسمك صوتاً ما ولو ضعيف وليس عديم قصبة الرئة لكن له قصبة قصيرة فلو استنشق هواء لقد كان يصوت صوتاً ما إلا أنه // [١٣١و] ليس له البتة صوت وليس له البتة استنشاق هواء[٢] وحاسة الشم فيه قوية أقوى منها فينا من أجل غلظ الجوهر الذي يقبل الرائحة وهو الماء، وكذلك ما هو أغلظ جوهراً من الماء فتولد الرائحة أكبر، وانحلالها منه أعسر، والبخار لما كان ألطف من الماء كان قبوله أقل ونحن نحس الروائح بالبخار وأجعل دليلاً على ذلك قبول الجسم اللطيف والغليظ للحرارة والبرودة، فإن اللطيف يقبل الحرارة بسرعة قبولاً يسيراً والكثيف يقبلها بعسر وقبول كثير، ونذكر قبول الفحمة للحرارة وقبول الكاويا أو قطعة من الحديد وأحكم بمثل هذا في الروائح والسمك أشد سمعاً منا وقد عرف هذا منه الصائدون فهم في مصائده لا يتكلمون ولا ينجحون ولا يتحركون حركة يحس بها منهم حاس، ويرونه عياناً بتسمع شديداً ويهرب وسبب ذلك أن صماخه أصلب من صماخنا؛ لأن صماخه غضروفية وصماخ السمك أصلب وهي من جوهر أصداغه فمصاكة الأصوات لها أشد وقعاً[٣] وأبصارنا أشد من أبصاره ولكور الروح النفساني فيه لأنه انعمل من غير هواء، وكذلك إذا قربت منه وهو راكد لم يتحرك فإن صوّت نفرت فيعلم من ذلك أن حاسة الإبصار فيه غير مناسبة لحاسة السمع، ولسانه غليظ قصير وهو شبيه باللسان وليس لساناً حقيقاً لأن اللسان ينفع في الصوت[٤] وليس هو بصوت واللسان يقلب

---

(١) في ب فليس له صوت.

(٢) وهذا هو الصحيح إذ يعتمد السمك عن الهواء المذاب في الماء.

(٣) في الأصل وقع وما أثبتناه هو الصحيح.

(٤) اللسان لا علاقة له بإنتاج الصوت وعلاقته تنحصر في تعيين مخارج الحروف.

الغذاء على الأضراس عند المضغ وهذا الحيوان لا يمضغ وإنما لسانه يحس الطعوم ولأنه سداد طمرته[١] وضماماً لحرارة جوفه فليس ينبغي أن يقدر أنه إذا فتح فاه دخل الماء في حلقه ملاء جوفه كما ترى نفسك وأنت في عالم الهواء، وهو أرق من الماء إذا فتحت فاك وحل في جوفك منه ما يصير به زقاً منفوخاً لا يلبس الحكم في الحيوان وآلاته كالحكم في القناني والباني الفارغة التي يمكن فيها إما الهواء وإما الماء // [١٣١ط] ويتعاقبان فيها، وله أضراس وليس للمضغ ولا ماضغ وإنما هي آلة لقتل ما يفترسه من حيوان الماء والبر لتفعله بطبعه عليه ويبلعه فإن لم يكن ما التقمه حيواناً بلعه من غير طبق عليه وفعله هذا شبيه بفعل الحية فإنها تبلع ما ليس بحيوان ازدراداً وينهش الحيوان وينبت فيه وتفرغ فيه سماً يكون سبباً لقتله ومقرباً له من طبعها ليجود بذلك هضمها وسبيلها[٢] في ذلك سبيلنا في تدبيرنا بالأغذية بالنار لنقربها من طباعنا إلا أن ذلك لنا بالعقل ولها بالطبع، وله شفتان ذواتا مفصلين وهي له عوضاً من الخرطوم أو من يد المتناول بها يتناول ما يأكله ويحركهما كيف شاء كما يحرك ذر الخرطوم خرطومه وذر الكف كفه ولما لم يكن له قائمة ذات طول ما تنفذه من الأرض لم يخلق له عنق بطول القائمة بذي مشافره من الأرض ولا خطر ما يعتاض به من العنق كما ترى ذلك في الفيل وضروب من البق والذباب التي لا تلحق رؤوسها الأرض وإنما لم يخلق له عنق لأن خالقنا سبحانه لا يعبث وفعل ما لا يحتاج إليه عبث وجعل له مشافر يكتفي بها ويبلغ بها مصلحته فتبارك الله أحسن الخالقين.
والسمك لما كان ليس مستنشقاً للهواء وكان عليه السائح الهواء الذي يدخل في رئته ويمتلئ به صدره فترفع جسمه وحركة بدنه ورجليه الماشية تكون له بها حركة النقلة، وكذلك الحال في الطائر ما يحصل في ذنبه من الهواء برفعه وجناحاه آلة النقلة في الجو وقد ذكرنا ذلك في المقالة الثانية فافهم ذلك ولما احتاج السمك أن يكون صاعداً

---

(١) الطمرة: القناة.

(٢) في الأصل سبيلنا.

وهابطاً في الماء احتاج هواءً يرفعه ويكاد يستنشق ما في رئته ماراً لما يطلب [...][١]
حرره خالقنا من أن يكون سبيله سبيل السرطان الذي إذا أراد عبور نهر نزل إلى الماء
وسار على الأرض في قعره حتى يعبر ماشياً[٢] ولم يمكنه إلا اليسير // [١٣٢و]
من السباحة بأن خلق في جوفه صفاتاً غليظاً مملوءاً ريحاً على هيئة كيس[٣] قد نفخ
وشد وسطه فانقسمت الريح فيه قسمين فصار هذا الهواء المحتبس هناك عوضاً له
من الريح الذي تجتمع في رئة السابح من مستنشق الهواء وهذا دليل أيضاً على
بطلان قول الكندي لا لو كان ذلك كما قال، كانت هذه الآلة فضلاً لا يحتاج إليها،
والسمك يفر في الماء ويهدأ من الحركة ويركز[٤] فأما قراره فإني رأيته يطلب حفراً فيقر
في قعرها لأن لا تخرجه جرية الماء وذلك الجاري يمر فوق تفريع الحفرة ويبقى ما في
تقعيرها، والحد فيرسل أجنحته ويقربها ويماس بطنه الأرض وصغاره تحترس من
كباره، صار يطلب أصغره ماء الشط والماء القليل وينفر من الماء الكثير لئلا يأكله ما
هو أكبر منه مما يحمله ذلك الماء جميعه إذا أعوزه مرعاه ولم يمكنه أن يأكل غيره
من السمك أكل الطبق، ولا يأكل الحصى ولا الحجر البتة وجوفه شديد الحرارة وما
يأكله يستمرئه بسرعة وذوقه كدر من الجوارح فإن رأيته قد خالطته غيره فاعلم أنه قد
أكل الطين، وسبب حرارة جوفه برد سطح جسمه وأنه في الماء فليس يتحلل من بخار
روحه الحيوانية شيء له قدر، وأما كيف يركز فهو أنه يدخل رأسه وبعض ذنبه في
الأنقاب ويرسل نفسه حتى يستريح، حتى أن صياديه قد عرفوا ذلك من فعله فيتتبعون
المواضع التي يظن أنه فيها وهي الأجراف فيأخذونه منها باليد، والسمك شديد
الختل[٥] والقوة جداً وذلك أن قوته للحركة الإرادية تجري في مسلك واحد ولا ينقسم في

---

(١) في الأصل فراغ وهو غير موجود في ب.
(٢) في الأصل ماسياً وما أثبتناه من ب.
(٣) في الأصل حليص وما أثبتناه من ب.
(٤) في ب يركس.
(٥) الختل: الحذر.

يد وأرجل أو شيء مما يستعمل القوة فقوته المنبعثة من دماغه في أعصابه كأنه جريه // [١٣٢ط] مادة برجاء ضيق، وهذا بعينه تجده في الحيات حتى أنه إذا دخل بعضها في نقب لم يقدر ذو البطش الشديد من الرجال أن ينتزعها أو يجذبها منه وإن جرها بأشد ما يقدر عليه وقد اختلف الناس في سفاده، وأقوى الأقاويل عندي أنه يسفد مثل الحية وأن الذكر تلفح بسفدة يسفدها كثيراً مما في جوف الأنثى من البيض كما يلقح باليسير من الحي العدد الكبير من الرطب وما عندي في هذا ما أقطع به.

الحيوان الأرضي هو كل حيوان لا يمكنه مفارقتها إلى الهواء ولا إلى الماء وهو منحجر فيها يركز في بطنها، وأن يبتغي على ظهرها لا يضطر إلى شرب الماء وأن شربه في وقت ولا يحتاج إلى شم النسيم مادام لابثاً في بطنها تجزيه أن يغتذي منها ويعيش فيها وإن كان متنفساً فتنفسه من البخار الذي يتولد في جحره كما يتولد البخار في الآبار الذي منه ينعمل الماء في أعماقها وهذا البخار متى اضطر الإنسان عند نزوله إلى بئرها من العمق ما لا يمكن من الهواء والنسيم أن تنزل إليها الريح الفاسدة له مات فيه وشرق به كما يموت بالماء إذا غرق فيه ولأن هذا البخار قريب من طبيعة الماء فهذا الحيوان يجتزي به من الماء ويقوم ما يستنشقه لقلبه مقام الهواء والماء ويتولد في بدنه عنه رطوبة تجري من شرب الماء ولذلك ترى هذا الحيوان يبول وإن لم يشرب الماء لما يفضل عن شراسته ولما يفعل عن عروقه غير الضوارب وهذا لا يرد الحيوان مزاجاً وأيبسه وأغلظه جوهراً وأشده ذعراً واستحاساً وخوفاً من الناس وهو الخلد واليربوع والصب، والقنفذ والنمس وضروب كثيرة تشبهه، ومنها الأفاعي كلها بالمركبات.

أ. **الحيوان الناري الهوائي:** هو كل حيوان يطير في العلو أكثر من طيرانه في // [١٣٣و] البخار وهو شديد الحرارة لأن حرارة الهواء مساعد حرارة النار وهو أرطب مزاجاً من الحيوان الناري لأن يبوسة النار قد امتزجت برطوبة امتزاجاً فيه اليبس أكثر من الرطوبة لأن طبيعته لذلك تنبعث بالحر واليبس ومرعاه على وجه الأرض وفي الريف والشطوط وهو يأكل النبات والحبوب ويتألف خيطاً خيطاً وهو

الكراكي والغرانيق والحبارح والحباريات والكروانات والأوز الكبار والأوز الصغار المسمى، وما أشبه ذلك مما نعرفه أو لا نعرفه وكل هذا يفرخ في الأوعال والأجام ومطرد المياه ولا يركب الأغصان ولا شوامخ الجبال.

ب. **الحيوان الهوائي الناري:** هو الذي يطير في البخار أكثر من طيرانه في العلو ومزاجه حار رطب وهو رخص اللحم والفرخ من جميعه ألذ وأشبه بطبيعة الغذاء أو المخلف منه صالح أيضاً وأما إذا تقادم جميعه عسي وصلب فكله حيوان دمث مترنم ثم يزدوج ويعشق ويظهر من كل واحد من الزوجين كلف بالآخر ومحبة له ويحن إليه ولها هدير وتصويت وتغريد وهو حيوان طرب يأوي الشجر ويركب الغصون ولا يركب الأرض إلا عند ارتقاءه فقط، وطيران جميعه شديد سريع والناس يتخذونه لسماع صوته أكثر مما يغتذون به وجميعه بادي الثامنة من جناحه قصير العاشرة والتاسعة[١] وهذا دليل سرعة الطيران وجمعه الجناح وهذا هو الفواخت والورشان الغير حجازي والشفنين والدبسي العراقي والقمري، واليعتبط، والنوح والدقي والنوي وهو ورشان حجازي أسود اللون والدبسي المصري والحمام الطورانية وما أشبه هذا ومعلوم أنها شبقه لغلبة الرطوبة والحرارة على مزاجها وأن الرطوبة تغلب // [١٣٣ط] فيها اليبوسة وحرارتها فأقل من حرارة الناري والهوائي كما أن الناري أحر من الناري الهوائي كذا فتدرج وإنما وقع هذا التدرج لأن الحرارة في النار في الغاية والحرارة في الهواء ليست في الغاية وإذا لم تكن في الغاية فمعلوم أن البرد فيه امتزاج ذا قدر وكذا أيضاً اليبس في النار ليس هو في الغاية إلا أنه في الأرض في الغاية فافهم علية الرطب اليابس لأمرين أحدهما من جهة الكم والآخر من جهة الكيف وطيبة أصواتها من هذا دخل عليها.

---

(١) الثامنة والعاشرة والتاسعة يقصد بها ريش في جناحه تكون الواحدة أطول منها.

جـ. **الحيوان الناري المائي**[1] هو جارح الماء وهو ما طار في الجو فوق البخار وكان مرعاه الماء وما يتصيد منه وهذا مزاجه معتدل في الحرارة والرطوبة على تساوي في الكيفية وزيادة في النار بالكمية وزائد في الرطوبة بحسب الكمية لا بحسب الكيفية، وأنه بحسب الكيفية معتدل لأن يبس النار ليس لها في الغاية ورطوبة الماء ليست له في الغاية فهما متكافئان في الكيفية وإنما يزيد الحرارة لأنه ناري هوائي فيه من النار أكثر مما فيه من الماء وليس في الاغتذاء بشيء من هذا خير وسنأتي بالعلة فيه إذا تكلمنا في أنواعه نوعاً نوعاً وتوسعنا في القول فيه وهذا الحيوان هو رمح الماء فإنها تعلو في الجو وتزج نفسها على سطح الماء فتختلس[2] منه السمك بكيفها (ومنسره[3] كنسر الماء من نسر الجوارح[4]) ولا يقع على جيف ولا يغتذي بغير ذلك، ومنه القرلي وهو طائر أبلق ببياض وسواد يتعلق عالياً ويزج نفسه فيختلس السمك بمنقار له طويل ومنه طائر يسمى السباق وهو شاهمرج صغيرة، يختلس السمك من سطح الماء ومنه أجناس الشاهان التي هي شاه وشاهمرج ومنها رجليه صغار وبينها بحرية كبار، ومن هذه الكافورية الورق[5] والصفر والشهب إلا أن هذه أجمع بطيئات الأرجل فهي مع ذلك تركب سطح // [١٣٤و] الماء تأخذ ما تفترسه وتبلعه بلعاً وهذه جوارح الماء والشاهان تصيد وتفترس ويبلغ سائر ما في الماء فإذا نقلناها إلى منازلنا افترست الهوام البري وكل طائر أمكنها بلعه وليس يحب أن يتعجب من افتراس هذا بالبلع فإن من المفترس أشياء كثيره تفترس بالبلع منها من الأرضيات الأفاعي ومنها من المائي الجريث والنار ما هي.

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) في الأصل فتجلس، وما أثبتناه من ب.

(٣) منسر الطائر: منقاره.

(٤) في الأصل ويسره لنسر الماء نسر الجوارح).

(٥) الورق: اللون الفضي.

د. **والحيوان المائي الناري:** فيه حرارة مزاج ملهبة بطبيعة النار لا حرارة من طبيعة الهواء ولذلك يعلو في الجو ويقطع مسافات بعيدة وهو مع حرارته رطب رطوبة غليظة لزجة لأن مزاج الماء عليه أغلب من مزاج النار والبرد يغلب الحر بحسب الكمية لا بحسب الكيفية، وكذلك الرطوبة لأن الرطوبة في الماء نظيرة اليبس في النار ليس منها شيء في الغاية وأما الحرارة في النار ففي الغاية والبرودة في الماء في الغاية فغلبه البرد بحسب أن قسطه من الماء أكثر من قسطه من النار والذي يعبر عن مزاج هذا الجنس أنه بارد رطب على سبيل أن الماء فيه أكبر من النار ولذلك هذا الحيوان راكد، وابل[1] الحركة، رَهِل الجسم، وخَيِم الطبع يقبل الطيران يرتعي في مكانه ولا يتنقل على الشطوط والمياه القليلة المنبسطة ويأكل ما يمر به ويجيء إليه من السمك ولا يتحرك هو إلى ما يريعيه إلا في أقل الأمر وهو ما يطوف من البزور[2] ومنها البيضاني والنصراني والوامة وضروب تشبه هذا.

هـ. **والحيوان الناري الأرضي:** فهي بخلاف الطير وهو على حيوان علاني جو السماء طائراً وطلب مرعاه من أعلا مرتعاً[3] وإذا بصر بالجيف أنقض عليها ومزاجه حار بحسب زيادة كمية النار فيه على الأرض وهو من اليبوسة في الغاية لذلك // [١٣٤ط] لحم هذا الحيوان غير سمك ولا زفر اليبس الذي فيه وقلة فضوله وهو مع هذا صلب يابس فحل وهذا الحيوان فهو النسر والرخم وأصناف والغربان وهي العذاف والغراب الأسود والغراب الأبقع المورد وغراب البين، والأبقع الأغبر والربح[4] الأكلب والربح الأزرق ونظائر لهذه كلها يعلو فوق البخار ويفرخ ويأوي

---

(١) الوبال: الثقل والشدة.

(٢) في الأصل فراغ صغير وما أثبتناه من ب.

(٣) أي وطلب مرتعاً من أعلا ارتفاع.

(٤) الربح: طائر يشبه الزاغ.

فـي الجبـال والأجـراف، ومـا كـان مـن الأرض سـابحاً ويأكـل اللحـم والجيـف ولا يفترس.

و. **الحيوان الأرضي الناري:** فهو كل حيوان ماشٍ يوجد لـه العدو والطفر والخفة على الأرض والافتراس والتهضم والغتم، وأكل الدم والروح، واللحم الحي وجميع ذلك بطبيعة النار، وهو قوي صلب شديد الحيل عاسي الجسم جاسيه شرس شكس متسلط الخلق ولا يتألف كل نوع منه مع أبناء نوعه لشرهه واستئثاره بفريسته ولا يتزوج ولا يربي الذكور أطفالها لقساوة قلوبها، وإن وجدت جراها أكلها والحار فيه يغلب البارد لأن الحرارة النارية ذاتية والبرد الأرضي غير ذاتي، وليس برد الأرض وإن كان أكثر لغلبة كمية جزء والأرض على جزء النار واليبس مع هذا الحيوان مفرط لأنه للأرض ذاتي ويبس النار مساعد غيرها غير معاند فلذلك هو اشد الحيوان وأجسره وأقدمه وهو السبع والنمر والفهد والدلدل، وما أشبه هذا والضبع وبنات آوى وذوات الأديار.

ز. **الحيوان الهوائي المائي:** فهو كل طائر في البخار ولا يعلو ويرعى سطح الماء سـابحاً عليـه طافيـاً ولا يرعـى غائـصاً فـي قعـره ولا بـين القعـر وسـطحه، ويرعـى شطوطه والماء القليل والطفوف وهو رطب شديد الرطوبة سهك اللحم لزجه ولكن ليس الغليظ الكيموس[١]؛ وذلك له لأن الماء والهواء رطبان، وهو حار حرارة قريبة من الاعتدال فله لذلك ذعر وفزع وسرعة حركة إن حرك إلى ذلك، وإن لم يتحرك كـان الركـود عليـه أغلـب، وهـو يـأوي الأجـام والـشطوط ويـستنقع // [١٣٥و] المياه ويفرخ في الأنداء وهو الحسار والشنق[٢] وما أشبه ذلك.

ح. **الحيوان المائي الهوائي:** الذي هو يطير في البحار ويفرخ في الأدغال والأجام ولا يرتعي على الشطوط والأرض البتة ويرعي ما في عمق الماء غائصاً ويطول

---

(١) الكيموس: وهو الغذاء الذي تم هضمه في المعدة.

(٢) الشنق: نوع من الطيور وفي حديث سليمان عليه السلام (حشروا الطيور إلا الشنقاء) وهي التي تزف فراخها. ينظر اللسان مادة شنق.

مكثه في الماء ما شاء وأحب من غير أن تلحقه أذية أو كلفة وهو طير كثير العدد يركب الماء منه ألف طائر كأن في العمق أضعاف علة وهو الفرو[١] ودجاج الماء وما أشبهها، وما هذا نعته وذكرت لك أنواعه ولم أذكره إلا إني على كل حال سأذكر ذلك من أنواعه ما أعرفه فإني رأيت منه ما هذه حاله فأقص عليه بما أنا أذكره، رطب شديد الرطوبة سهك[٢] إلا أن رطوبته ليست غليظة مزاجية رطبة لما فيه رطوبة الهواء والبرد أغلب على مزاجه وهي تبرد مزاج آكله تبريداً يسيراً وترطبه ترطيباً كثيراً، وهذا الحيوان إنما تم له ذلك المكث في الماء كما يتم له المكث في الهواء لأنه يستنشق غيره من الحيوان الذي سكن على وجه الأرض وإذا غاص في الماء.

أ. **والحيوان الهوائي الأرضي:** فهو كل ما طار في البخار إما في أعلاه، وإما في أسفله، وإما في وسطه وهو قاطع في أكثر حاله بين يدي الزمان متنقلاً وإذا طار نزل على الأرض وآوى حفر الثرى وأوكر على سطح الأرض[٣]، ولم يركب الأغصان ولا ينجحر في الأوكار ويؤثر سطح الأرض ووجهها كما يؤثر الحيوان الأرضي الهوائي أن يوكر في الهواء ومزاج جميعه حار بحسب زيادة كمية الهواء فيه على كمية الأرض، فأما رطوبته وإن كانت أكثر كمية فهي لذلك فيه أزيد، فهو أحر وأيبس من بدن الإنسان متى أضيف مزاجه إلى مزاج الإنسان، ومتى اغتذى الإنسان بلحمه أسخنه ويبسه وليس يوجد في هذا الحيوان لدونة ولا رطوبة وهو قحل لمزاجه المخصوص فيه // [١٣٥ط] ولأنه راكب الأرض ملازم لها فقد غلب عليه طبعها كغلبة الماء على الهواء، المائي؛ لملازمته الماء فإن هذا بعد المزاج

---

(١) من الطيور التي تعيش على أطراف الأنهار والأهوار وفي مشتبك أدغالها.

(٢) السهك: رائحة كريهة.

(٣) في ب وأوكر على سطحه.

الطبيعي، والتركيب من التركيبين ينبغي أن يأخذه أخذاً تاماً، كالعادة فإن الضفدع مع طبعها المخصوص بها في النهر إذا طفرت منه إليه[١].

والحيوان الأرضي الهوائي: هو كل ما أكل الكلأ والقصب وأغصان الشجر والبزور وكان خفيف الحركة متململاً شديد العدو كثير الطفر والقفز له في دبيبه حركة في الهواء ويسقط على[٢] الأرض ولا يصاكها بشيء غير قوائمه ولحمه فيه نشف ويبس وليس بالسوداوي لأنه ليس بأرضي خالص لممازجة حرارة الهواء وبرودة الأرض ورطوبته ويبسها إلا أن بردها غالب لحر الهواء بالكمية لأنها فيه أكثر فأما بالكيفية فلا لأن الحرارة للهواء ليست ذاتية ولا البرودة للأرض ذاتية وإذا امتزج ركنان وكان فيهما كيفيتان، ليسا فيهما في الغاية فليست لهما في الطبع وإذا كانتا كذلك فلن تغلب إحدى الكيفتين الأخرى إلا إذا كانت كمية الركن أكثر من كمية الآخر وكمية الأرض في هذا الحيوان أكثر من كمية الهواء، وأما علية يبس الأرض وهو ذاتي، رطوبة الهواء وهي ذاتية، فذاك أيضاً بطريق أن الأرض أكثر فيه من الهواء وهذا الحيوان كله يُغتذى بلحمه وهو طيب اللحم غير زفر ولا سهك ولا زهم وكما إنه لا يقبل الفساد ولا ينتن لحمه وهو أصبر على هذه الحالة من جميع اللحمان كذا كيموسه بعيد من الفساد والميل إلى الخلط الرديء وكما إن لحم جميعه يقبل النضج من النار بسهولة كذا يقبل الهضم في المعدة والكبد والعروق والأعضاء بسهولة، إلا أنه كله لغلبة البرد واليبس على مزاجه فكيموسه بذلك المقدار يميل إلى طبيعة الدم الذي أغلب أركانه السوداء إلا أن يميل بالصنعة ويسخن بالتوابل برده ويرطب بها وبالتدبير // [١٣٩و] نسبة، فيكون الحكم عليه غيره ولو شواه شاوٍ بالنار وأكله إذا أخذت أطفاله صغاراً[٣] وربيت جرت مجرى الحي المملوك ففي ذلك دليل على قرب مزاج هذا الجنس من طبيعة الحيوان الذي يأكل لحمه من الحيوان المملوك لأن فيه من القوة

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) في الأصل (منه إلى) وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل الكلمة مكررة (صغاراً صغاراً).

يدبره العقل وإذا ربيت أطفال هذا كله، فاجعلها طبيعة بين الضأن والمعز وأجرى الأمر في تدبير التغذي بلحمها مجرى ذلك في انتسابه وصنعة لحمه، واعلم أن جميع هذه رزق من الله عز وجل وزيادة في إحسانه إلينا لأنه مَلّكنا الحيوان المملوك الذي نعيله ويغتذيه، وملكنا تدبيره وتولى هو تدبير هذا تخفيفاً عنا وجعله هدية إلينا وزيادة في النعمى علينا فله الحمد رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين.

وأنواع هذا الحيوان هي الظباء والأراوي[١] واليحامير[٢] والبقر الوحشية وهي عدة أنواع الحمير الوحشية ولا تعمل[٣] بالحمار الوحشي إذا ربيناه فلم لا يحمل ويركب، فإن هذا خارج عن ضماني لأني إنما ضمنت أن أذكر وعلتها التمامية والعلة التمامية في الحمار الوحشي أن يؤكل لحمه ليس أن يحمل ألا ترى أن اليحمور ليس له بالطبع أن يحرث كما يحرث البقر، وإنه قد يأنس إذا ما أُنّس كما يأنس البقر الأهلية وأكثر إلا أنه ليس في طبعه أن يحرث، واعلم أن جميع هذا الجنس من الحيوان بينه وبين الطائر ممازجة ومناسبة ما وذلك أنه إذا أراد الغدر انتصب في وقفته وطلب مهب الريح ثم استنشقها كما يستنشقها الطائر قبل طيرانه ثم زج نفسه في الريح مستقبلاً لها ولربما أخافه مخيف وكانت الريح تجيء من مجيء المخيف فحمل نفسه على الجهة التي فيها المخيف له متى كانت الريح منها تهب لما لز[٤] في ذلك من سهولة العدو وسرعته وكثيراً ما يرى الظبي متى رأت عسكراً كثيراً عدده ففزعت منه وأرادت النجا وكانت الريح من الجهة التي تلي // [١٣٦ط] العسكر فجرت قاطعة للعسكر عرضاً أو متلفتة له أو مادة بين يديه أو تركته وراء ظهورها كل[٥] ذلك رغبة منها في تلقي الهواء وإن في هذا الأمر يجب أن نقر معه بوفور قسطها من

---

(١) جمع أروية، من جنس الضأن وتسمى الضأن الجبلي.

(٢) جمع يحمور اسمه العلمي Cervus Capreolus.

(٣) في الأصل يفل وما أثبتناه من ب.

(٤) لز: لزم.

(٥) في الأصل بحل وما أثبتناه من ب.

الهواء وأيضاً هي تؤثر أن تأوي الهواء صيفاً وشتاءً ولا يوكر ولا يستتر منه ميلاً إليه ومحبة له وسأقول في أنواعه فيما بعد إن شاء الله.

والحيوان المائي الأرضي: فهو كل حيوان يأوي الماء ويرتقي فيه ويستنشق الهواء كما يستنشق الماء ويحيى به وهو كالسرطانات والضفادع والسلاحف والرق وضروب كثيرة يوجد في البحار دون بعض، والذي يحض هذا الجنس أن لبثه في الماء أكثر من لبثه على الأرض وإيثاره الماء أكثر من إيثاره الأرض وجميع هذا أحر من السمك وأيبس من جميع ما يأوي الماء فإذا خرج منه فله الهواء وإذا أردت أن تعلم أن السرطان يستنشق ماء وهواء معاً فإذا خرج منه فله الهواء فخذ منه واحداً ودعه على الأرض ساعة وأكثر ثم ألقه في طست صفر ماء فإنه يرسب فيها وليكن الماء لا يعلوه كثيراً فإنك تراه يتنفس ويخرج عليه نفاخات، نقر منها بأنه قد خرج منه هواء ثم اتركه فيها ما أحببت فإنه يزلق ولا يمكنه الخروج منها ويبقى فيها حياً ولا ترى النفاخات بعد ذلك فيدلك هذا من أمره أنه لما خرج الهواء أخذ يستنشق الماء وبهذا السبب لم يجعل في السرطان قدرة على السباحة ولذلك تراه إذا أراد عبور نهر نزل من شاطئه إلى قعره ما شاء وعبر[1] إلى الجانب الآخر، فأما الرق فهو أقل صبراً منه على عدم الهواء ولذلك نراه كثيراً يتعلق على سطح الماء ويطلب النفس والسلاحف أقلها كلها صبراً على الهواء ولذلك هي أطولها مكثاً[2] على الأرض، وأما الضفادع فليس يؤثر البتة أن يستنشق ماءً إلا أنها إذا صرفت // [١٣٧و] إليه وحلّته وجراها على الهواء، وأنا أقول في طبع كل واحد من هذه إذا أخذت أتكلم في أنواعها كلاماً وافياً بحسب الوسع والطاقة.

والحيوان الأرضي المائي: هو كل حيوان يوكر الأرض ويولد عليها ويهرب إلى الماء ويعتصم به، ويمكنه أن يثبته في قعره ما شاء لنفسه ثم يخرج إلى الهواء ويعرف

---

(١) في الأصل وعنه وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل منكثاً وما أثبتناه من ب.

من أنواعه كلبة الماء والحر وهما من ذوي الأوبار كالسمور[١] والدلق[٢] ونحوه ولذلك يوجد للحر[٣] إليه ويوجد لكلب الماء سمنا ورطوبة وهما حاران في حرارة[٤] ذوات الأوبار لأن الحرارة لم تحبسه ويبلغ به مبلغ ذلك، وأما هذا الحيوان في طبعه فبارد قريب من الاعتدال في الرطوبة واليبس وله هذا الوبر الناعم وإنما خلق لهما هذا الماء كانا مما يركب الأرض ويسكن الهواء وطبعهما يتشوق إلى الماء لما في الجبلة، وأحررت حرارتها الغريزية عن مباشرة الماء للناس فصار لبط الماء وسمات، وللحر وبران، فقد وجدنا أجناس الحي الذي لا مالك ولا مملوك كم هي؟ وما هي؟ وعرفنا مزاج كل واحد منها والطريق إلى وجوده ووجود العلم بطبيعته أي نوع وجدناه من أنواع أي جنس منها مما لم يكن عارفين إما بأنه ليس بكثير الوجود ولا ظاهر عند الجمهور وإما لأنه في بلد دون بلد وإنما تقع معرفته لأهل البلد الذي هو فيه ولمن طرأ إليه منا أو لمن وصف له أمره كالحالة في المسك والغزال الذي يخرج ذلك في جسده وكالحال في الجندبيدستر[٥] وهو خصاء الحر، وكالحال في النعام فإنه حيوان يعرفه أهل البر الذي من مكة إلى الكوفة وبين بلد البحرين إلى دمشق، وإذا ذكر لك حيوان لم يعرفه أو رأيته بعد أن لم يكن رأيته فابحث عنه ويفقد عن الخواص اللازمة له والأعراض النابعة عن حال مسكنه ومرعاه ومطاره إن كان طائراً أو ومسعاه ومأواه إن كان ساعياً وبالجملة فانظر سائر ما ذكرنا // [١٣٧ط] في أمر جنس جنس فهناك انظر الأحوال التي انفصل منها من أنواع ذلك الجنس وصار بها غير كل واحد منها

---

(١) السمور: حيوان بري آكل اللحوم يضرب لونه إلى السمر اسمه العلمي Mustala Zibelina.

(٢) حيوان من فصيلة السراعيب أكبر من ابن عرس يقرب من السنور الأهلي في الحجم.

(٣) الحر: من حيوان الماء والأرض وهو من مزدوجات المعيشة.

(٤) ساقطة من متن الأصل وقد كتبت على حاشية الكتاب وهي ثابتة في متن ب.

(٥) وهو على هيأة الثعلب ولا توجد له يدان والكلمة فارسية تعني الخصية. ينظر: Person-English Dictionary, P٣٧٤.

وينظر مباهج الفكر ٣/٥١٧.

فإنه هو الشيء الذي هو بها ما هو وذلك علته التمامية والشيء الذي من أجله خلق وإن كان أكثر من واحد فإن الطحال وإن كان القصد في خلقه أنه يجمع من الكبد خلطاً مرياً بعده ليصبه إلى فم المعدة؛ ليكون ذلك أحد أسباب الجوع فإنه قد تبقى الفضلة السوداوية من الأخلاط كما يبقى الكلاء هذه الفضلة من الدم فإن قال إن الطحال لينقي الدم من الفضلة السوداوية فقد صدق فإن قال إنه سبب من أسباب الجوع بما يجتره إليه ويصبه إلى فم المعدة صدق وكذلك الحال في المرارة المضافة إلى الكبد التي تجتر من الأخلاط الفضلة الصفراوية وتعدها لتصبها إلى المعدة والأحشاء في طريقين منها الكسح الأفعال صدق وإن قال إنها تنقي الفضلة الصفراوية من الدم ثم صدق كذا وقال قائل إن النسر إنما خلق ليأكل الجيف ويوفيها من العالم لئلا يفسد الهواء بالطاعون فيستنشقه الحيوان فيكون ذلك سبب تلفه، كان قد قال حقاً، وإن قال إنه خلق لينتفع بريشه كان صادقاً وإن قال إن امتزاج النار والأرض وتزاوجهما بطريق الأقل والأكثر كما سنذكر ذلك أخرج كلما في المادة بقدرة الله عز وجل من القوة إلى الفعل كان صادقاً فليس ينبغي أن يظن أن الأجناس يمكن أن تكون أكثر من ستة عشر جنساً لأن الأركان أربعة، لها عليات بسائط في صنف واحد من أصناف التضاد وعليات في صنفي التضاد اثنى عشرة علية فذلك ستة عشر علية يحدث عن كل واحد منها جنس ثم إن كل علية تزيد وتنقص بطريق الأقل والأكثر ثم يظهر عن كل علة نوع؛ وبهذا السبب صارت الأجناس محصور مبلغها، والأنواع بحسب ما يمكن من تراكيبها في الأماكن والأزمان، ولما كانت الإحاطة بهذا متعذرة جداً لتعذر العلم بجميع ما في كل مسكن من الأنواع // [١٣٨و] حصرنا ذلك بقوانين أدركنا علم الأجناس بطريق القياس والنظر الطبيعي وشرحنا الحال فيما نعرفه من الأنواع، ويسهل وجوده ليفيد المعرفة به والعلم بطنه ولنجعل ذلك طريقاً على جهة المثال يدرك بها علم ما، لعلك ما تراه بعد أن لم نكن رأيناه أو يتضح عندنا وجوده

ونوعه[١] وخواصه ومنافعه، فيستخرج من القوانين التي ذكرناها في كل واحد من الأنواع علم حاله ويجعل الأنواع أمثلة عليه فنكون إذ ذاك قد أدركنا العلم بالحي الذي لا مالك ولا مملوك، وظفرنا بطبائعه على كثرة أصنافه، وبعد أوطانه، واختلاف منافعه ومساكنه إدراكاً ليس دون إدراكنا لهذه الأحوال من الحيوان المملوك الذي يحق والطبيعة مشتركون في وجوده، وما به وإذ قد ذكرت من أمر الأجناس ما وجب أن أذكره فأنا من الآن آخذني القول فيما أدركنا معرفته من أنواع كل واحد من هذه الأجناس ومما أدركنا معرفته فيما عظمت منفعته وشهرت معرفته والله سبحانه الموفق لذلك والمعين عليه إن شاء الله.

الباب الثاني

(في طبائع كل واحد من أنواع الجنس الناري من الحي الذي لا مالك ولا مملوك)

إني الآن متكلم في طبائع كل واحد من أنواع الجنس الناري من الحي الذي لا مالك ولا مملوك كما ضمنت آنفاً أن أتكلم في كل نوع من أنواع هذه الأجناس الستة عشر جنساً فما وقع إلى علمي وفحصت أنا بالتجربة عنه وشاهدت الحال فيه وما كان علمي له بالخبر والتحري[٢] لأن من يريد العلم بطبيعته قادران يستخرج ذلك من الطرق الكلية التي قدمتها، إذا[٣] صح عنده وجوده ووقف على أحواله وليس هذا متعذر على من وفقه الله، وشرح بالعلم صدره إدراك ذلك وقد قلت إن هذا المزاج يخص جوارح الطير فقط دون كلابها وجوارحها ما يفترس // [١٣٨ط] ويقتل

---

(١) في الأصل نعويه وما أثبتناه من ب.

(٢) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل إذ وما أثبتناه من ب.

ويأكل الدم والروح واللحم الحار، وكذلك الحال في سباع ذوات الأربع من الماشي وهذا ينبغي أن يسمي سباع الطير وأما كلاب الطير وكلاب ذوات الأربع فهي ما أكل الجيف ولا يكاد أن يقتل بالقصد وجوارح الطير تنقسم ثلاثة أقسام فمنها ما يقتل ذا الريش، ومنها ما يقتل ذا الوبر ومنها ما يقتل ذا الوبر والريش وكل واحد منها يطلب ما ناسبه كما إن النعجة تطلب الحشيش والماعزة تطلب الحشيش وأطراف الشجر والضبع يطلب الجيف والسبع يأكل الحي ولذلك يطلب السبع ما يحرك بين يديه شره منه إلى تناول الحي وسنذكر الحال في كل واحد منهما، وأما كيف صار هذا الجنس أنواعاً كثيرة بالعدد؛ فهو لتغاير أمزجة النفوس من الأركان(١) التي هي مبادئ العالم وقواعده والصور التي لكل نفس منها والخلق التابع لذلك المزاج اللازم له وهيأه الجسم الذي هو آلة لتلك النفس يتم لها به أفعالها وآلات ذلك الجسم فإنه بهذا الطريق صارت أنواع هذا الجنس وكل جنس لعدة كبيرة بالعدد، وتذكر ما قلته في المقالة الأولى من أمر السبب الذي من أجله صارا في أجناساً كثيرة منه الطائر والماشي والسابح فإن القول في الأنواع متصل بذلك القول في الأجناس ويكون تالياً له، واجعل هذا أصلاً لما يرد من القول في جميع أنواع الأجناس إن شاء الله.

أ. **(العقاب)**: أشد الجوارح كلها حرارة مزاج وأقواها حركة إلى الغضب وأسرعها إقداماً(٢) وأيبسها مزاجاً؛ ولذلك هي أحقدها ولشدة يبس مزاجها يعرض لها عند التحسر أن يتفرع بدنها وعنقها ورأسها، والعصب في جميع الجوارح أكثر من اللحم أو مساوياً له واستدل على ذلك من الكركي والعقاب أكثرها عصباً ولحم جميع الجوارح لحم عصبي عديم اللدونة يغلب عليه الحر واليبس ولذلك يسهل عليه الصعود ولحم العقاب أكثر من ذلك والنفس الحيوانية // [١٣٩و] من جميع السباع طائرة وماشية أقوى وأشد من حيل أبدانها وقواها ولذلك تورد نفوسها

---

(١) الأركان: جمع ركن وهو جسم بسيط، هو جزء ذاتي للعالم مثل الأفلاك والعناصر. ينظر الحدود الفلسفية ص٢٤٦.

(٢) في الأصل إقدامها وما أثبتناه من ب.

أبدانها موارد الهلكة وتجنح بها، ولأن هذه النفس قاهرة لما سواها كل واحد منها إذا ظفر بصاحبه قتله وليس يألف بعضه بعضاً، والعقاب يقتل جميع الجوارح ولذلك يروم العلو أبد ليكون ذلك سبباً إلى تمكنها من جميع ما طار دونها وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران لأن جناحها مدور الرأس وأطول القوادم منها الثامنة والتاسعة تنقص عنها والعاشرة تنقص عن التاسعة، إلا أنها من الطائر الثقيل، وينبغي أن نبين ما معنى طائر ثقيل وطائر خفيف، وقال قوم الطائر الخفيف هو الذي آلات طيرانه أكثر مما يستحقها جسمه فهو لزيادة آلاته سريع الحركة مقتدراً والطائر الثقيل هو الذي آلة طيرانه دون ما يقتضيه حالة جسمه فهو لذلك بطيء الحركة وليس الأمر عندي كذلك، الطائر الثقيل هو الذي يتعذر عليه أن يحمله الهواء الذي لم يبعد عن وجه الأرض حتى يكون هواءً كبيراً غزيراً فيقال لما هذه حاله من الطير طائر ثقيل ولذلك يرى العقاب إذا سقط سقط على شامخ وإذا طار زج نفسه هاوياً إلى السفل ثم يدخل في الهواء فيعلو بعد ذلك، وقد عرف القانصون به منه هذه الحال فهم يرومون أن يطلقوه من المواضع العالية والعقاب يؤثر صيد ما يؤثر على الريش[١].

ب. **(الزمج البري)**[٢]: الزمج من جنس البازي وهو كأنه بازي على عادي الحلق عظمة وهو من خفاف الطير وسراعها[٣] وهو أذكى من العقاب وأشد إقداماً وهو أحر مزاجاً وأيبس، وذلك معروف في عينيه وفي سرعة حركته وشدة وثبته وإنه يلتقف طائراً كما يلتقف البازي ويصيد على وجه الأرض كما يصيد العقاب ويمسك جميع ما افترسه ولا يضره // [١٣٩ط] ويبعد عنه كما يفعل الصقر والشاهين حذراً منهما بل حين يمسك فريسته يقتلها لوقته وهو يمسك إمساك البازي وهو أنه كلما اضطربت فريسته في يديه غمز بقبضته عليها حتى إذا

---

(١) تنظر أنواعه وكيفية الصيد به مباهج الفكر ٣/٣٦٦.

(٢) اسمه العلمي Accipefer Gentilis.

(٣) تنظر البيزرة ص١١٣.

ذبحت فريسته في كفه خلصت بكد من كفه ولقد خبرني بعض أهل أسوان من الجند أنهم رسلوا زمجاً على أوز وكراكي فمرت طائرة حتى بلغت إلى غلام يقطع شوكاً فيها وبين ما أرسلت عليه فقبضت على خاصرته وبادروه ليخلصوه فوجدها قد قضت عليه، وهي تصيد الكراكي والحبرج[1]والأوز والأرنب ويقوتها النتاج والقبج وحلقة رأسها وجحر جناحها وذنبها ونهارها[2] كله تسفد للبازي، وهي أذكى منه نظراً، وهي مسدودة الجناح يزيد من قوادمها[3] الثامنة.

جـ **(البازي):** أرطبها وذلك لشربه الماء كثيراً بالإضافة، وهو قليل الصبر على العطش ومأواه ومسلطه الشجر العادية الملتفة والظل الظليل ومطر المياه، وهو أوسع الجوارح رتعاً[4] وأكثرها صيداً، ولذلك كلها تطفل عليه فمنها ما يأكل فضلته ومنها ما يقهره على ما في يديه وهو خفيف الجناح سريع الطيران يلتف في طيرانه كالتفاف الفاختة ويسهل عليه أن يزج نفسه صاعداً وهابطاً وينقلب على ظهره حين يلتقف فريسته وهو قوي الجنان ولحمه من دون لحمها[5] فيه لدونة ويركب جسم الشحم وقانصته حتى يؤذيه ذلك وينبغي ألا يغدى إلا بلحم الحمام المشتد ويتجنب له الفرخ، ويأكلها وهي حارة فإن بردت أطعمه طائراً أحر منه وينبغي أن يفرش بيته في الصيف بالخلات وأحاجن الماء البارد ليغتسل منها ويشرب فإنه يلهث كما تلهث الكلاب وينهج كما ينهج الحيوان الخصب البدن، وينبغي أن يخرج للرياح الأربع بينه وبينها من كوى وبادهجات، وليس ينبغي أن يربط كما يربط العقاب والزمج بل ينبغي أن ترسل ساقاه[6] في بيت فيه هواء، ذي

---

(١) وهو الحباري، وقال الوطواط: إن تسميته بالحبرج مصرية. ينظر مباهج الفكر ٤٤١/٣.

(٢) النهار الذكر وهو أكثر ما يستعمل لذكر البوم.

(٣) في الأصل قوائمها وما أثبتناه من ب ويقصد به الريشة الثامنة الكبيرة في جناحه.

(٤) الرتع الأكل والشرب.

(٥) الضمير يعود إلى الجوارح.

(٦) في الأصل ساقيه وما أثبتناه من ب.

قصب مرع ودق دقاً ليتناهض عليها فإنه يستمرئ بذلك طعمه وتحف // [١٤٠و] جناحه، وهو من الجوارح ملك فإذا شد ضاق صدره واضطرب، فإذا اضطرب علاه النهج فإذا كثر النهج حدث به لا محالة المرض المعروف بالنفس، وينبغي أن يكون بيته كثير الضوء لئلا يعرض لعينيه العشاء، وأما في القرنصة فيجب أن تكون هذه حاله في التحكية من الوقت الذي يلقي فيه أول ريشة إلى أن يلقي عاشره وكلما طال من منسره إلى طرف ذنبه كان أسرع بطيرانه وسبيل مثله أن يضرى على الدراج والقبج وهذا آخر صيد البازي، وما كان منها قصيراً غليظاً فسبيله أن يضرى على طير الماء والحبرج، والفاخر الفاضل منها أن يكون مسفاً قليل الريش حسنه أحمر العين حادهما وأن يكون مقبلتين على منسره، وحجاحي[1] عينيه مطلان عليهما ولا يكون وضعهما في[2] جنبي رأسه كوضع أعين الحمام فإن إقبال العينين على الأنف وحدتهما من خلق السبع والأفعى، والأزرق في المرتبة دون الأحمر العين إلا أنه فاضل أيضاً، والأصفر العينين أدونهما، وأن يكون طويل الرأس واسع الأشداق وأن سعة شدقه دليل على الافتراس[3] فيه وينبغي أن يكون شبيهاً برأس الزمج، وأن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين النكبين شديد الانخراط إلى ذنبه وتكون عنقه بادية ولا يكون رأسه بين كتفيه كالصقر، وأن يكون فخذاه طويلتين مسرولتين بريش وذراعاه قصيرتين غليظتين وتكون أشاجع كفه عارية وأصابعه متفرقة وبعد ما بينهما على نسبة ولا مجتمع مقبلة ككف الغراب وأن تكون مخالبه سوداء حالكة عقفاء ولا تكون بسيطة ممتدة وأن تكون مفاصل أصابعه وعقدها وجملة الكف سبسبية[4] ليست بالسبطة، وأن يكون غليظاً قصيراً وإذا كان المنسر لشرف طوله

---

(١) الحجاح: العظم الذي حول العين.

(٢) في الأصل عن وما أثبتناه من ب وكذا نقله الوطواط في مباهج الفكر ٣/٣٧٦.

(٣) في الأصل الأفراس وما أثبتناه من ب.

(٤) السبسب: المنبسط.

حتى ترجع عقفاء فذلك دليل على رخاوته // [١٤٠ط] وفساد جوهره فإذا كان الأعلى وقفاً على الأسفل يريد في مقدمه زيادة بقدر منفعته فهو فاضل وانتفاعه بقدر ذلك وهو أن يكون إذا أمسك اللحم بكفه شب شبث[١] منسره فيه وقطعه قطعاً يسهل عليه بلعها وينفي أن لا يمكن من شبعه لئلا يشحم لأن دوسه يهلكها الشحم ويطعم بمقدار قصد وأفخر ألوانها البيض ثم الشُهب، وهما لونان يدلان على الفراهة في الصيد وكرم البازي، وأما الأسود الظهر المنقش الصدر بالبياض والسواد فهو يدل على الشدة والصلابة والوثاقة وصيد كبار الطير كالكراكي ونحوها فإن اتفق هذا أن يكون أحمر العين وكثيراً ما يكون كذلك كان نهاية، وهذا اللون في البزاة كالكميت في الخيل ولون[٢] يدل على الشدة والأحمر من البزاة أخسها لأنه فيها كالسوسي في الخيل بعيد من الفلاح.

د. **(الزرق)**: وهو بازي لطيف وجميع ما ذكرته في البازي فافهم مثله في الزرق كل ما عظم كان أعظم له، والزرق كل ما لطف كان أفخر له والزرق أحر من البازي وأيبس؛ ولذلك هو أخف منها جناحاً وأسرع طيراناً وأشد إقداماً وفيه ختل وخبث لما افترسه، وذلك أنه إذا أرسل على الطائر طارني غير مطارة ثم عطف عليه وأظهر الشدة بعد الأيبه[٣]، ونسبة الزرق إلى البازي كنسبة العفصي إلى الباشق، وليس في ألوانه الأبيض وغير ألوانه أن يكون أسود الظهر أبيض الصدر منقشه[٤]، وأن تكون عيناه حمراوان، تكون جملة خلقه قصير في خلقة الحمام المراعبي[٥]، السريع منه الذي يضرى، والبازي كالسبع فيه مع انتباه والزرق

---

(١) الشبث: التعلق بالشيء وأخذه.

(٢) في مباهج الفكر لأنه يدل ٣/٣٧٧.

(٣) في مباهج الفكر بعد اللين ٣/٣٨١.

(٤) في الأصل نفشه وما أثبتناه من ب.

(٥) في الأصل المرايي وما أثبتناه من ب.

كالذئب سبع يدرك بحيله أكثر مما يدركه نيابة، وينبغي أن يضرى على[1] الحمام والورشان والشفنين والفاختة، وعلى الغراب والزاغ وكل طائر خفيف الجناح والدراج والقبج القريب المتناول // [١٤١و] عليه وأما جميع طير الماء فيسهل عليه أخذها ولا أحب أن يشبع شيء منها وأن لا يكون طعمه وطعم البازي إلا الحمام وما للحمه شدة وفيه قلة للقبول للنضج من النار فإنه يصلب بدنه ويشده ويجعل لحمه كالعقب ولا يرده بالبازي والزرق فإن السبب في رد طعمه هو أن الجواح تبلغ طعمها بلعاً فيلبث في مرئه لأن مرئه واسع وليس له حوصلة؛ ليسخن هناك ويختلط بريقه الذي يبلعه بعد الأكل فينهضم بعض الهضم ويقوم ذلك كله مقام المضغ ثم ينفذ إلى قانصته وقد قبل هضماً ما ونفوذه أولاً فإن كان لحماً رخصاً وقبل الهضم كله في بعض جوهره قذفه البازي أو الزرق[2]، والباشق والعفصي وأن أكله بارداً حدث به شبيه بالغس فقذفه فإن لم يقذفه وتغذ إلى جوفه وهو بارد تولد فيه الجص: وهو داء قاتل ومسقم، وإنما يتولد الجص فيها لشدة حرارة أجوافها والتهابها، وامتناع المادة التي أكلها من قبول النضج فأما النهج الذي يعرض عند تولد الجص فهو إلى معيه تمكن منه؛ فيعظم حجمها فتزحم حجابه فيضيق نفسه؛ فيعرض له النهج وإن ما في المعي منه يحمي بالحرارة الغريبة المتولدة حتى يحجز فتحمي لذلك قلبه وقانصته فهذا ما نقوله في البازي والزرق.

القول في الباشق:-

إن الباشق وإن كان من جنس البازي والزرق[3] وهو أشبه بها منه بغيرها فإنه يباينهما في أحوال سنذكرها وهو أحر منها وأيبس، ولغلبة هذا المزاج عليه هو هلع قلق ذعر يابس وقتاً ويذعر ويستوحش آخر، والدليل على ذلك أنه يمتنع إذا صِيدَ

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) راجع صفاته والصيد به في المصايد والمطارد ص٥٦.

(٣) ساقطة من الأصل وكذا وردت العبارة في مباهج الفكر ٣/٣٨٣.

وحِيظَ من الأكل حتى يلقم كرهاً، وأكثر قتله لنفسه بوترية مرده[1] سائسه، وهو طويل الساقين قصير الفخذين فهو يتعذر عليه العود إلى الدستبان[2] ولذلك لا يسند على الكبادر ويشد على الفرادي ويطول بيكاد بيده ليرجع هو // [١٤١ط] إلى الهودي وكثيراً ما يبقى متعلقاً حتى يقتل نفسه، وكل الجوارح تفلح منها كذي الختل غيره لتعذر يابسه، وفيه ذعر يبعد معه عن الشدة؛ فتتعذر إجابته، ونفسه فروقة خائفة وهو في الجوارح كالدراج في الطير بعيد التأنيس فإن أُنّس منه الصغير بلغ منه كل المراد فخير الباشق ما أخذ فرخاً لم يلقِ من قوادم ريشه البتة، واشتغل بتأنيسه وحرص على نجابته وتضريته، فإنه إن تم تأنيسه ثم فعله ووجد منه نارياً خفيف المحمل ظريف الشمائل يليق بالملك أن يخدمه وأن يستخدمه لخفة محمله وحسن خلقته وأنه يصيد نحو ما يصيده البازي، وهو الدراج ويصيد الحمام والورشان والشفنين ويدركها بسهولة، فأما الدحلج والكوسوع والطيطوى والحساني، فسلهة عليه وخير الباشق ما صغر في المنظر وثقل في الميزان وهو طويل الساقين وسلاحه عظيم بالإضافة إلى جسمه، وهو فحل وإذا علق بما هو أشد منه واضطراب في يديه لم يسهل عليه نقل كفه من موضع إلى آخر فانفسح، وإن قويت على قتله لم يفارقها أو يتلف أحدهما فسبيله ألا يرسل على كل ما طلب ولا متى خلي لئلا يفترس ما لا يطيق، وكذا أيضاً فيه شره فينبغي أن يكون لطعمه عند صاحبه مقدار ألا يتجاوز به، وأما تدبيره في مسكنه فمثل تدبير مسكن البازي وأحدق من رأيت بتدبيرها أهل إسكاف وبني الحسد وهم قوم سراة في نفوسهم ظراف في مروءاتهم أكابر غير أصاغر ومنهم استفدت تدبيرها وأكثر ما يحفظ عني أنه لو أمكنك أن تأخذه قبل أن ينهض لا تأخذه ناهضاً، فإذا تقرنص فاستوص به خيراً والقول في أعينها وبيان أوصافها كالقول في البازي.

---

(١) في الأصل مرد سائسه.

(٢) الدستبان: كلمة فارسية تعني الرباط من الجلد يوضع على اليد ويمسك به الجارح.

القول في العفصي:-

العفصي نسبة الباشق كما نسبة الزرق إلى[1] البازي إلا أنه أصفر الجوارح نفساً وأضعفها // [١٤٢و] حيلاً وهو أشد ذعراً من الباشق، وهو أيبس مزاجاً منه وليس بأحر، وهو يصيد ما ضعف من العصافير والطريق إلى بقائه في أيدي القانص به تأنسه، فإنه إذا أفرغ روعه يبقى وصيدته والصيد به على أكثر الأمر، لأنه لقصور نفسه وضعف نحيزته[2] يؤثر أن يذع العصفور وأن يهرب، وكل حيوان كانت حركة نفسه الحيوانية مضطربة كان خائفاً حذراً وما زاد خوفه وحذره مات فرقاً وصاد فرقاً، وأجعل لك مثالين من الدراج والقبج فالقبج يؤخذ وقد فرخ في الصحراء، فيمسك في اليوم فيأنس به، والدراج يخاف أبداً ويموت ويتحرك الخوف فيه حتى لا يحس بجوع ولا يعطش حتى يموت، ويذكر الانيس الحوري وهو طائر يصاد بإسكاف بني الحسد فحين يحتمل ما في يد صائده فيتودد إليه، ويأكل ويشرب، ويألف أهله حتى يأوي بحيث يأوون وسائر ما ذكرته من التدبير في البازي فافهمه في العفصي إن شاء الله.

القول في الصقر:-

الصقر أبرد من سائر ما تقدم القول فيه وأرطب وذلك معروف فيه من ركوده وثقل حركته وبطؤ طيرانه وقلة التفاف ريشه وبهذه الأسباب أيضرى[3] على الغزال والأرنب ولا يضرى على الطير لأنها بقوته وفعله في صيده بالانقضاض وصدام فريسته أقوى من فعله بالطيران، والسرعة ولذلك جناحه غير مدور وأطول قوادمه عسارية، وسائر ريش جناحه يتفاضل على نسبة، لأن هذه الهيئة تتبع عظم جناحه بكون انقضاضها حاداً شديداً كما ترى ذلك في الخطاف وهيئة جناحه فإنه كذا شكل جناحه عظيم بالإضافة // [١٤٢ط] إلى خلقه يتفاضل على نسبة حتى يزيد

---

(١) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٢) أي ضعفه في ضربه لفريسته.

(٣) في الأصل ما يضرى وما أثبتناه من ب ومباهج الفكر ٣٨٩/٣.

عاسرية[١] على جميعه ولهذا الشكل قدر مع الانقضاض السريع أن يعلو سريعاً وهو صاف بجناحه وغير خافق به، والصفر إذا خفق بجناحه كانت حركته بطيئة، والبازي وأشباهه إذا خفقت طارت بسرعة إلا أن الصقر وإن كان هذا مزاجه فهو له بالإضافة إلى ما تقدم من الجارح هو أهدى نفساً[٢] وأسرع أنساً[٣] بالناس وأكثرها رضاً وقناعة، وهو يصبر على أن يغذى باللحم البارد ولحم ذوات الأربع، ولبرد مزاجه ورطوبته لا يريد الماء إلا في كل أيام كثيرة، وهو أبخر منتن الفم للرطوبة والبرد الغالبتين على مزاجه؛ ولأن في مرئه وقانصته رطوبة وما تقدم وضعه من الجوارح؛ فلقوة الحرارة واليبس فيه ما لا يجتمع في أجوافها رطوبة تنتن وهي كثرة الشرب للماء لحر أجوافها، فأما الصقر فإنه يجتري بهذه الرطوبة التي في جوفه عن الماء ولو لم يجده الدهر كله، وكل ذلك ينقر بالماء ويغتسل فيه، والصقر ينقر بالتمعك في الرمل والتراب وبخاصة إن كان حاراً وتعرض له من الماء القشعريرة، ولذلك نجده متى مطر أوهب عليه الهواء أدخل رأسه بين منكبيه، وريشه فتتصب وهو منقبض يجتمع ويحب إن شد على الكناد والطين ويرش تحته الرمل والتراب والحر الذي ليس فيه سبخ ولا عفن ولا يدنى منه الماء والتدجير[٤] له من أن يرسل كالبازي لأنه إنما يراد به انقضاضه فالشد يقوي هذا المعنى منه وليس يراد منه سرعة الطيران لأن ذا الجناح لو ثقل حتى لا غاية يسبق الساعي إليها ولا خير في الكدر منه –ولا كدر النبت ولا كدر الخيل– لثقل جناحه وبطؤ // [١٤٣و] طيرانه وتساقطه شوامخ الجبال وليس يركب الشجر وإنما يأوي المقابر والكهف ويفرخ في هذه المواضع وفي صدوع الجبال وليس بقرب من المياه ولذلك اخترنا مرابطه عندنا مناسبة لمساكنه قبل أن تملكه وفيه جبن ونفسه

---

(١) العاسرية: رفع الجناح والذنب ومنها ناقة عوسرانية إذا كان من دأبها تكسير ذنبها ورفعه إذا غذت.

(٢) في الأصل نفس وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل أنسام وما أثبتناه من ب ومباهج الفكر ٣٨٩/٣.

(٤) الدجر: الخشب الذي ينصب للصقر لكي ينطلق منه والدِجران الخشب المنصوب للتعريش.

دون سرته، ولذلك يضرب الغزال والأرنب ويهرب منه ولا يكاد يعلق بفريسته، فإذا فارقها عاد إليها منقضاً فضرب ورقى هاوياً، وإذا بطح الكلب فريسته وقع بالبعد حتى إذا ذبحها صاحبه ودعاه جاءه كأنه قد أذنب ذنباً، والعقاب يهم من شدة غضبه أن يفترس القانص به، فأما الزمج قد أتم بأخذ وجه من يخلص من يده البازي فيكد ما يخلص فريسته ودائماً يقتلها ويأكل منها قبل التذكية.

القول في الكَوْنَج:-

الكونج صقر صغير ونسبته إلى الصقر الحر أو الزرق كنسبة الزرق إلى البازي، وإلا فهو صقر في جميع أحواله، وكما إن الزرق أحر من البازي وأيبس كذا الكونج أحر من الصقر وأيبس، ولذلك هو أخف منه جناحاً وأقل تجر فم منه وقد يصيد الأرنب ويعجز عن الغزال لصغر جسمه ويصيد أشياء من طير الماء ويدركها وهو أقل قوة من الصقر، ويصبر على أكل اللحم البارد ونفسه أقل من شدة بدنه فهو لذلك أطول في البيوت مكثاً، وأصبر على مقاساة الشقاء من الصقر، وإذا رأيتني أقول نفساً أكبر من جسم قوة أو عكس ذلك فتذكر الثور والفرس، فإن الثور جسمه أقوى من نفسه، ولذلك ما رؤي ثور أجهد نفسه في العمل حتى مات لأن حركة بدنه أشد من حركة نفسه، والفرس؛ فلأن نفسه أقوى من جسمه وأشد حركة عند الغضب، ذعراً إذا حرك غضبه بعداوة حتى يموت ونفسه متحركة غير ساكنة، فكذا فافهم الحال في البازي والصقر والزرق والكونج والباشق واليؤيؤ أن النفس في البازي وجنسه أزيد منها في الصقر وجنسه، أزيد منها في البازي وجنسه.

القول في الشاهين:-

من جنس الصقر إلا أنه // [١٤٣ط] أبرد منه وأيبس، والدليل على ذلك أنه لبرده إنما شدة حركته من العلو إلى السفل شديده، والدليل على يبسه أنه إما أن لا يكون أبخر وإما ألا يكون قليل البخر، وليس يلحق الصيد طائراً على خط مستقيم لثقل

جناحه فهو يحوم غالباً حتى إذا سامت فريسته انقض عليها هاوياً[١] من علو فضربها وفارقها يروم الصعود، فإن سقطت على الأرض انقض عليها وأخذها وإن لم تسقط أعاد ضربها لتسقط فيدل من ضربه ومفارقته على جبن فيه وفتور في نفسه وبرد في مزاج قلبه، ولقد شاهدته وقد ضرب بعضه بط الماء وقد أحسها حسيساً فهتك زمكانها[٢] وجرّ بدابرته مصرانها كالحبل ثم فارقها ورام أن يعلو عليها، وفي هذا دليل على شدة جسمه وضعف نفسه ولذلك يروم أن يعلو هارباً ليتمكن من العودة، ولو كان شجاعاً لعلق بها، فافهم هذا أصلاً لك وجميع أحوال الصقر هما فيه[٣] سواء، ما ذكرته فافهم في الشاهين مثله وكذا جميع تدابيره، وقد يوصف الشاهين بالغدر وليس ذلك منه بالقصد وإنما هو إذا حوّمه صاحبه وسار مساساً له وتعذر على صاحبه أن يبين له صيداً ثم لمح على بعد سبباً انقض عليه، فنسب ذلك منه إلى الغدر ولبرد مزاج الشاهين وثقل جناحه، ولهذه الحال يضطر القانص به أن يرسله كما يخرج من باب المدينة وليس هناك صيد ويبتدئ هو يحوم ويصعد على نفسه بالتعريج ويرمي إليه في تحويمه القانص به حتى يتبعه في مسيره فيتبعه بأن يحوم في دوائر مساعدة المراكز فيكون بعد مراكز الدوائر مسافته، ولا يتبع صاحبه طائراً على خط مستقيم على ذلك من فعله يروم أن يجعل له العلو لينقض على فريسته، وهذا دليل على برد مزاجه، والأمر في البازي بصد ذلك وذلك أنه إذا طار طائر من بين يديه وطار خلفه ولم يرم إليه أن يطير عالياً عليه ولا معه في سطح واحد وطار // [١٤٤و] أسفل منه كثيراً أو أسف في طيرانه حتى تكون[٤] بطنه نحو السماء وظهره نحو الأرض ثم يقبض عليه قبضةً لا يفارقه ولو تلفت نفسه، قيل إن سرعة حركته نحو العلو على

---

(١) في الأصل هارباً وما أثبتناه من ب ومباهج الفكر ٣٩٦/٣.

(٢) الزمك: أصل ذنب الطائر، ويريد بها الجزء الرخو من مؤخرة الطائر الذي تكون في الأمعاء.

(٣) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٤) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

حرارة مزاجه وحرارة جسمه، وإنه ناري الطبع ويدل بمسكه لصيده على سرعته[1] وحرارة مزاجه، ويدل صبره على تلف نفسه أقوى من جسمه، وإذا فهمت هذا فالأمر في الشاهين بعكسه فتبنوا لأنه يعز عليه الصعود ويسهل عليه الحدور، ويدل هذا على برد مزاجه كما دل سهولة الصعود في البازي على حرارة مزاجه وبرده فهو فَرُوق يضرب الفريسة ويهرب عنها قتلها أو لم يقتلها والأمر في البازي بعكسه؛ لأنه إذا تعلق بها فلا يفارقها قتلها أو قتلته وفي ذلك دليل على إن حركة نفسه أقوى من جسمه، والشاهين لأنه يهرب منها وإن قتلها دليل على أن جسمه أقوى من نفسه.

القول في الكرك[2]:-

نسبة الكرك من الشاهين كنسبة الزرق إلى البازي، والكونج إلى الصقر، وهو شاهين صغير، وجميع ما ذكرت في الشاهين فافهمه في الكرك مثله، إلا أنه أبرد وأيبس من الشاهين إلا أن جميع ما يفترس ويقتل أحر مزاجاً من جميع الطير، وكذا الحكم في ذوات الأربع.

القول في اليؤيؤ[3]:-

اليؤيؤ من جنس الصقر والشاهين فما كان منها حمراء ألحقت بالحر، وما كان منها سوداء ألحقت بالشاهين، السواد النازل من عينها إلى خدها مثل ما للشاهين، وإن شئت أن تلحق السود بالسود من الصقور واليؤيؤ بالإضافة إلى الباشق بارد رطب لأنه أفتر منه نفساً، وأثقل حركة وأشد إحساساً بالبرد والبلل لأنه لا يشرب الماء شر ضرورة، كما يشربه الباشق وإنه أبخر، والباشق ليس كذلك واليؤيؤ بالإضافة إلى الصقر والشاهين حار // [١٤٤ط] ويابس ولذلك هو أشجع منها والدليل على ذلك أنه يعلق بما يفترسه ويصيد مما هو أجل منه مثل الدراج والطيطوى والركال والكروسع

---

(١) ساقطة من متن الأصل.

(٢) ذكرته كتب الحيوان باسم الأنيفي. ينظر مباهج الفكر ٤٠٠/٣ وذكر إن نسبته الكرك تسمية عراقية. وينظر أيضاً المصايد والمطارد ص٨٢ ونهاية الإرب ٢٠٣/١٠.

(٣) ويسمى في مصر والشام (الجلم). ينظر مباهج الفكر ٣٩٤/٣.

والنعراني ونحو هذه ولو أدرك الحمام والفاختة صادها ولزيادة يبسه على الصقر والشاهين إذا قرنصت[1] تجذمت فأكلت كفها وأسقطت أصابعها وتدبيرها فينبغي أن يكون كتدبير الصقور في الشد على الكنادر إلى غير ذلك من فرش الرمل والطين والشد، وسائر ذلك مما ذكرنا فافهم إن شاء الله.

اليؤيؤ العفصي[2]، نسبة اليؤيؤ العفصي كنسبة العفصي إلى الباشق وهو أحر من اليؤيؤ وأيبس، وتصاد به العصافير والقنابر، ونحوها ولا يصاد بها زرقاً لثقل جناحها على الجو والعصافير، ويرقى[3] بها القنابر والعفصي من النواي أشجع من اليؤيؤ.

القول في السنك:-

والسنك نوعان فمنه الأهوازي الأزرق وهو يفعل مثل فعل الباشق إلا أنه ظريف الراح من بين الجوارح وذلك أن قوة نفسه كافية لشدة بدنه، واشتق له هذا الاسم وهو بالفارسية حجر، وهو يصيد الدراج والقبج وجميع طير الماء والحمام والفواخت وهو سريع الجناح صفيق الوجه جريء الخنان شديد الإقدام وكانت تجلب إلى العراق فراخاً لم تنهض فيربيها ويخرج فرهاً وهو أشد من الباشق حراً ويبساً، والنوع الآخر السنك الأكحل وليس في الفاخر وهو كثير في الجبال الباردة والأول يأوي الجبال.

القول في الخسيس من الجوارح

كالحدأة المجردة أو البادكار[4] وضروب كثيرة ليس منهن ولا يتصيد بها ونسبة جميعها إلى ما تقدم ذكره من كرام الجوارح كنسبة الذئاب والدلادل[5] ونحوها إلى

---

(١) قرنص البازي إذا سقط ريشها.

(٢) جعله صاحب مباهج الفكر الصنف الرابع من البازي. ينظر ٣٨٧/٣.

(٣) في الأصل ويرقا بها وما أثبتناه من ب.

(٤) وهو من أنواع كلاب الطير وليس من كرام الطير.

(٥) جمع دلدل وهو حيوان من فصيلة النيص من رتبة القواضم اسمه العلمي Hystrix، ويصل بعضه إلى حجم الكلب.

السبع والفهد والنمر ولطباع جميع هذه كأنها مركبة // [١٤٥و] من جميع الجوارح ومن الحيوان الناري الأرضي وهو النسر والرخم وسائر أتباعها ولذلك لا يصاد بها ولا تتخذ لأنها ممتزجة من الكلاب والسباع فكل هذه أقل من جميع الجارح حرارة ولامتزاج حر النار ببرد الأرض، وهي وخيمة ثقيلة بسبب طبيعة الأرض، وهي شديدة اليبس لأنها تتضاف إلى يبس النار يبس الأرض، فطبائع هذه كلها السوداء المتولدة من احتراق المرة الصفراء وبسبب هذا المزاج يصيد ويفترس ويأكل الجيف وحركات النفوس منها فاترة وهي خائفة وجلة وحسها شديد، قوية إن يدمن حركات نفوسها ثم القول في خشاش الجوارح وأنا راجع إلى وصل القول من حيث قطعت وأخذت أتكلم في العقاب.

هذا القول في الجوارح التي جرت عادة أهل مدننا باتخاذها والصيد لها فإن وجدت سبباً آخر كما ذكرت بلغنا فليس يتعذر عليك الوقوف على طبيعته إذا أحطت بخواصه علماً، وسلكت في ذلك طريقنا، وذهبت في ذلك مذهبنا فأما خساسها فإذا وفقت على طبيعة الكل منها، فاستخرج ما يخص نوعاً نوعاً يسهل أيضاً عليك إذا نظرت إلى الأمر الذي انفصل به كل نوع منها نظراً عاماً فإن بهذه الحال تنقسم الأنواع من الأجناس وينفصل عنها حتى يكون غيرها وغير أبناء جنسها من الأنواع المساوية لها في الجنس فافهم ما وصفته فهم من أحاط علماً بالأصول التي لزمت هذه الأحكام فيها ووجبت وجوباً ضرورياً حتى تكون لك(١) قدرة على استخراج معرفة ما لعلي لم أعرفه ويكون مساوياً لي في علم ما علمته فإن العالم منذ مائة سنة والعالم اليوم في معرفة الشكل الأول من إقليدس سيان، فكذا من رام أن يكون في علم هذه الأمور وأما في سوا فاستعن بالله يغنيك ويوفقك برحمته.

الباب الثالث

---

(١) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(في ذكر طبائع كل واحد من أنواع الجنس الهوائي)

من الحي الذي لا مالك ولا مملوك وينبغي // [١٤٥ط] أن أتبع القول في أنواع الجنس الناري، القول في كل واحد من أنواع الجنس الهوائي من الحي الذي لا مالك ولا مملوك على الشريطة التي صدرت بها قولي في أنواع الجنس الناري فإنها شريطة في جميع ما أنا ذاكره من سائر الأنواع فيما بعد، ومستغن بما ذكرته الآن عن إعادة قولي فيه فأقول إن هذا المزاج الهوائي يخص نواهض الطير وهو كل ما طار في بخار الأرض ولم يعل عنه وكان وراه في الطيران قصير، فهو لذلك مقيم في بلد واحد لا ينفصل عنه ويقطع الزمان وكأنه شيء من الطائر في الجو والسابح في الماء لأنه يطير في جرم حار رطب وطيرانه بالسباحة، وذلك لأن جناحه له هيئة مفردة، وهو أن قوادمه منحنية إلى داخل وشكل جناحه كأنه مقرفة ويغرف به البخار غرفاً، وجعل ذلك كذلك لغلظ الجسم الذي يطير فيه فمتى علا البخار لم يستطع الطيران ومتى كان قريباً من الأرض والهواء مثل السمك كالماء في الشط رأسه ينهض بشدة وصعوبة حتى يحصل منه في مقدار ذا قدر، ومسقطه ومأواه في الأدغال والغياض وحيث الشجر القصار ذوات الأصول المنغرسة ومنابت الحشيش ومطرد المياه والأنهار الجارية تحت الأطلال وليس شيء منه يبعد عن هذه المواضع مختاراً ولا بطبيعة وفي مثل هذه المواضع يفرخ، فمزاج جميعه هوائي حار رطب والرطوبة أغلب عليه من الحرارة فلذلك لا يتجاوز في علوه البخار ولا يفارق في مساقطه الأنداء والمياه والحرارة والرطوبة لا يدخل الماء ولا يسبح فيه ويكره أن يبتدئ رأسه، ويعجبه أن يتمعك في السهل، ولا يفرخ على وجه الأرض كالقطاة ولا على الأغصان كالقماري، بل في أصول الأشجار والأدغال التي قد عَلّت من مزاجه الأرضي وهي مع ذلك كتندية من الشمس لبدنه رطبة حامية في الشتاء باردة في الصيف هذا القول

الكلي فيه فأما مزاج كل صنف من أصنافه فأنا فيه // [١٤٦و] الآن قائل[١] فيه فكن حافظاً لهذا القول أنعم حبسةٍ[٢] فإن غرضي فيما بعد أن أقول في كل واحد من الأنواع التي تحت ذلك الجنس إن شاء الله.

في القول في الدراج:-

الدراج حار رطب هوائي خفيف اللحم، لطيف الكيموس، والدليل على حرارة لحمه ورطوبته بياض لحمه ورخوصته[٣] وخفة لحمه؛ فلذلك يولد كيموساً حاراً رطباً حرارة هوائية غير محرقة نارية، بل لدنة رطبة تسببه حرارة ماء الإبراز ورطوبته رطوبة هوائية لطيفة خفيفة غير لزجة غليظة ماسة بل رطوبة قد لطفت بالحرارة، وحرارة قد انكسرت حدتها بالرطوبة وفارقت اليبس الناري من اللحم الأسود المنفرك كلحم القطا والقنبر[٤]، تدل على الحر واليبس فالهواء والأرض بحالة في الحر واليبس والهشاشة والتفرك، بحسب هذا الامتزاج واللحم الأسود والصلب كلحوم الثيران الجبلية والتيوس والجواميس، واللحم الأحمر فهذا المولد للمرار الأصفر، واللحم الأبيض الرخو كلحوم حيوان الماء فهو مولد للبلغم وإنما ذكرت الأشياء وهي تجيء في موضعها مسبقة القول فيها لتتخلص لك معرفة جميع اللحام المواتية التي هي حارة رطبة ولحم الدراج يكاد أن يكون خالياً من فضلةٍ تفضل منه في العروق، ودليل ذلك إنه ليس فيه لزوجة الخروف والجدي والسمك وطير الماء التي تجمد أمراقها ولا يوجد في لحمه غدد ولا أعصاب، وأنا أختار أن يسلخ سلخاً؛ لتزول عنه عذوبة الجلد فيكون إذ ذاك لحمه صرفاً لا يشوبه غير جوهر اللحم، واعلم أنه كما إن العصب في الحيوان الناري أغلب من اللحم ولحمه عصبي، فافهم الآن عكس هذا في الحيوان الهوائي إن لحمه أكرم غضبة وعصبه لحمي وهو بعيد من الفساد، وهو إنك لو سلخت دراجة وحملاً وجدياً

---

(١) في الأصل مائلاً وما أثبتناه من ب.

(٢) من حبس الشيء احتفظ به.

(٣) الرخص اللين والنعومة.

(٤) جمع قنبرة.

وفرخاً وبطة، ثم تركتها لفسدت كلها وصلب لحم الدراجة وبقي حافظاً لنفسه، فأما سرعة الهضم فإنه كما ترى النضج يسرع إليهما النار عند صنعته // [١٤٦ط] كذلك انهضامه سريع عند الاغتذاء به وهو يرى من بورقية الدجاج وترابية القطا وقبوله للطيور قبولاً حسناً[١] واتحاده به، فإذا أكل مجردناً[٢] فهو معتدل في الرطوبة واليبس وهو يسخن البدن في درجة صغيرة ونصف، وإذا طجن بالزيت أسخن البدن في درجة ونصف صغيرة، ونشف رطوبة البدن ولا أطلق أنه يبس لذاته بل بالعرض على معنى أنه إذا لم يمده برطوبة، وكانت في البدن بأن يستقل في رطوباته عطفت النار فاستمدت واستغلت رطوبات البدن فقلت فعلى هذا المعنى أقول إنه يبس البدن وهذا مثل استفراغك في الأمراض الحادة بالحمية، فإنه إذا عرضت الحمى المادة التي تنقضي في أربعة عشر يوماً ومنعنا العليل الطير ونحوه دبرناه بالتدبير الملطف، والحمى لما كانت حرارة خارجة عن المجرى الطبيعي فإنها تستمد من الدم أكثر مما تستمده الحرارة الطبيعية التي هي دونها في الحرارة، وقد قلت قولاً في مواضع كثيرة أنا أعيده لعظيم الانتفاع به وهو أن الطبيعية حرارة ورطوبة لدنة هوائية وحرارة الحمى حرارة نارية محرقة يابسة فإذا أكل معمولاً بالخل والسذاب والكرفس لطف جداً، ويكاد أن تنسب إلى الاعتدال في صنفي التضاد وأن يسخن في نحو من درجة صغيرة وأما في الرطوبة فإن لم يكن معتدلاً مغساه أن يرطب في أولها فإن طجن بعد هذه الصنعة بالزيت العذب ودهن اللوز ورش عليه المربى على النار وألقيت عليه التوابل والطيوب كان شهياً مرياً لطيفاً سريع الانهضام أفضل من المصوص جداً فإن عمل منه زبرتاج[٣] صفراء غذاء البدن والروح، وأسخن في درجة واحدة صغيرة ورطب في نحوها، واستوعبته الطبيعة ولم يبق منه فضلة يؤذي البدن، فإن كانت زبرتاج بيضاء كانت في الفضيلة دونها إلا أنها أغذى من الصفراء لذا ينبغي أن يتجنب منها ما هرم

---

(١) في الأصل قبول حسن.

(٢) المجردن: أي المنفرد أو المجرد.

(٣) وهو المرق الأصفر الثخين.

ذكراً كان أم أنثى فأما الحدث // [١٤٧و] فهي لاحقة بفضيلة الدراج وغير مقصرة عنها، ولا أحب ما صاده الجارح لأن الذعر والفزع يفسد مزاجه والدليل على ذلك أن لحمه يكون متفركاً هشاً شبيه بلحم القطا إلا أنه أبيض، وهو أحمد من لحم القطا كثيراً فهذا ما نقوله في لحم هذا الحيوان الفاضل الغذاء، وهو حيوان فروت جداً طروب قليل المحك والغلظة كالقبج والديك.

القول في القبج:-

القبج أحر وأيبس مزاجاً من الدراج بشيء يسير وهو بالطبع ألوف غضوب، وينبغي أن تجعل لحمه تالياً للحم الدراج في الرتبة ويجعل لحم الدجاج النبطي، إلا أنه لما كان ليس بالفروق الحذر وكان جذلاً مقتدراً فيه ختل ما صار لسكون نفسه شحمه[١] أكثر من الدراج، وبلحم أيضاً إلا أن لحمه اعسى من لحم الدراج قليلاً إلا أنه، وإن كانت له هذه الحال فهو ألطف من جوهر بدن الإنسان فما ولده الكيموس في بدن الإنسان كان ألطف لأن له الأخلاق المقدم ذكرها حار بعض وجوه صيده أن ينصب له قبج تصبح فإذا سمعه جاءه[٢] يطلبه قباله إن ينصب ذكراً في وقت هياجه، وتارة تنصب له الأنثى فيجيئها طالباً للأسفاد فإذا أخذه الناس أنس إليهم ولم يحذر حذر الدراج، وأما مأواه ومرتعه فكالدراج غير أن القبج بسكون نفسه يخرج من مكانه وأوكاره ويدرج في الجبال ويضجر ويقبل ويجتمع خيطاً، والدراج لذعره لا يفعل ذلك كما ترى الظباء تجتمع قطعه لسكون نفوسها، والأرانب فلا تكون إلا واحدة واحدة كذا فافهم الحال في الدراج والقبج وبحسب زيادة الحر واليبس فيه وأنه أكثر ارتياضاً[٣] وحركة وسكون نفس، كذا فافهم الحال في أن لحمه حرارة وأيبس ولذلك هو أقل فضلاً[٤] ولدونة من لحم الدراج وأهش وضعها كذا لحم الدجاج الهندي ولحم الدجاج

---

(١) في الأصل شحم وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل جاه وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل ارتياض.

(٤) في الأصل فضل.

النبطي ثم لحم الدراج ثم لحم القبج ثم السماني وينبغي أن نحتسب بزيادة نصف درجة في اليبس في لحم القبج على لحم الدراج، وفي الحر بدون ذلك إذا ساويت بينهم بالصنعة مثال ذلك إنه إن جروان القبج أسمن في نحو الدرجتين ويبسه مطبعه لا بالعرض بنصف درجة وليس يتعذر عليك إذا قسته بلحم // [١٤٧ط] الدراج وربيت أن يعرف باقي القول فيه، ولحم القبج إذا أردت به عقل الطبيعة فبصنعته بالسماق أو بالحصرم أو حب الرمان والزبيب ونحو ذلك كان هذا عاقلاً للطبيعة وأشد عقلاً من لحم الدراج، كما إنك إذا صنعت من لحم الدجاج إسفيدتاج وألقيت فيها من الطيوب ما يكون باعثاً على حل الطبيعة، كان أقوى فعلاً في الطبع من الدراج متى صنع كذلك كثيراً وما يكسب من خلقه لا كلّه قوة الغضب والنفار وما عفته الحرام كما يكسب الدراج الذعر والفزع والحذر وحب الترنم وإيثار الوحدة.

القول في الدراج وهو الطيهوج:-

هو افضل من لحوم الطير كلها وأفضلها غذاء وهو كثير اللحم خصب البدن يشحم ويسمن وهو طيب العيش منحدر في الأوعال والغياض وأصول الشجر فلحمه أرخص من لحم الدراج، وأقل تفركاً[١] منه وهو أبيض صاف وأرطب من لحم الدراج رطوبة هوائية لدنة غير مائية غليظة لزجة كلحوم طير الماء وهذا الحيوان فللطافة جسمه وخفة لحمه وسلامته من فضلةٍ لزجة غليظة كطير الماء أو حيوانية أو ترابية كلحوم القطا والغبراء[٢] والفضلة الموجودة في لحوم الجارح العصبية الغليظة وهو حار متى جردن[٣] في آخر الدرجة الأولى من الدرج الصغار، ومرطب في أكثر من درجة واجعله أقل حرارة من لحم الدراج في جميع ما نفع بنصف درجة، وأنا أرى أنه متى صنع صنيعاً قبل طبيعة تلك التوابل والصنعة ويحذر أن أبقى عند مزاجه الذي يختص به؛ وذلك له من اعتدال مزاجه ولطافة جوهره لأن الجوهر اللطيف يقبل

(١) التفرعك: التفتت.

(٢) الغبراء: أنثى الحجل.

(٣) العنوان ساقط من ب.

الانفعالات بسهولة والجوهر الغليظ بكد ما يقبل، وإذ قد قلت إنه أفضل من لحم الدراج فسائر ما ذكرت من الفضائل في الدراج فافهم له أكثر من ذلك.

القول في السماني:-

هو أحر مزاجاً[١] من جميع ما تقدم وصفه، وأيبس إلا أنه لحم هوائي فاضل أبيض رخيص وهو خفيف، وينبغي أن نجعل من الحرارة إذا صنع مجردناً حاراً في أكثر من درجتين من // [١٤٨و] الدرج الصغار وفي اليبس في آخر درجة صغيرة وهو حيوان سريع الحركة غضوب، إلا أنه لصغره ليس يؤثر في الإطلاق شيئاً بل يؤثر في الباه والشبق ويصلح لمن في بدنه أخلاط نية وللبازي التدرج ولأصحاب الأمراض الباردة، وإذا طبخ بالماء والحمص والكمون، وأكل بالزيت نشّف بدن آكله، وإن طبخ بالأرز والزيت كان نافعاً لما تقدم ذكره فإن طبخ بالأرز واللبن الحليب، والزبد كان غذاءً جيداً معتدلاً نافعاً للأبدان المعتدلة وإن صنع بغير زبد، وإذا برر وألقيت عليه التوابل كان أشد لشبقه إلا أنه في هذه الحال غير خارج من الحيوان الهوائي خروجاً ذا قدر بل هو في العرض الذي فيه ذلك الحيوان[٢].

القول في الصفِر[٣]:-

والصفر طائر من الطيور التي تسكن البلد الحار وكأنه قبج تلك الديار وخلفية أشبه شيء بالدراجة الأنثى ولها لحية أشبه شيء بلحية القبج وهو ينق نقيق القبج وفي جبلته سببان ساكنان يشبهان أسباب الذكور من الدرج[٤] وما فرط، وحاله في بلده كحال القبج في بلدنا عندنا وصوته حاد صافٍ[٥] يشهد على حرارة مزاجه وذكائه وأهل العراق يتخذونه لصوته وما أكلته ولا علمت من أكله إلا بالخبز في بلده وهو عندي

---

(١) في الأصل مزاج.

(٢) تنظر خصائصه وأنواعه في مباهج الفكر ٤٧٢/٣.

(٣) ذكر صاحب اللسان اسمه (الصفارية).

(٤) من طيور العراق قال ذلك صاحب اللسان، وفي ب الدراج.

(٥) في الأصل صافي.

عندي أكرم من السمان وأيبس ولحمه يشبهه بلحمه وهو من الحيوان الهوائي أي على ما جرت من أمرة ما تقتضيه خلقته وليس من غذاء أهل الاعتدال.

القول في التدرج[١]:-

والتدرج قد تكلم فيه قوم على أنه من الحيوان المغتذي به وقد يأكله أهل الجبال كأهل أذربيجان ونواحي قم وهو من الحيوان الهوائي ومرعاه ومسكنه وساير أحواله وما تعرفنا من أخباره يدل على أنه أبرد مزاجاً من القبج وأرطب وأن لحمه ليس بكثير على صدره كثيرة لحم القبج يدل على أنه منه واعساً، ونذكر أمر كثرة اللحم[٢] على صدور الدجاج الراعي وعلى صدر القبج فإنه // [١٤٨ط] يلوح لك من ذلك أن وفور لحم القبج وكثرته؛ لأنه ألطف من لحم الدجاج وأكثر لدونة وذلك أن الأبدان اللطيفة الجوهر تقبل من السمن أكثر مما تقبله الغليظة واجعل جميع أطفال الحيوان لك قياساً تركته وأن ما غلظ جوهر اللحم فيها قل ما يكبسه من الغذاء، والتدرج فيه[٣] ثقل في الحركة وفتور في النفس بالإضافة[٤] إلى الحيوان الهوائي ونهضته ضعيفة وليس يعلو أكثر من علو الدجاج ولست ممن آكل لحمه ولا أخبرته بالتجربة، والذي يقتضي حاله أن يلحق عندي بالدجاج الهندي الراعي منه هذا ما يوجبه الحدس الصناعي في أمره، وأنا أعتقد فيه ما أعتقد في الطاووس ونحوه وسأقول في هذا الحال في القول في الطاووس إن شاء الله.

القول في الطاووس:-

لسنا نغتذ بالحال في شيء من الحيوانات إلا بالحال التي لها عند ذوي الفهم من ساكني الاعتدال وما أطاف به ولا يُغذى إلا بما تغتذي به الملوك وأرباب النعم،

---

(١) ضبطها د. عبد الرحمن بدوي عند تحقيقه لكتاب طباع الحيوان لأرسطو (تَذْرح). تنظر ص٥٤٦.

(٢) ساقطة من متن الأصل وقد كتبت على هامش الصفحة وهي موجودة في متن ب.

(٣) في الأصل ففيه وما أثبتناه من ب.

(٤) أي نسبة إلى الحيوان الهوائي.

ذوو الفهم والسياسة، فإن الحال في الاعتدال بالطاووس والتدرج عن من يغتذي بهما، وما شابههما كالحال فيمن يغتذي بالفهد والضبع والأفاعي من ساكني البوادي فليس إذا أكل من يأكل الطاووس يبلغ(١) علته التمامية، كالعلة في الدجاجة فقط وسنقول فيه على هذه الجهة وعلى الجهة التي يعتقدها فيه وينبغي أن يقصد بكل حيوان المنفعة التي خلقه الباري عز وجل لها وإن كان فيها ما فيه منفعة أن قصد به قصدهما كالحال في الحمل فإنه حامل ومأكول وقد قلنا فيه على الوجهين جميعاً والطاووس فحيوان مزيف عند حاسة البصر بصنوف الألوان وبالهيئة الحسنة وهو يعلم أنه ذو زينة وحلية حسنة فهو يزهو بنفسه ويعجب بها فلذلك يفعل بها الذي سمي الجلي(٢) ويجد حكم التدرج عندنا، (والدجاج السندي ونحو هذه وإن كان لها غذاء تثمر غيرها منفعة أخرى أزيد أنهم يأكلونها فمملوك كالطاووس والدجاج الهندي ولم يصن بالحبس والعلف الفاضل // [١٤٩و] ولعل لها في بلدها حكم أفضل من هذا وأرذل)(٣) ينبغي أن يؤخذ من العارفين بذلك، والذي أراه أنا وأعتقده أن الطاووس في الدجاج السندي إنما خلقت للذة النظر وإظهار محكم القدرة عنده فيما حسن لديه وكما خلق الحيوان الذي منفعته ولباسه الطبيعي للذة حاسة الحس كذوات الأوبار وسنذكر منافع سائر الحيوان عند ذكرنا إياه وإنما فصلت الحيوان أجناساً لاظفركم بالطبائع الكلية من جميعه فما فات بإدراكه من نوع من أنواع أي جنس كان منه محب قارئ كتابي هذا بحثاً من أي جنس هي وينظر إلى منفعته فإنه يدرك علمه عن قرب إن كان ممن قد راض نفسه في الأمور الطبيعية وقد علم(٤) ذلك بسهولة بمشيئة الله وتوفيقه.

الباب الرابع

---

(١) فراغ في الأصل وما أثبتناه من ب.

(٢) الجلي: وهو الظهور ويريد إظهار مفاتن جسمه.

(٣) هذا نص ما ورد في النسختين الأصل وب والعبارة فيها غموض.

(٤) في الأصل على وما أثبتناه من ب.

(في ذكر طبائع كل واحد من أنواع الجنس المائي)

من الحي الذي لا مالك ولا مملوك، [...][١] والحيوان المائي كسائر أنواع السمك وكل حيوان فارق الماء مات مما نعرفه ومما لا نعرفه، وإنه بارد رطب غليظ الكيموس لزجه، وله في هذا المزاج عرض بحسب أنواعه وسنقول في مزاج كل نوع من أنواع هذا الجنس كما قلنا آنفاً من القول الكلي في الجنس وأنا بعدما تقدم من القول الكلي في الجنس إذا نحن ذكرنا القول في نوع نوع مما نعرفه وهو مشهور عند الجمهور وقدر القارئ لكتابي هذا أن يستخرج علم ما لم أذكر القول فيه وأن يعلم علماً حقيقياً بالطريق رآنا سلكناه في استخراج علم غيره.

القول في السمك الشبوط ونحوه:-

هو أحر السمك وأرطبه والدليل على ذلك سرعته وحركته وذكائه ووثوبه وعظم فلوسه، يدل على حرارة مزاجه ورطوبته أفضل من رطوبات السمك وأشبهها بطبيعة الهواء؛ ولذلك لحمه أحلى لحوم السمك وأرطبها، ولقرب طبيعته من الهواء يقدر أن يثب شديداً حتى إنه إذا وقع في مصائدنا بالبطائح تسمى الميلانات[٢] وثب من قعر السلان[٣] أذرعاً حتى يقع في أعلاه فيؤخذ ولم يحوج صائدوه إلى أن // [١٤٩ط] يخرجوه بحربة كما يخرجوا غيره وهو أسرع السمك كلها سيراً وأشدها ذكاء هو يبرد بدن الإنسان إذا أكل مشوياً في ست درج صغار ويرطب في قريب منها فإن حُشي بالجوز والصعتر والزبيب والملح وزيّت جميعه لطّفه ذلك ولم يخرجه عن فعله خروجاً ذا قدر في صناعة الطب، وكباره أقرب إلى البرد والغلط وصغاره أميل إلى البرد والمائية فإذا قلي بالزيت وأدرج في الدقيق والزعفران والملح وشيء من التوابل لطف

---

(١) في الأصل فراغ بمقدار كلمة وهو غير موجود في ب.

(٢) الميلان: نوع من مصائد السمك الكبار.

(٣) السلان: نوع آخر من مصائد السمك تغمر في المياه فيغطيها الماء بمقدار قليل فإذا جاءها السمك وثب في داخلها ولم يستطع الخروج منها.

وكان أحر من المشوي بسبب الزيت، وأيبس بسبب القلي وينبغي أن نجعله يبرد ويرطب في سبعة درج صغار، وأن أكل بارداً فإني أراه يبرد ويرطب في ثلاثة درج كبار تكون تسعة صغار، ويحدث الأمراض الباردة، وللطافة جوهره لا يصلح لأنه يخدر بالملح، وبهذا السبب يؤثر أن يعمل منه [صحناة][1] ومطحونة الصحناء حارة يابسة تجفف المعدة، وتيبس رطوباتها ويحلوها وتقطع البلغم الغليظ الحلو الذي يفسد النكهة ويسخنه وتطيب النكهة بذلك وهي تعين على هضم الطعام، ويسرّع نفوذه وذلك لها من الملح في قوة طبخ الشمس إلا أنها تعطش وتحمي الكبد، والبني والهاربا غير جيد من الشبوط.

القول في الرحر:-

وهو السم ونحوه وهو أحر السمك وأيبسه، والسمك المسمي حراً كثير الفلوس كبيرها إلا أنه دون فلوس الشبوط وهي مع ذلك حسن وهو صلب الجسم عَسِر الاقتيات[2] وهذا يدل من أمره أنه أحر السمك وأيبسه، ولذلك هو أجود السمك المملوح ومصائده كثيرة وما يملح منه (فبالمحامدة، والبطائح) ويحمل منها إلى جميع المواضع وتملّحه على ضربين أحدهما يشق من ظهره ويكبس بالملح مدة ما ثم يجفف والآخر تشق بطونه ويملح في ونان ويترك في مائه ويسمى سمك الفاس وهذا هو الحال عند أهل البطائح والمحامدة، فأما غيره فقوت فقط وليس بمال وينبغي أن نجعله أحر من الشبوط بدرجة حتى يكون تبرد بدن الإنسان في خمسة درج ويرطب في أربعة درج صغار وأكثر، وهو في المعدة أبعد هضماً من الشبوط وأكثر غذاء وأبعد من الفساد والدليل على ذلك أنك لو أخذت شبوطاً أو رحرة وتركتهما لفسدت // [١٥٠و] الشبوط قبل الرحرة؛ فلذلك ينهز[3] الشبوط في الملح ويلبث الرحر والرحر أعسر

---

(١) الصحناة: أدام يتخذ من السمك والعرب تسميه الصير. ينظر اللسان مادة (صحن). والكلمة فارسية. ينظر المعرب ص٢١٦.

(٢) مأخوذة من القوت وهو الغذاء.

(٣) نهز السمك: إذا قبل بالملح لئلا يتفرك لحمه.

هضماً من الشبوط لأن النار تنضج الشبوط قبل الرحر، وإذا أكل جميع السمك بخثر الأرز الأحمر كان مبرداً معدلاً وكل سمك مملوح حار يابس وعرضة في الحر واليبس بحسب استيلاء الملح عليه، وحكم السناطر وكل سمك حاله حال الرحر حكمه بحكمه.

القول في السمك الأملس الجلد:-

وهو أبرد السمك وأرطبه. كل سمك كان أملس الجلد ليس بذي فلوس فهو أبرد السمك وأرطبه، ولذلك هو أسمنه وذلك كالجري والمرماهي[١] ونحوهما وكلها كلاب السمك وغذاؤها رديء لأنه لا يتحلل من أبدانها شيء البتة وهي لزجة سهكة قذرة المعاش، وأنا أكره أكله ولا أرى في شيء منه خيراً إلا للأبدان التي غلب عليها الحر واليبس على سبيل التدبير والمداواة لا على سبيل الحال المحمودة والبدن المعتدل.

---

(١) في ب البرماهي ولم أجد له وجهاً.

القول في السمك البارد اليابس:-

أبرد أصناف السمك وأيبسها وهي السلو والسمك المنقط بسواد ونحوهما وهذا النوع شديد البرد ولولا يبسه لجرى مجرى السموم وليس من أكل أهل المروءات وهو قليل اللذة سهك اللحم أما برده فبعد عشر درج صغار، وأما يبسه فهو رطب بالإضافة إلى بدن الإنسان وكيموسه نيئ غليظ ولم أصرفه في الصنعة لأني أكره أكله البتة، ومن أراد علم ذلك علمه من الحال في الشبوط. ثم القول في السمك البارد اليابس وأنا أصلته[١] بما صدرت به الباب، إنما عدلت عن تعديد نوع نوع من أنواع السمك إلى الطرق إلى علم طبائعها من الفصول المقومة والخواص اللازمة لأن الإحاطة بمعرفة كل أنواع السمك يعسر فأوجدت طريقاً بطفرك بغرضك كله عن قرب فافهم إن شاء الله، وينبغي أن تعلم أن كل سمك في ماء عذب راكد فهو خير مما كان في ماء ملح راكد وما ركب الحصى وسكنه خير مما ركب الطين وسكنه، وما ركب الطين وسكنه خير مما ركب الحما وسكنه وشر السمك ما كان في ما قد شره النبات عن الشمس // [١٥٠ط] لأنه يخبث تحت الماء فاعلم ذلك، وكلما لطف من السمك كان ألطف غذاء مما عظم، وكلما فارق أشكال غريبة من التدوير، وذوي المناقير والأجنحة وما صوت منه وما كان منه ذا سماجة فحكمه كحكم حرشة الأرض وهوامها وكلابها إلا أن هذه أرضية وتلك مائية وكلما افترس الناس من تماسيح أو كواسج[٢] فهو سبع من سباع الماء ولا طريق له في الغذاء وهو أحر من حيوان الماء وهو مفسد لمزاج الإنسان وخلقه، حتى أنه قد بلغني عن سمك بمصرانه إذا أكله الذي لا يعرف السبب الذي له يكره أحدث له منامات سوء مضحكة فهذا ما أمكن القول فيه من أنواع الحيوان المائي ولن يتعذر عليك استخراج معرفة إذا ركبت قانوننا الذي قدمنا ذكره بعون الله.

---

(١) في الأصل أصله وما أثبتناه من ب.

(٢) في الأصل كوسج وما أثبتناه من ب.

البـــاب الخـامــس

(في طبائع كل واحد من أنواع الجنس الأرضي من الحي)

قد تقدم القول في ذكر جنس هذا الحيوان وذكر الأمر الذي جميعه مشترك فيه عند ذكرنا أجناس الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك، ونحن في هذا الموضع مزمعون على القول في أنواعه لأن الإحاطة بعلم كل واحد من الأنواع إنما تدرك بالتصفح للجزئيات والتصفح للجزئيات ممتنع؛ من أجل أنا نحتاج فيه أمرين طوف[١] جميع الأرض وعمر يفي بذلك، وإذا كان قد يمتنع فنحن نتمحل طريقاً يؤدي إلى معرفة ذلك وهو أن يأتي بفصول وخواص تميز أقسامه ونذكر ما نذكره من الأنواع على جهة المثل والشبه على ما نعرفه ولم نذكره اختصاراً وعلى ما سمعنا به ولم نعرفه وعلى ما لعلنا أن نراه مما لا نعرفه، ولا سمعنا بذكره، فأقول أخص أنواع هذا الجنس وأخلصه طبيعة هو ما كان مسكنه في بطن الأرض وحيي باستنشاق البخار الشديد الغليظ، الذي يكون منه تولد الماء في أعماق الأرض وأكل الطين وعاش منه ولم يشق له من بصره لأنه لا حاجة به في توالده وبقائه إلى الضياء أولاً إلى كل مما على وجه الأرض وهذا هو الخلد[٢]، وما لعله أن يجري مجراه مما لا يعرفه وهذا الحيوان يحفر في[٣] الأرض مذاهب بعيدة ولا يطلب العمق وكلما بعدت المسافة وطال عليه إخراج // [١٥١و] التراب كوة واستأنف الحفر وأخرج إليها التراب وليس فعله هذا على سبيل اتخاذ الوكر والمأوى، وإنما هو على سبيل الحركة في المكان كتحرك السمك في الماء والطير في الهواء والماشي على وجه الأرض المار فيها إما لطلب الغذاء أو لطلب السفاد أو لغيرهما فالجلد إذا هاج حفر مذاهب حتى يلاقي قريباً ذكراً لأنثى أو

---

(١) في ب طواف.

(٢) الخلد Spalax ويسمى الفأرة العمياء، وهو من القوارض.

(٣) في الأصل يحفر وما أثبتناه من ب.

أنثى لذكر، وهو أيضاً يرتعي الأرض ويطلب منها ملاذاً وأماناً ورطوبة جسمه بذلك مما يكسبه بدنه من البخار الضبابي، وبهذا السبب يسد على نفسه المنافذ لئلا يدخل النسيم فيجفف ما يحتقن فيها من البخار، والجواري من الظبا كذا ينسف الرمل ويحفر فيه وتبرد به أبخرة أبدانها فيولد فيها ما ترتوي به أعضاؤها ويبدي ويكثر الدبق في عضل الحلق، ويجري في حلوقها إلى أجوافها قبل ما ارتعت، وهذه حالة الخلد والورل[١] وأم جبين[٢] وضروب كثيرة مما ينجحر في الأرض والحيات أيضاً، والبرهان أيضاً على أن الذي ذكرنا كما ذكرناه أن جميعها يبول افترى أحداً يقدم على أن يقول إن البول يكون عن غير مائية الدم وإن ساكني البادية ليحكون في أشعارهم وأخبارهم أن الحواري يجتزي أياماً كثيرة عن مشرب الماء ومعلوم أنها لو قطعت عن الرمل اعتماداً منه أن تكون حركة الحرية إلى كبده وجوفه حتى يصير كشكل الأنيق التماس الري ومن هذا الحيوان ما يأوى الشتاء في بطن الأرض ويغتذى بها ويستنشق البخار ويحيى به ويظهر في الصيف الفضول فكل يفترس ويأكل الحيوان ويأكل بعضه بعضاً، وليس شيء منه يشرب الماء شرباً ضرورياً وهذه لسائر الحيات والأفاعي وفرق ما بين الحية والأفعى، إن الحية ملساء الجلد كالعظاء، والأفعى خشنة الجلد، وجالينوس يعرفناها بالحيات الخشن وكل الحيات خشنها وملسها يفترس ويستنشق الهواء وهي شبيه بالحال في طير الماء الذي يطير في الهواء ويستنشق ويحيى به كذلك هذا الحيوان الأرضي يحيى بالبخار ويحيى بالهواء، والأسود حية وليست[٣] بأفعى وهي تفترس مع الحيات الخشن والملس، وهذه القدرة له عليها ليست من جهة ناب وشدة وإنما هي له وأتته حية وحده[٤] فعضته لم تضرره كما // [١٥١ط] لا يضر اليحمور إذا نهشته وإذا عضها الأسود أهلكها بسمة فأسقطت في حينها فابتلعها

---

(١) الورل من فصيلة الزواحف العظايا اسمه العلمي Varao-nus.

(٢) جنس من العظاء اسمها العلمي Agame.

(٣) في ب ليس.

(٤) في الأصل أوحده.

وهذه منفعة سموم الحيات للحيات، أنها لما أعدمت القوائم، وما يمسك به جعل السم آلة تظفر به مما افترسته، وتدفع به عن نفسها الضيم فهي تارة تقابل به وتارة تتقوت به فتبارك الله أحسن الخالقين، والورل وأم جبين وسائر ما أشبه هذه الحيوانات مما يخصها أنها لم تستنشق البخار والهواء ويفترس، هذا حكمها والورل وأم جبين والوزغ والعظاء، وما أشبه هذا حيوان فيه قوتان قوة العدو بالقوائم وقوة انتساب الحية، ولذلك ترى جميعها إذا عدت تلوت أصلابها كما تلتوي الحيات وترى تسعى بقوائمها، وقد استقصيت القول في هذا في المقالة الثانية من باب الخيل، ومن هذا الحيوان الأرضي ما ينجحر فيها وتحيى بالبخار، ويظهر على وجه الأرض وتعيش بالنسيم ويرعى الحيوان والثمار، ولا تفترس ولا يظهر ولا تضطر إلى شرب الماء وشرب الاستغناء عن الماء لجميع الحيوان الأرضي هو ما ذكرته في باب الخلد، وجميع ما هذه حاله مما لا يفترس فهو كاليرابيع والجرذان البرية والأهلية والفأر والضب، إلا أن اليربوع يسكن الأرض يرتوي منها ولتقوم له مقام الماء وهو يؤثر النسيم ويكره البخار فهو يتخذ وكره في رأس له علو ما عن الأرض ثم يحفر كواً على مهب الرياح وكلما رأيت لوكره منافذ أكد من واحد فاعلم أن ذلك لشوقه إلى الهواء وأخلاط مزاجه به، ومن هذا الحيوان الذي يخص جميعه لا غير يضطر إلى شرب الماء حرشة الأرض كالعقرب والخنفساء والصرصر، وحيدوردان، والخراطين[1]، وضروب كبيرة والنمل وصنفا الذراريح الكبار والصغار وضروب من الدود المتولد في الأرض منها دون ما يتولد من النبات فمنه أيضاً يسمى[2] بالمفترس كالعقرب والسبعية والسغبر[3] فإن هذين يأكلان الصراصر والخنافس، وحيدوردان، وجميع ما يظفر به من الدبيب، ولذلك جعل للعقرب يدان يتناول بهما وحمة يلسع بها ما يفترسه لنقهره بذلك ويضعفه وفماً كفم الجرادة إلا أنه أشد // [١٥٢و] من فم الجرادة يأكل به وما لا يفترس منه فهو يعيش من التراب

---

(١) نوع من الديدان سوف يذكره في الصفحة القادمة.

(٢) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

(٣) نوعان من أنواع العقارب.

ويقتات[١] به ويأوي إليه فمنه ما خص بأنه يهرب بها كالصرصر فإن له رجلين يثبت بهما، ومنه وما جعل له جسم منتن خبيث فيكره الحيوانات أكله كأم حبين والخنفساء، ومنه ما جعل له جلد خشن كالورل وإذ نبهتك على هذا فأنت قادر على الظفر به، وإذ كنت قد جمعتها لك في أربع فصول تعم جميعها أن الجنس الأرضي لا يضطر إلى الماء وأنه حار بالبخار ونداوة الأرض من الماء.

أحدها الذي مذاهبه ومسالكه في عمق الأرض يحفر ويسلك كما يحفر ويشق السمك الماء سالكاً والطائر الهواء، وهذا كالجلد ونحوه مما ليس له عين كالديدان المسماة خراطين، وضروب كثيرة لا تؤثر أن تظهر للصياد كما لا تؤثر أن تظهر للضياء ولا تؤثر أن تحفر في العمق نحو المركز لأن أكثرها متولد من العفونة. وأعماق الأرض فيها نفس طبيعة وألوان معادن فلا عفونة فيها.

والثاني ما يسكن الأرض ويجتري بها من الماء، ويفترس ما سعى على وجهها وهو يستنشق البخار والنسيم معاً كالحيات والورل وغيرهما.

والثالث ما يسكن الأرض ويجري بها من الماء ولا يفترس ولكنه يأكل الحب والنبات.

والرابع حرشة الأرض فأما الأول: وهو النوع الذي منه الجلد فاليبس والبرد وهو بطبيعة الكائن الذي هو فيه كالحال في السمك. وأما الثاني الذي منه الحيات والورل فحار يابس خبيث سمي بعيد من طبيعة الإنسان، وأما الثالث الذي منه اليرابيع والضب فما أكل الحب منه فهو حار يابس يحدث في جسم آكله خلطاً سوداوياً حريقاً حاراً، ويعمل في النفس ذعراً وفرقاً. ولحره ويبسه تراه خفيفاً على الأرض سريع الذهاب، وأما الرابع فمسموم كلها قذرة؛ لأنها تحدث عن فساد الأرض واستحالها إلى الخبث، وينبغي أن يتوقى مرورها على المأكول والمشروب فضلاً عن اختلاطها به والحال في كافة السموم من الحيوان كالحال في السموم، منها ما يهلك لوقته بدن

---

(١) في الأصل يقتا وما أثبتناه من ب.

الإنسان بأن يفسد مزاجه ويحلل تركيبه ومنها ما يضر عاجلاً ويهلك // [١٥٢ط] آجلاً فلا يغتر من احتيل عليه بأن أطعم وزغاً أو عقرباً أو خنفساء، كان لم يمت لوقته أو يظهر فيه ضرره محسوس ألا ترى الدحمريا، ونحن نعطيها المرأة فإذا مر لها بعد أخذها أيام مثل الأيام التي كانت تظهر في مدتها وحضر الوقت التي تختص فيه بعد عشرين يوماً مثلاً حاضت فترى الدم فيكون بهذا الوجه الدحمريا معاشره بعد عشرين يوماً كذا الأمر في مضار هذه، وإنما صارت بحقاً لأنها تحدث أمراضاً كما يحدث الذروح تقرحاً في المثانة فيحتمل للمبتلى أنها طوارق من الأمراض فهذا ما نقوله بياناً[١] لأنواع هذا الجنس.

الباب السادس
(في ذكر طبائع أنواع الجنس الناري الهوائي)

قد قلنا آنفاً عند ذكرنا الأجناس أن الحيوان الذي تركب على امتزاج النار والهواء هو كل حيوان يطير في العلو أكثر من طيرانه في البخار، وأنه شديد الحرارة لأن حرارة الهواء تساعد حرارة النار، وهو أرطب مزاجاً من الحيوان الناري لأن يبوسة النار قد امتزجت برطوبة الهواء امتزاجاً فيه اليبس أكثر من الرطوبة، ومن أجل هذه الرطوبة يؤثر أن يرعى الشطوط ويباشر الماء مباشرة يسيرة بحسب قسطه من الرطوبة ومرعاه كله الريف والشطوط وهو يأكل النبات والحبوب ويتألف خيطاً خيطاً، وله فصول ثلاثة فمنه غضوب ذو سلاح يذود به عن نفسه وهو الكركي والغرنيق، ومنه ذو أصابع ستة قصير الإبهام لا يقبض بكفه عن شيء كالحباري والجرج ونحوها، ومنه ملقم الأصابع في مكان منه ذو سلاح كالكراكي، فهو حار المزاج يابسه فروق حذر جزوع يذود عن نفسه ومزاجه قريب من مزاج الحباري، وما يتولد منه في بدن

(١) ساقطة من الأصل وما أثبتناه من ب.

آكله فخلط سوداوي حريف نسبة طبيعة ما انقلب إليه من المرة الصفراء إلى المرار الأسود ولذلك في لحمه تفرك والغرنيق[١] خير من مزاج الكركي وأبعد من طبيعة السوداء، ولذلك يابس في السوء ولحمه بعيد من التفرك وأما الجرج والحباري والكروان ودجاج البر وضروب كثير ترتعي الحبوب والنبات ويتبع الدبيب فيأكله فأنها تشحم ويسمن من أجل الشحوم ومن يدمن أكلها يسمن ومزاجها من مزاج الكركي والأوز لأنها طرف هذا // [١٥٣و] المزاج ولما اكتسبه هذا الجنس من السموم يعرض له الخروج عن مزاجه الخاص به إلى السمن والمزاج الذي يمص ما يسمن وهذا سببه بما تفعله النساء من تناول شحم الورل، فإنهن[٢] إذا أخذنه هلكن بالسمن ويخرجن عن طباعهن إلى غيرها ومزاج هذا حار يابس متى سوى إلا أن فيه خبث، ولا أحب أكله لغير معتاده فإن وقع اضطرار فينبغي أن يسلق[٣] بالماء والبورق ويهراق ماؤه ثم يغسل بالماء ويمسح عليه بالزيت والملح ثم يشوى أو يطبخ، وخير ما طبخ بعد السلق بالخل والسذاب والأبزار فإنه يصلح، وأما الملتحم الأصابع كالأوز الكبار والصغار والأنيس وكل بط علا أو قطع من بلد إلى بلد فهو أكثر هذا النوع رطوبة ولدونة وأحمدها غذاء فهذا ما نقوله في أنواع هذا الجنس.

---

(١) ذهب بعض العلماء إلى أن الغرانيق هي نوع من الكراكي. ينظر مباهج الفكر ٤٥٩/٣.

(٢) في الأصل فإنها وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل يصلق.

الباب السابع
(في ذكر طبائع أنواع الجنس الهوائي الناري)

قد قلنا حيث تكلمنا في الأجناس: إن الجنس الهوائي الناري هو الذي يطير في البخار أكثر من طيرانه في كرة النار، ومزاجه حار رطب وهو رخيص اللحم والفرخ من جميعه ألذ وأشبه بطبيعة الغذاء؛ لأن الحار الرطب فيه أكثره فيه عند صغره جداً ولذلك فرخه لما ليس فيه قوة على الحركة الإرادية لغلبة الرطوبة عليه، ومسكنه ومكانه يدل على هذا المزاج لأنه يعرج على أغصان الشجر وحيث يهزه الهواء وتتكفأ الأغصان وملابسة وبماسة النسيم ولا يماس أرضاً ولا وكراً في شاهق ولا ينجحر في كوى اللبن[1] وهذا دليل على قوى سبيله وهذا المزاج عليه لأنه في الفرخ أقوى، وكلما كبر بَعُد عن الهواء إلى النار، ومسكنه البلد الحار وهو مسرور فرح طرب ذو خيلاء ومحبة العشق واللذة مغرد صوته يعجب بعضه باستماع أصوات بعض يشبه من الناس في جميع أحواله السوداء والحرارة في فرخه كثيرة إلا أنها برطوبة كبيرة ولذلك نمو الفرخ سريع جداً وكلما كبر الفرخ بعد عن الهوائية وقد أتينا على القول الكلي حيث قلنا في الأجناس ونحن منذ الآن آخذون في القول في كل واحد من الأنواع:-

القول في القمري[2]:-

القمري أحد الأطيار المترنمة التي[3] أظهرت // [١٥٣ط] العذوبة في حلقه لحاسة السمع، وهو شديد المودة والرحمة والتودد ولكمال المودة فيه بروح ولا ينبغي بأنثاه بدلاً كما يفعل الديك ونحوه ولرحمته يؤوي ولده ويعف نحو أنثاه مادام فرخه صغيراً لشدة حركة الرحمة فيه، أما تودده فإنه يفرخ على فنن بين أفنان شجر كثير

---

(١) في الأصل اللبنة وما أثبتناه في ب.

(٢) راجع طبائعه في مباهج الفكر ٣/٤١٥.

(٣) في الأصل وب الذي وما أثبتناه هو الصحيح.

على كلها أعشاش لأبناء جنسه تصايحها ليلاً ونهاراً ولا يعتزل بعشه اعتزال الغراب، ويتجاوب على تلك الأفنان مجاوبة يؤثر كل واحد منهما استماع صوت صاحبه وإسماعه صوته، والدليل على أن هذا كهذا أنه لا يبدو من واحد منهما من المترنمين حركة بعد ذلك لقتال مصاحبه، كما ترى ذلك في القبج، والدليل على إن ذلك منه ليس بحركة الشبق أنه لا يبتغي غير إناثه، وأنه متى اجتمع مع قرينته لم تطعه ولم يردها، إن كان ذا قرينة، وأيضاً فإن لشبقه يصوت، وهو الهدير الذي يرفع فيه رأسه والأنثى منه زيفان[١] وله صوت إذا لاقى قمرياً آخر ذكراً كان أم أنثى لا يشبه التصويتين من عادة من يعتنيها إن يسميه منه الضحك، فإنه ليس الضحك وليس من سبيل الذكر مثله، فأما مصاحبة[٢] الأنثى فيقال له الدعو وهو أصوات مفردة منقطعة تجعل رأسه هابطاً وذنبه عالياً ويحرك جناحه حركة لا تخرج بها عن ارتفاعه، ويطاعم أنثاه وتطاعمه ويظهر منه ذلة عليها وله عناية بنفسه وإعجاب بها، كما يوجد ذلك في المغنين وأصحاب الإيقاعات ويجعل عشه في طرف فنن دائم الاهتزاز إحرازاً منه لغرضه لئلا يسعى عليه من الحيوان الماشي ما يقتله ويجعل شكل عشه مدوراً صيانة لريشه وحراسة من الرياح والتكسر ويطلب من الأغصان ما هزتها الرياح، ودام عليها حركة النسيم لما في طبعه، وحركه الجوع فيه ليست شديدة كما يوجد في الجوارح وسباع الماء لأن حكم القمري في ذلك حكم من يسكن البلد الذي يفرخ فيه وينبغي أن نعلم أن هذه الأخلاق كلها تدخل إلى مدمني أكل لحمه وليس في هذا الحيوان فقط بل في كل حيوان له خلق وأرى أن مدمنه يحدث فيه حب الغناء أو تبتل مغنياً.

وأما اليعتبط[٣] فحاله حال // [١٥٤و] القمري مثلاً بمثل إلا في أشياء يختص به فأنا ذاكرها وهي أنه أحر منه مزاجاً وأحد منه صوتاً وكان القمري قد جمع

---

(١) هكذا وردت في النسختين.

(٢) في الأصل مصافحة وما أثبتناه من ب.

(٣) ينظر مباهج الفكر ٤١٩/٣.

جبناً وعياً واليعتبط[1] مغن على الخلقة المعهودة من الرجال وهو أقل عفة من القمري، وجميع ما ذكرته في القمري فهو فيه لأن نوعهما متقاوس[2].

طائر النواح[3] وأشرف منه[4] وأفخرها كلها ويكاد أن يكون ملكها وهو يهيجها إلى التصويت وهو أشجاها صوتاً وأنغمها وجميعها تهوى استماع صوته وتؤثره، وهو قليل العدد ما سوى هذا فهو يوافق فيه القمري في اليعتبط ومدمن أكله يحدث له التخنث ويعمل ذلك في مزاجه وهو طيب الغناء، يسره استماع غناء نفسه.

النوبي:-

هذا ورشان أسود وهو حجازي أشجى من الورشان صوتاً ومزاجه بالإضافة إلى جميع الحجازيات مزاج بارد رطب وفم عبل، وصوته بين أصواتها كصوت [الهر] على وجه العود، والورشان المعروف عندنا أبرد وأرطب منه ولذلك يعلوه الصرع، وصوت ورشان العراق كأنه صوت (بَمّ)[5] قد أرخي بإرخاء ما وفي كلا الورشانين بلادة، ومدمن أكله يحدث له البله ويعمل في سله الحول، وأما مزاجهما بالإضافة إلينا فحار يابس منسوق بغلظ وهما معمران.

---

(١) في الأصل أو اليعتبط.

(٢) أي بينهما قياس أحدهما للآخر.

(٣) ينظر مباهج الفكر ومناهج العبر ٣/٤٢٠.

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) إشارة إلى صوت موسيقى.

الدبي والشفنين[1]:-

الدبي المصري والحجازي والعراقي مقاربات وأفخرها المصري[2] والشفنين منها وأصواتها في المترنمة كصوت الرباب في الأوتار صوتاً مجروراً جراً، وهو بين أصواتها إذا اختلط بها مستحسن فأما مفرداً فليس كذلك؛ لأن الزمر مستحسن مع الغناء وليس مستحسناً وحده وكذلك الصبح والشيز[3] مع الطبل والرهج حسن، فأما كل واحد منهما مفرداً فليس كذلك ولحوم هذه كلحوم الشفانين.

الفاختة:-

هذه عراقية وليست بحجازية وفيها فصاحة كما في اليعتبط[4] وصوتها في أصوات الحجازيات نسبة المثلث ولها في الأطيار ألف حسن وهي حسنة الصوت وينبغي أن نفهم جميع ما قلته في القمري وفي جميعها وليس غرضي ذكر جميع الأنواع ولو قصدت إلى ذلك أحطت به علماً وإنما غرضي أن أذكر الأمر الذي يجتمع والطبيعة العامية لها وأن أريك كيف تنفصل أنواعها وإذا ورد عليك نوع لم تعرفه عملت فيه كما رأيتني أعمله // [١٥٤ط] فيكون بهذا الوجه قد أدركت علماً كبيراً بقول قليل، كما تعلمنا ذلك من جالينوس في كتاب منافع الأعضاء، فأنا قاطع قولي في هذا الباب ومقبل على ما يتصل به إن شاء الله.

---

(١) في الأصل والسقس وما أثبتناه هو الصحيح من ب.

(٢) ينظر مباهج الفكر ٤١٦/٣.

(٣) أجفنة من الابنوس يقرع عليها.

(٤) ينظر مباهج الفكر ٤١٧/٣.

الباب الثامن

(في ذكر طبائع الجنس المائي الناري)

والحيوان المائي الناري بارد المزاج رطبه؛ بحسب زيادة الماء على النار فيه وإذا كان الركن المائي أكثر من الركن الناري، فالركن البلغمي أكثر من الركن الصفراوي وبمقدار ما في هذا الجنس من زيادة البلغم على جميع الأركان، هو يأوي الماء ويرتعيه ويسكن شطوطه، وبمقدار ما فيه من الجزء الصفراوي بحدة يعلو في الجو ويطير عالياً، وهو خفيف الجناح سريع الطيران متململاً على الأرض ومرعاه الشطوط، والماء الرقيق الذي يخوضه هذا الطير ولذلك يخلق لأكثره سوق طوال، وجميع هذه تجتمع في بدن آكلها فمن أكل هذين الخلطين[١] أعني بالخلط المرة الصفراء والخلط البلغمي ويتلفان، فيكون عنها تارة الصفراء المجية، وهي المرة المختلطة بالبلغم الذي ليس باللزج وتارة الرطوبة المالحة، أو المرة بحسب ما يوجبه ميل كل نوع من أنواعه وأنواعها الحصانات والسلوى والبيسان والقرقارات والهرجلات والطيطومات والكواسيع والدحلجلات والهرجلات وضروب كبيرة يرتعي الحيوان المتولد في الشطوط والبزور التي تكون في الغياض وقريب من الماء وجميع لحوم هذه إذا أكلت باردة في المياه، وكل حيوان خفيف يحدث الخفة في العقل متى أو من أكله على أصل جالينوس فمن أكل حيواناً له خلق وليس أرعب لذوي المروآت في أكل لحمانها؛ لأنها تغتذي بزور العشب والأدوية والأدغال ويأكل الدبيب وخبائث ما يتولد في الشطوط ومذموم الحيوان المتولد وما يولد من هذا بلغماً، فإنما يكون أما لطيف وأما ليس باللزج وسأروي كيف ذلك في أنواعه إذا كلمت فيما أتكلم فيه منها أنه ليس غرضي، وقصدي ذكر حال كل واحد من أنواع هذا الجنس، وإنما غرضي أن أذكر

---

(١) العبارة في الأصل أكلها من أكلها هذان الخلطان وما أثبتناه من ب.

من // [١٥٥و] أنواع كل جنس ما هو مشهور عند الجمهور ليقاس[١] عليه ما يركب ذكره إتماماً[٢] وما تركته لأني لم أحط علماً به.القول في الحصانات:-

الحصانات أطيار معروفة عند رماة البندق كثيرة الأصناف مختلفة الألوان مستحسنه عند أهل العراق تتخذ مخلاة في الدور ليست بذات[٣] أصوات يؤثر استماعها وهي سمان للحر الرطب الذي بلغت في مزاجها وهي مملوءة الأبدان لا ينكشف منها العظام، ولا يعري منها الصدور، وهذا دليل على أن الرطوبة في ألوانها (تكون مؤثرة وهي)[٤] عذبة ليست برطوبة الفراريج التي فيها بورقية وهو رطوبة مالحة ولذلك لا تكاد تمتلئ صدور فروج إلا في النادر وإن كان ذلك فليس يوجد في سائر اللعط[٥]، ولهذه الرطوبة ما يرتعي على شطوط المياه العذبة، ولممازجة النار الماء ما لا يعوم فيه ولا يطفو على ظهره للمجاذبة التي[٦] بين هذين النوعين، ومنازعة واحد منهما إلى ضد الآخر إلا أنها تغتسل بالماء ولا تتمعك في التراب فيدل ذلك من أمرها على أنها بعيدة عن طبيعته السوداء والأرض، قريبة من الحرارة والرطوبة وليمكن الجزء الناري فيها ما يعلو في طيرانها وترتفع وتقطع البلاد وتسير أمام [...][٧] ولا أعرف له في بلد الاعتدال فراخاً وإنما يفرخ في البلد الحار، ولحمه يسخن أبدان آكليه ويرطبها إسخاناً وترطيباً خارجاً عن المجرى الطبيعي وفيه خفة وسرعة حركة على وجه الأرض وليس هو من الحيوان الذي أؤثر إدمان أكله؛ لأنه يحدث لأكله التنقل

---

(١) في ب لينقاس.

(٢) في الأصل اتحافاً وما أثبتناه من ب.

(٣) في الأصل بذي وما أثبتناه من ب.

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) في الأصل اللعطت وما أثبتناه من ب، ولعط إذا اترعى بالقرب من البيوت.

(٦) في الأصل الذي وما أثبتناه هو الصحيح.

(٧) فراغ في الأصل وب.

فـي الآراء والأهـواء، وخفـة الحركـة والطـيش مـن غيـر لـبس ولا هـدر بحـسب الحـال الموجودة فيه، وأني لأوثر أكله والإدمان عليه لذوي الأمراض الباردة اليابسة(١).

الطيطونات:-

سائر ما قلته في الحصانات فافهمه في الطيطونات من حيث الطبيعة العامية لجميع الجنس، وأما من فحص هذا النوع فأنا // [١٥٥ط] قائله، حركة هذا الطائر علـى الأرض وسـرعتها ومـأواه الـشطوط يـدل علـى الرطوبـة والحـرارة وطيـب صـوته وحسنه يدل علـى أنـه أعدل من الحصاني مزاجاً، وأقل رطوبـة وهو يـصوت مذعراً وآنساً، فيدل ذلك علـى شدة فرقه وجزعه وكل طائر صالح متى قرب الناس منـه أو أمسكوه فهو فروقه وفيه دهش وذلك معروف من كثرة التفاته واتباع اللفتة منـه ولعـه وضـحكه، وهـو مـن ذوي الزينـة، ولحمـه أقل لـذة مـن لحم الحـصاني بحسب نقصان رطوبته عن رطوبة الحصاني وليس بالكثير القدر.

السلوى:-

هذا طـائر أقل حرارة من الحـصاني وأكثـر منـه سمناً وألذ لحماً وبقدر نقصان الجزء الناري فيه زيادة الجزء العذب وغذاؤه محمود وهو يغتذي من كل شـيء إلا من طبيعة الغذاء وهو أحمده لحماً، ويكاد أن يكون عندي هوائي مائي إلا أنـه لم يتم لـه هذا الأمر، وإدمان أكله الشحم يرطب ويولد دماً محموداً ولا أكرهه في الأغذية.

الدحلج والدحلجات:-

أطيـار مناسـبة للطيطـوي وكأنهـا بـين الحـصاني والهـرلج والكرسـوع ولـيس فـي أكلها خير لأنها تأكل الدبيب لا غير، ولا يرتعي الحب كما تأكله الحصاني واجعل قانونك في امتحان هذا النوع وصلاحه أن يكون يؤثر أكل النبات ويقل أكله الدبيب، كما يرى ذلك في الدجاج فإنها يؤثر الحب والنبات وبقله بالدبيبة فيما يحسن من هذا الجنس ولا ينبغي أكله. والهولجات والكواسيع وضروب كثيرة تأكل الحيوان المتولد في

---

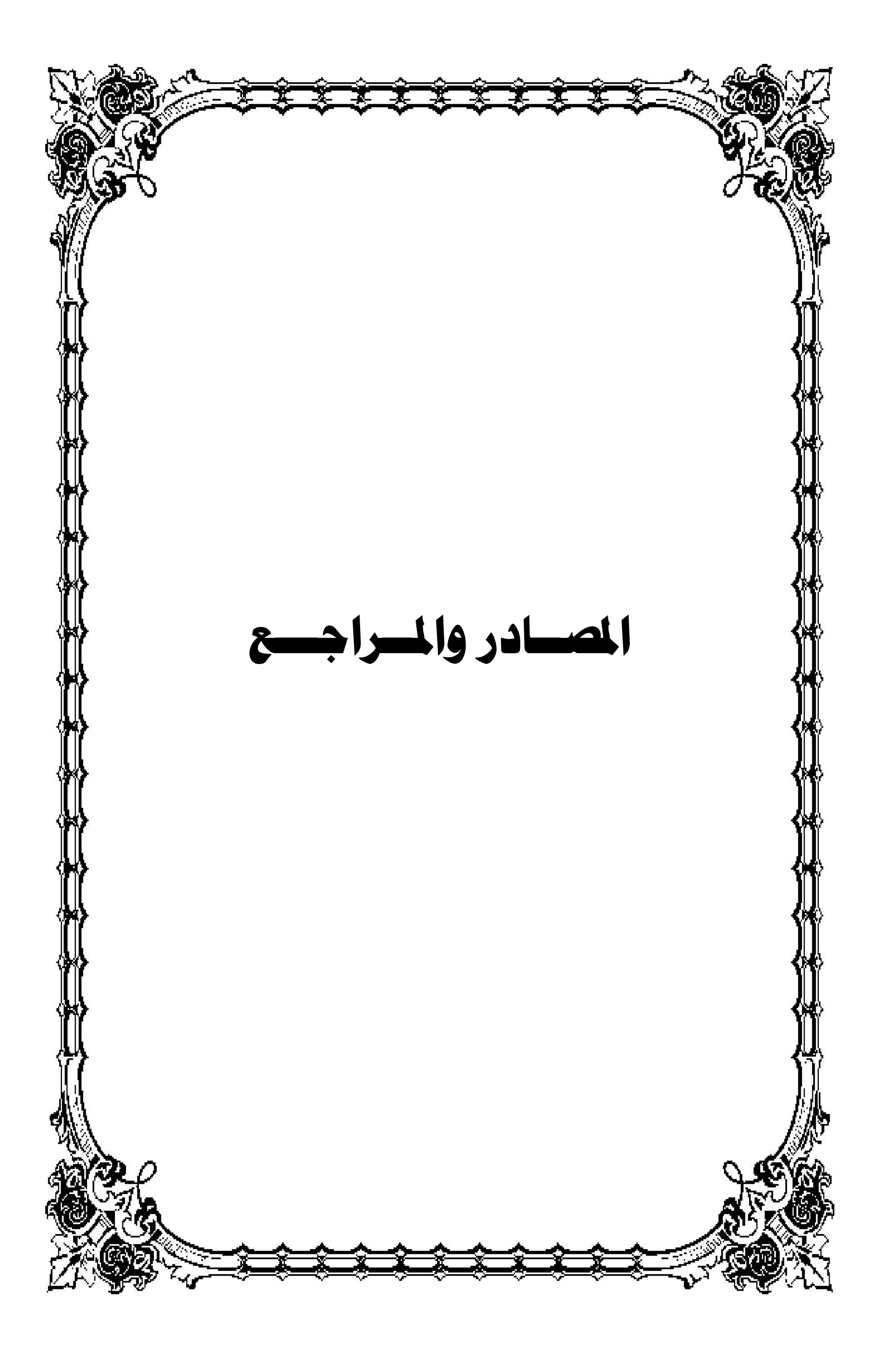
(١) انتهت هنا نسخة ب.

الشطوط والبزور التي تكون في الغياض وقريب من الماء من الأودية والحشاش الغير ملائمة لأطباع الناس ولا أرى أكل شيء من هذه وكلما كان من هذه يلتفت ويقف في التفاته يولد من يعقل أكله البلد، وما كان منه سريع الحركة خفيفاً على الأرض ولد في أكله الحمقى وما كان حريصاً على أكل الدود والدبيب ولد لمدمن أكله // [١٥٦و] شهوة الماء وأكل المستقذرة وخير الحيوان لحماً ما شابه غذاؤه غذاء الناس ولم يفارقه إلا في الصنعة وكل هذا الجنس صار رطب يعفن في جسم أكله وجميع ما في هذا الباب من الأنواع التي لم أذكرها وآخر الأمر استخراج طبائعها وما نفعها على هذا.

إن شاء الله تعالى.

نجز الكتاب وهو جميع ما عمله أحمد بن محمد بن أبي الأشعث من هذا الكتاب وذكر أنه توفي وفي نفسه ازدياد منه نقله عبد العزيز بن علي الطبيب المتمرس وكان الفراغ منه لثلاث بقين من شوال سنة ستمائة.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نسباً له وسلم تسليماً ومن يتوكل على الله فهو حسبه.



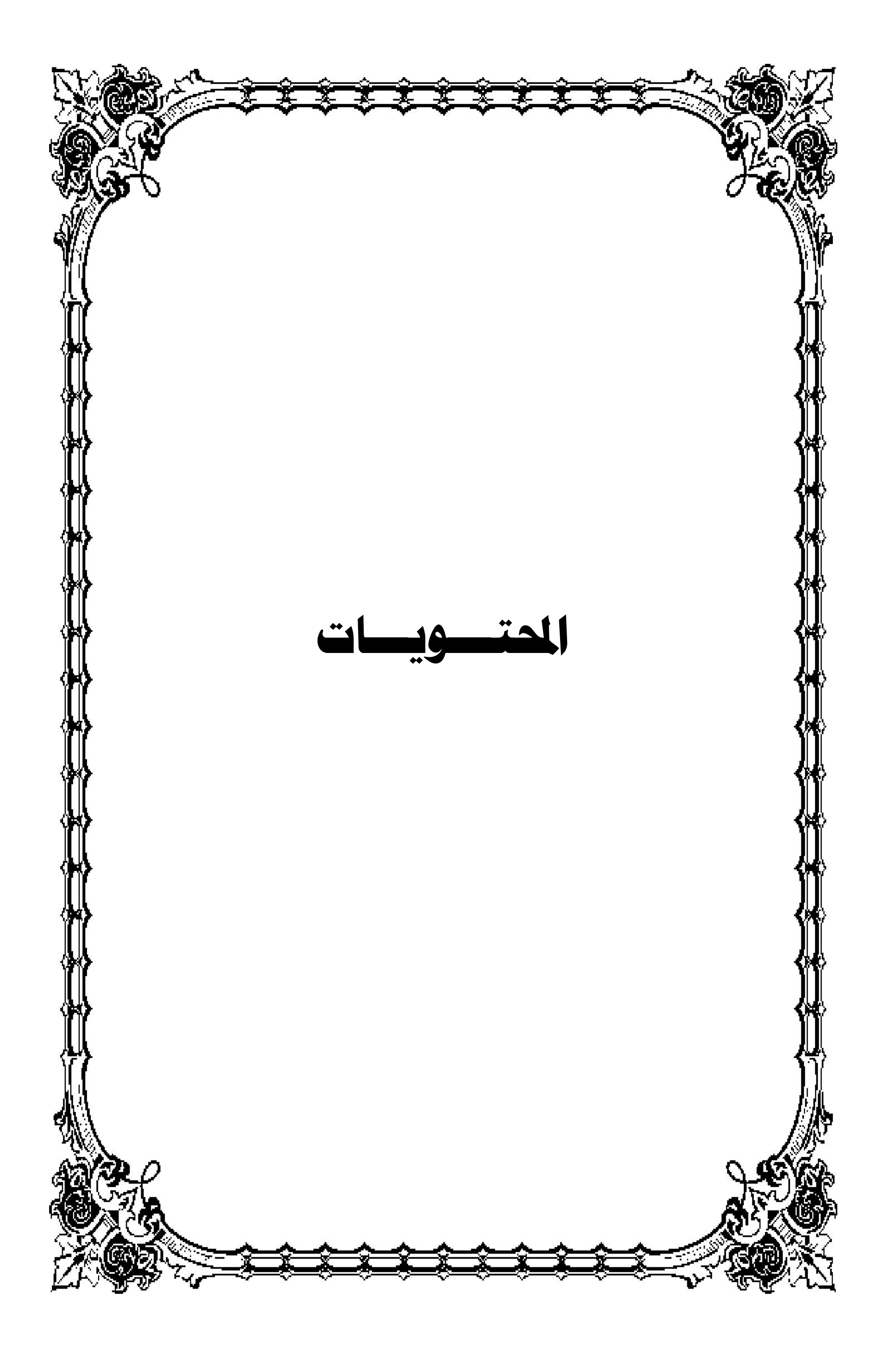
المصـــادر والمـــراجـــع

المصـــادر والمراجـــع

- أجزاء الحيوان، أرسطو، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، الكويت، ١٩٧٨.
- أحوال النفس، ابن سينا، تحقيق أحمد فؤاد الدهواني، القاهرة.
- الأدوية والأدواء في معجم تاج العروس، د. هاشم طه شلاش، بغداد، ١٩٨٧.
- البيـزرة، البازيـار الفـاطمي، تحقيـق محمـد كـرو علـي، المجمـع العلمـي العربـي، ١٩٥٢، دمشق.
- تاج العروس، الزبيدي، طبعة الكويت.
- تاريخ الصيدلة والطب العربي، سامي حمارنة، القاهرة، ١٩٦٧.
- تاريخ العلم، جورج سارتون، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، بيروت ط.
- التكملـة للمعـاجم العربيـة مـن الألفـاظ العباسـية، د. إبـراهيم الـسامرائي، ١٩٨٦، الأردن.
- تكملة المعاجم العربية، دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعبي، بغداد.
- الجامع لمفردات الأدويـة والأغذيـة، ضـياء الـدين عبد الله بـن أحمد المعروف بـابن البيطار، مصر، ١٢٩١هـ.
- الجـوارح وعلـوم البـزدرة، أبـو بكـر بـن يوسـف القاسـمي، محفـوظ المجمـع العلمـي العراقي (٢٢٨).
- حياة الحيوان، الديري، طبعة مصر.
- خلـق الجنـين وتـدبير الحبـالى، عريـب بـن سـعيد القرطبـي، تحقيـق نـور الـدين عبـد القادر، الجزائر.
- طباع الحيوان، أرسطو، تحقيق، د. عبد الرحمن بدوي، الكويت ١٩٧٧.
- الطب والصيدلة عند العرب، د. ياسين خليل، بغداد، ١٩٧٩.
- عجائب المخلوقات، القزويني، على هامش كتاب الحيوان للديري، طبعة مصر.

❖ كامل الصناعتين في البيطرة والزرطقة، أبو بكر ابن البيطار، مخطوط (١٨٧).
❖ كتاب جالينوس في الأسطقسات على رأي أبقراط، تحقيق د. محمد سليم سالم، مصر، ١٩٩٧.
❖ كون الحيوان، أرسطو، تحقيق فولرفس، ليدن، ١٩٧٠.
❖ لسان العرب، ابن منظور، بيروت.
❖ معجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيد أدي شير، بيروت، ١٩٨٠.
❖ المصطلح الفلسفي، د. عبد الله.
❖ مباهج الفكر ومناهج العبر، محمد بن ابراهيم الوطوط تحقيق: د. عبدالرزاق احمد الحربي، بيروت، ٢٠٠٠.
❖ منافع الحيوان، عبد الله بن بختشوع، محفوظ المتحف البريطاني، ٧٧٨، الأعسم، بغداد، ١٩٨٤.

Galens Traktat, Dass Die Krafte der Seelf den Mischun gen…von, Hans Hinrich, Wiesbaden ١٩٧٣
.
Introduction to History of Science G. Sarton Baltimore ١٩٤٧.



المحتـــويـــات

المحتويات